وَلْيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا

الدكتور محمد عبد المحسن

الصِّراع العربي الإسرائيلي

اجتياح غزَّة والضَّفَّةِ الغربيَّة ولبنان ووهم دولة الدجال الكبرى

تقديم الدكتور عزَّ السيِّد أحمد

دار الأنصار
١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م
بيروت

الدكتور محمد عبد المحسن

الصراع العربي الإسرائيلي

اجتياح غزة والضفة الغربية ولبنان
ووهم دولة الدجال الكبرى

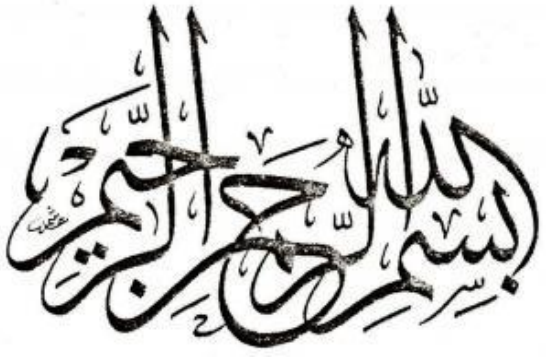
بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور محمد عبد المحسن

الصراع العربي الإسرائيلي

اجتياح غزة والضفة الغربية ولبنان
ووهم دولة الدجال الكبرى

تقديم الدكتور عزت السيد أحمد

دار الأنصار
١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م

جميع الحقوق محفوظة
دار أنهار للنشر
ALL RIGHTS RESERVED

دار أنهار للدراسات والترجمة والنشر

كل الحقوق محفوظة

تمنع طباعة هذا الكتاب أو بعضَه بأيّ وسيلةٍ من وسائل الطِّباعةِ والنَّشر والإعلام من دون موافقةٍ خطيَّة من الناشر أو المؤلِّف

الصراع العربي الإسرائيلي ووهم دولة الدجال الكبرى

تأليف: الدكتور محمد عبد المحسن مصطفى

تقديم الأستاذ الدكتور عزت السيد أحمد

٣١٠ صفحة

بيروت

٢٠٢٤م

١٤٤٥هـ

شكر وتقدير

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

مهما حاولتُ التَّعبير عن الشَّكر والامتنان والتَّقدير المفكِّر الكبير، الأستاذ الدُّكتور عزَّت السَّيِّد أحمد، على ما قدَّمه لي من دعْم ومساندة في نشْر ما أعدُّه من مؤلَّفات، لن أوفيه حقَّه. لم يبخل المفكِّر الكبير في الرَّدِّ على أيِّ تساؤل طرحته خلال إعداد هذا المؤلَّف، الَّذي أشير فيه إلى منجزاته الفكريَّة في ٤ مؤلَّفات، هي **انهيار أسطورة السَّلام: مصير السَّلام العربي الإسرائيلي**[2]، و**آفاق التَّمدُّد الفارسي: قراءة تاريخيَّة وسياسيَّة**[3]، و**التَّآخي الأمريكي الإيراني: حقيقة العلاقات الأمريكيَّة الإيرانيَّة**[4]، و**الدِّيانة الإبراهيميَّة...ديانة وهميَّة لأسباب شيطانيَّة**[5].

ويكفي الاعتراف بفضله بعد الله تعالى في نشر بعض ما أنجزتُ من اجتهادات، هي ﴿**وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي**﴾: **المؤامرة الصَّفويَّة-الصُّهيونيَّة لإخضاع**

---

[1] [سورة الأنفال: ٧٢].

[2] عزَّت السَّيِّد أحمد: انهيار أسطورة السَّلام: مصير السَّلام العربي الإسرائيلي، دار الفكر الفلسفي، طبعة ٢، دمشق، ٢٠٠١م.

[3] عزَّت السَّيِّد أحمد: آفاق التَّمدُّد الفارسي: قراءة تاريخيَّة وسياسيَّة، العالم العربي للنَّشر، طبعة ١، عمَّان، الأردن، ٢٠١٥م

[4] عزَّت السَّيِّد أحمد: التَّآخي الأمريكي الإيراني: حقيقة العلاقات الأمريكيَّة الإيرانيَّة، ياراتجيليك دنياسي ياپانلاري، قبرص، ٢٠٢٠م.

[5] عزَّت السَّيِّد أحمد: الدِّيانة الإبراهيميَّة...ديانة وهميَّة لأسباب شيطانيَّة، ياراتجيليك دنياسي ياپانلاري، نيقوسيا، ٢٠٢٢م

العالم الإسلامي[٦]، في أربعة أجزاء، دار أنهار للنَّشر، بيروت، لبنان، ٢٠٢٢م؛ ومؤلَّف آخر تحت عنوان ﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: **النِّظام العالمي الجديد بعد الحرب العالميَّة الثَّالثة: التَّوطئة لدولة الدَّجَّال في مواجهة البعث الإسلامي**[٧]، في جزأين؛ ومؤلَّف ثالث في جزأين تحت عنوان ﴿**إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾: **مشروع الشَّرق الأوسط الكبير: مخطَّط الصُّهيونيَّة المتجدِّد لتمزيق العالم الإسلامي**[٨]، في جزأين؛ و ﴿**قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾: **بدعة الإبراهيميَّة بين "الدِّينِ الْقَيِّمِ" وملَّة أهل الكتاب**[٩]؛ و ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**﴾: **انهيار الإمبراطوريَّة الأمريكيَّة...الانحراف البشري يُنجز الوعد الإلهي**[١٠]؛ و ﴿**وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾: **بناء الهيكل الثَّالث برماد البقرة الحمراء على أنقاض الْمَسْجِد الْأَقْصَى: النُّبوءات الكتابيَّة في مواجهة الوعد القرآني**[١١]؛ و ﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ**﴾: **التَّطبيع العربي الإسرائيلي من معسكر داود إلى الاتِّفاقيَّات الإبراهيميَّة**[١٢]؛ و﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾: **بدعة الإبراهيميَّة: الباطنيَّة**

---

[٦] محمَّد عبد المحسن: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾: المؤامرة الصَّفويَّة-الصُّهيونيَّة لإخضاع العالم الإسلامي، ٤ أجزاء، دار أنهار للنَّشر، بيروت، لبنان، ٢٠٢٢م.

[٧] محمَّد عبد المحسن: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: النِّظام العالمي الجديد بعد الحرب العالميَّة الثَّالثة: التَّوطئة لدولة الدَّجَّال في مواجهة البعث الإسلامي، جزآن، دار أنهار للنَّشر، بيروت، لبنان، ٢٠٢٢م.

[٨] محمَّد عبد المحسن: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: مشروع الشَّرق الأوسط الكبير: مخطَّط الصُّهيونيَّة المتجدِّد لتمزيق العالم الإسلامي، جزآن، دار العالم العربي، عمان، ٢٠٢٢م

[٩] محمَّد عبد المحسن: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: بدعة الإبراهيميَّة بين "الدِّينِ الْقَيِّمِ" وملَّة أهل الكتاب، دار العالم العربي، عمان، ٢٠٢٣م.

[١٠] محمَّد عبد المحسن: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾: انهيار الإمبراطوريَّة الأمريكيَّة...الانحراف البشري يُنجز الوعد الإلهي، ياراتجيليك دنياسي يايانلاري، نيقوسيا، ٢٠٢٣م.

[١١] محمَّد عبد المحسن: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: بناء الهيكل الثَّالث برماد البقرة الحمراء على أنقاض الْمَسْجِد الْأَقْصَى: النُّبوءات الكتابيَّة في مواجهة الوعد القرآني، دار حدوس وإشراقات للنشر، عمَّان، ٢٠٢٣م.

[١٢] محمَّد عبد المحسن: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾: التَّطبيع العربي الإسرائيلي من معسكر داود إلى الاتِّفاقيَّات الإبراهيميَّة، دار حدوس وإشراقات للنشر، عمَّان، ٢٠٢٣م.

الجديدة تحت قناع وحدة الدِّيانات الإبراهيميَّة[١٣]. وقد نُشر لي ممَّا أنجزتُ عن مؤلَّفاته ٣ كتب، هي **عزَّت السَّيِّد أحمد والتَّحالف الأمريكي الرُّوسي ضدَّ الثَّورة السُّوريَّة**[١٤]، و**النِّظام العالمي الجديد وآفاقه عند عزَّت السَّيِّد أحمد**[١٥]، و**عزَّت السَّيِّد أحمد وحقيقة السِّياسة الإيرانيَّة**[١٦].

وأتقدَّم كذلك بأجْزِر عبارات التَّقدير والامتنان للأستاذ الدُّكتور عطَّية عدلان، أستاذ الفقه الإسلامي، لما يحيطني به من اهتمام ويقِّدمه من تشجيع ودعم في نشر مؤلَّفاتي، وقد شَّرفني في السابق بنشر مركز مُحكمات للبحوث والدِّراسات الَّذي يديره مقالين تحت عنوان "بدعة الإبراهيمية: لماذا لا يمكن إقران الإسلام بمِّلة أهل الكتاب؟"، و "تاريخ المسجد الأقصى ومستقبله في مواجهة التَّحِّديات الإسرائيلية" عام ٢٠٢١م، كما قدَّم لي أحدث ما نُشر لي اجتهادات، وهو كتاب ﴿**حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾: **الصُّهيونيَّة المسيحيَّة: محرِّك سياسات ورثة كورش الممهِّدة لمعركة هرمجدون**[١٧]، وأسأل الله تعالى له دوام التَّوفيق والعافية.

وأجدِّد شكري وامتناني للعالم النَّابه، الدُّكتور بهاء الأمير، أشهر المتخصِّصين في تاريخ الحركات الباطنيَّة في العالم العربي اليوم، صاحب الفضل في توجيهي إلى نشْر كتاباتي، وقدَّم لي أوَّل مؤلَّفين، بل وساعدني في نشرهما عبر منصَّاته لنشْر مؤلَّفاته عبر الإنترنت. مهما عدَّدت فضائل الدُّكتور بهاء الأمير فلن أوفيه حقَّه،

---

[١٣] ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾: بدعة الإبراهيميَّة: الباطنيَّة الجديدة تحت قناع وحدة الدِّيانات الإبراهيميَّة، دار أنهار للنَّشر، بيروت، لبنان، ٢٠٢٤م.

[١٤] محمَّد عبد المحسن: عزَّت السَّيِّد أحمد والتَّحالف الأمريكي الرُّوسي ضدَّ الثَّورة السُّوريَّة. كيملك يابنلاري للطِّباعة، تركيا، ٢٠٢٣ م.

[١٥] محمَّد عبد المحسن: النِّظام العالمي الجديد وآفاقه عند عزَّت السَّيِّد أحمد. ياراتجيليك دنياسي يايانلاري، نيقوسيا، ٢٠٢٣ م.

[١٦] محمَّد عبد المحسن: عزَّت السَّيِّد أحمد وحقيقة السِّياسة الإيرانيَّة. العالم العربي للنشر، عمان، ٢٠٢٣م.

[١٧] ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: الصُّهيونيَّة المسيحيَّة: محرِّك سياسات ورثة كورش الممهِّدة لمعركة هرمجدون، حدوس وإشراقات للنَّشر، عمَّان، الأردن، عام ٢٠٢٤م.

وأسأل الله له دوام التَّوفيق، أشير في هذا المؤلَّف إلى ثلاثة من مؤلَّفاته: كتابيه **شفرة سورة الإسراء: بنو إسرائيل والحركات السرية في القرآن**[١٨]، و**النَّازيَّة واليهود والحركات السّريَّة**[١٩]، ومقاله "طوفان الأقصى"[٢٠]. وأعيد شُكري وامتناني للدُّكتور أحمد الهوَّاس، الكاتب والمفكِّر والباحث والإعلامي، الوسيط في تعريفي بالدُّكتور عزَّت السَّيِّد أحمد، وكان أوَّل مَن منحني فرصة النَّشر عبر موقعي رسالة بوست وحماك اللَّذين يرأس تحريرهما، وأسأل الله تعالى دوام العافية والعون والصُّمود في مواجهة تحدِّيات توصيل أصوات المهمَّشين والمقهورين.

والشُّكر موصول لأهل الفضل من علماء الإسلام الثَّابتين على الحقِّ في هذه المرحلة الفارقة الَّتي تمرُّ أمَّة الإسلام، وجلُّهم من أهل بيت المقدس، الَّذين نحسب أنَّ نبيَّنا مُحمَّد قصدهم بقوله الوارد في صحيح مُسلم (١٠٣٧) "لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي قائِمَةً بأَمْرِ اللهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهُمْ، أوْ خالَفَهُمْ، حتَّى يَأْتِيَ أمْرُ اللهِ وهُمْ ظاهِرُونَ علَى النَّاسِ". ويأتي على رأس هؤلاء العلماء، الَّذين أتباع دروسهم دون إمكانيَّة للتَّواصل مع بعضهم، وبحسب التَّرتيب الأبجدي: الشَّيخ خالد المغربي، مفسِّر القرآن الكريم المتطوِّع بالْمَسْجِد الْأَقْصَى المبارك؛ والشَّيخ كمال الخطيب، الدَّاعية الشَّهير وإمام مسجد عُمر بن الخطَّاب بالجليل شمالي الأرض المحتلَّة؛ والشَّيخ محمَّد بن عبد الملك الزّغبي، الدَّاعية الكبير والمتحدِّث عبر العديد من الفضائيَّات الدِّينيَّة. وأسأل الله للمسلمين جميعًا الصَّبر والثَّبات في زمان الفتن وعظائم الأمور.

---

[١٨] بهاء الأمير: شفرة سورة الإسراء: بنو إسرائيل والحركات السرية في القرآن، مكتبة مدبولي، طبعة ١، القاهرة، مصر، ٢٠١٥م.

[١٩] بهاء الأمير: النَّازيَّة واليهود والحركات السّريَّة، دار الكتب المصريَّة، ٢٠١٨م،

[٢٠] بهاء الأمير: "طوفان الأقصى"، موقع أرشيف، ٢٠٢٣م.

تقديم الكتاب بقلم
الأستاذ الدكتور عزّ السيد أحمد

الصراع العربي الصهيوني أو الصهيوني العربي ليس محض كلمة تقال، وليس محض مشكلة سياسية أو عسكرية أو اقتصادية مثل أي مشكلة من مشكلات العالم الكبرى أو الصغرى أو العادية أو غير العادية... إنَّهَا مشكلة استثنائية من المرتبة الثانية أو الثالثة أي هي ليست استثناء فقط مثل أي استثناء إنَّهَا استثناء من الاستثناء من الاستثناء. التفاصيل في ذٰلكَ لا تتسع لها آلاف آلف الكتب.

سواء أتمَّ تناول هٰذه القضية بملايين الكتب والأبحاث أو لم يتناولها أحد في مقال أو بحث أو كتاب فلا تتغير قيمتها وخطورتها وأهميتها واستثنائيتها. وعَلىٰ أي حال هي موضوع عشرات آلاف الكتب ومعها رُبَّما ملايين الأبحاث والمقالات... ومهما كانت طريقة هٰذه الأقلام في تناول هٰذه القضية، ومهما كانت وجهات نظر أصحابها، ومهما بلغت أو بعضها من التزييف، ومهما بغلت أو بعضها من قصور أو مهارة فإنَّ

ذلك كله لا يقلل ولا يغير أبداً من قيمتها العظمى الاستثنائية. قيمتها ومكانتها أنها أعظم مشكلة بشرية في القرن العشرين عَلىٰ الأقل. القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي هي محور العالم عَلىٰ مختلف الأصعدة والمستويات منذ ما قبل نشأة الكيان الصهيوني إلىٰ الآن وإلىٰ زواله عَلىٰ أقل تقدير.

قد يبدو هٰذا الكلام مبالغاً فيه وأنَّ المسألة أبسط من ذٰلكَ بكثير ولا تستحق هٰذه المبالغة، وبعض سيرى أنَّ هٰذه المبالغة ضرب من ترجيح العاطفة عَلىٰ المنطق. ولا عجب في ذٰلكَ فإنَّ ما يسمَّى اليوم بالذباب الإلكتروني هو عمليًّا موجود منذ ما قبل الإنترنت بكثير، إنَّهُم الأبواق التي تردح وتشطح بما تطلب منها غرفة التحكم العالمية من أجل تليين عقول النَّاس وتغيير قناعاتهم بطريق ذكية مدروسة وليست تصادفية بحال من الأحوال. وهٰذا الذباب الذي صار اسمه ذباباً إلكترونيًّا لانتقال عمله إلىٰ مواقع التواصل الاجتماعي منذ ما قبل إنشاء الكيان الصهيوني وهم يبثون سمومهم في تصوير الصراع العربي الصهيوني عَلىٰ أنَّهُ صراع عادي وترسيخ مثل هٰذه القناعة لدى الناس عامة ومن هٰذه الناس العرب والمسلمون. الشعوب الغربية بل كل غير العربية وغير المسلمة تشربت هٰذه القناعات بباسطة منذ عشرات السنين ولذلك تجدهم يدافعون عن الكيان بما يمكن أن تسميه الفطرة،

ويتقبلون كل ما يفعله الكيان بكل بساطة، ويرفضون إدانة هٰذا الكيان مهما فعل، ويدينون أي تعرُّض لهذا الكيان سواء بالأفعال أو الأقوال... لا يستطيعون تخيل أنَّ الكيان الصهيوني موضع اتهام، وفي الوقت ذاته لا يستطيعون تخيل أنَّ العرب أو المسلمين ليسوا موضع اتهام وإدانة...

لك أن تتخيل بعد ذٰلكَ مدى غسيل العقول الذي تعرضت له شعوب العالم كلها تقريباً من أجل القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني.

ولك أن تتخيل كم من المليارات أنفقت لغسل هٰذه العقول.

ولك أن تتخيل حجم الجهود والإمكانات التي تمَّ تسخيرها لمشروع غسل عقول شعوب العالم من أجل القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي.

وإذا ما علمت أنَّهُ لا توجد حملة أُخْرَىٰ مماثلة في العالم لتشويه أو تحسين صورة أي كيان آخر أو عقيدة أُخْرَىٰ فيجب أن تستنتج أنَّ القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني ليس مسألة عابرة ولا عادية، وإنَّما هي كما قلت استثنائية من المرتبة الثانية أو الثالثة، وأنَّهَا محور العالم منذ ما قبل نشأة الكيان الصهيوني إلىٰ هٰذا اليوم. ولتتأكد من ذٰلكَ در العالم غير المسلم كله واطعن في أي شخص أو دين أو دولة أو ما شئت ما عدا إسرائيل واليهود،

ولـن تجـد ردة فعـل تسـتحق الوقـوف عنـدما مثلمـا لـو تعـرض للكيـان الصـهيوني.

أن لا تقتنع بهذه الحقيقة فهٰذا مشكلة كبيرة لأنَّهَا حقيقة واضحة وضوحاً يفقأ عين كل منكر أو جاحد. ومع ذٰلكَ فهي ليست الحقيقة الوحيدة الواضحة هٰذا النوع من الوضوح في القضية الفلسطينية الصراع العربي الصـهيوني. أن تقف كل دول العالم الغربـي وحَتَّىٰ الأوروبـي الشرقي، كلاهمـا فـي أقـل تقـدير، سـاعداً ومسـاعداً وسـنداً ومـدداً لهٰـذا لكيـان الصهيوني فهٰذا يعني أنَّ موضوع الكيان الصهيوني موضوع غير عادي أبداً. لم يحدث في تاريخ الصراع ولا السلام البشري أن تقف كل هٰذه الدول داعمة ربع ربع ربع هٰذا الدعم لأي دولة حَتَّىٰ أوروبية في أيِّ صراع ولا ضد أي تهديد. ولك في أوكرانيا الي تعيش حربها مع روسيا منذ سنتين خير شاهد مثال؛ هل بلغ الدعم والتأييد الأوروبي والغربي لها عشر عشر معشار ما يقدمونه للكيان الصهيوني؟!

ألا يدعوك ذٰلكَ إلىٰ الاعتقاد بما سبق قوله من أنَّ القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني هو قطب رحى سياسات العالم كله وليس المنطقة فقط؟

هاتـان صـورتان عابرتـان لحقيقـة مشـهد القضـية الفلسـطينية والصـراع العربـي الصـهيوني، أعنـي بوصـفهما بالعـابرتين أنَّهُمـا لا تعبـران

تماماً عن الحقيقة الأساسية لهٰذا الصراع ولهٰذه القضية فالأخطر من ذٰلكَ هو ما يقف وراء هٰذا الاهتمام بل حَتَّىٰ التفرغ العالمي لدعم هٰذا الكيان الصهيوني والإصرار عَلىٰ بقائه. هم يصرون عَلىٰ بقائه بوصفه كياناً نشازاً غير شرعيٍّ وهم يعلمون أنَّهُ كيان نشاز وناشر وغير شرعي، وإن كانوا يحاولون الاقتناع والإقناع بأنَّهُ شرعي، ولٰكنَّ تصريحاتم تدل عَلىٰ أنَّهُم يعلمون ويؤمنون أنَّهُ كيان غاصب لحق الآخرين وأرض الآخرين. ماذا تعني عباراتهم التي يكررونها دائماً: «إسرائيل كيان من حقه الوجود»، هٰذه العبارة صدرت عن مختلف المسؤولين الغربيين في أوروبا وأمريكا وحَتَّىٰ الأوروبيين الشرقيين. ألا تعني هٰذه العبارة أنَّهُم يؤمنون بأنَّ إسرائيل كيان غير شرعي، ولم يكن موجوداً، وأنَّهُم أوجدوه.

لماذا أوجدوه؟

هم أنفسهم يجيبون عَلىٰ ذٰلكَ، الرئيس الأمريكي الحالي قال قبل عشرين سنة وكرر ذٰلكَ في بدايات رئاسته قبل ثلاث سنوات عندما قال: «لو لم تكن إسرائيل موجودة لوجب أن نوجدها»، وترامب الرئيس الأسبق ورُبَّما الرئيس القادم الذي قال تعليقاً عَلىٰ المعترضين عَلىٰ دعم إسرائيل من قبل الولايات المتحدة الأمريكية: «إن ما تقدمه لما إسرائيل أكبر بكثير مما ننفقه عليها».

وما الذي تقدمه إسرائيل؟

الكل يعتقد وهماً وخطأ وجهلاً أنَّ إسرائيل تحمي المصالح الاقتصادية الأمريكية، وتضمن تدفق النفط العربي إليها أو إلىٰ العالم الغربي، وتجعل الدول العربية سوقاً للسلاح الأمريكي أو الغربي... وما إلىٰ ذٰلكَ من ترهات أمام الحقيقة.

الحقيقة أنَّ الولايات المتحدة لم توجد إسرائيل وإنَّما الذي أوجد إسرائيل هو بريطانياً في الظاهر، ولٰكنَّ فرنسا ضليعة في ذٰلكَ أيضاً، ودول أوروبية أُخْرَىٰ، ولذٰلكَ قصة وتفاصيل.

هٰذا من جهة أولى. ومسألة المصالح الاقتصادية والنفط لا علاقة لها بإيجاد إسرائيل فعندما صدر وعد بلفور لم يكن النفط موجوداً أصلاً، وعندما تم إنشاء الكيان الصهيوني كذٰلكَ لم يكن النفط مكتشفاً في العالم العربي عَلىٰ النحو يدعو إلىٰ تأسيس قواعد لحماية تدفقه للغرب... وليس في العالم العربي ما يغري من ناحية المصالح الاقتصادية...

إسرائيل لم يتم إيجادها لأي مصالح اقتصادية مباشرة، المصالح الاقتصادية عَلىٰ هامش إيجاد هٰذا الكيان. هي موجودة ولٰكنَّهَا ليست الأساس.

بل أكثر من ذٰلكَ ويتوازى معه أنَّ إيجاد الكيان الصهيوني لم يكن محبة باليهود ولا خدمة لهم. واليم باتت الأصوات اليهودية التي تعلن هٰذه

الحقيقة كثيرة جدًّا وصوتها بات مرتفعاً جدًّا. وهٰؤُلاء اليهود عددهم في ازدياد كبير، يرفضون قيام دولة لليهود ويرون قيام هٰذه الدولة باسم اليهود باطل وغير شرعي وغير مقبول، ويرون أنَّ هٰذه الدولة دولة إلحادية، ولذٰلكَ فإن الموجودين منهم في فلسطين منذ نشأة الكيان الصهيوني وحَتَّىٰ الآن لا يخدمون في جيش الكيان الصهيوني، ولا يسمحون لأبنائهم أن يذهبوا إلىٰ الخدمة العسكرية، ويقولون بصراحة لا نقبل أن يذهب أبناؤنا للخدمة في جيش دولة علمانية، كافرة. بل إنَّ أحد كبار الحاخامات في فلسطين عندما ذهبوا مندوبو الرئاسة، بعد أشهر من طوفان الأقصى، لإقناعه بالإفتاء بجواز ذهاب اليهود المتدينن إلىٰ الجيش رفض بشدَّة وقال رداً عَلىٰ أحد أسئلته: إني أفضِّل أن يقتل أولادي عَلىٰ يد العرب وهم في البيت عَلىٰ أن يخدموا في جيش دولة علمانية . كافرة».

عَلىٰ أي حال، ذٰلكَ كله ليس إلا محض إضاءات عَلىٰ حقيقة عظمة القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني. ولا تنتهي مثل هٰذه الإضاءات التي تثبت أنَّ وجود الكيان الصهيوني في فلسطين هو (دينامو)، محرك العالم ومؤشر الاستقرار ونؤشر التوتر ومؤشر كل سياسة واقتصاد في العالم وهو محور فلسفة الإعلام وتوجيه الإعلام في العالم ومحللاته ومحرماته...

موضوع الصراع العربي الإسرائيلي أو الصراع العربي الصهيوني كان الموضوع الذي تناول الدكتور محمد عبد المحسن في كتابه الجديد. ولم

أفاجأ ببراعته في تناول هٰذا الموضوع فذا ما تعودت عليه منه منذ عرفته في كتاباته الأولى التي أكرر أنَّ الذي أذهبني إليه في البداية بعضاً مما كتبه عني ولٰكنَّ ذٰلكَ ليس سبب إعجابي به وتقديري له. أن يكتب عني فهٰذا يوجب عليَّ أن أشكره لا أن أقدره ولا أن أعجب به. طريقته وأسلوبه وثقافته وإدارته لبحثه ونبل مقاصده وغاياته هي التي أوجب عليَّ تقديره والإعجاب به. فقد أمتعنا في الآونة الأخيرة بمقالاته وأبحاثه لافتاً للانتباه بعمقه ووضوح رؤيته وجرأته في اقتحام لجج يتهيب الكثيرون من خوض غمارها. والحقيقة التي أكرِّرها في هٰذه المقدمة، بعد تقديمي كتبه السابقة، هي أَنَّهُ بوصفه قامة تستحقُّ التقدير، وكان ذٰلك لأمرين علىٰ أقل تقدير، وهما كافيان أصلاً.

أولهما أَنَّهُ برز متزناً متوازناً عميقاً جِدِّيًّا هادفاً حريصاً في زمن الغثاء والجلبة العمياء التي أدت إليها الثورة المعلوماتية. الثورة المعلوماتية وثورة الاتصالات بدل أن تكون خطوة خارقة للرقي بالفكر البشري كانت الطعنة النجلاء للقيم والأخلاق والعادات، وأدت إلى وأد العقل والمنطق، لتظهر وتبرز قامات المناديل الورقية الهشة، ليست قامات من المناديل الورقية وحسب بل من المناديل الورقية الهشة السيئة الاستخدام... وصارت هٰذه القامات هي رموز الفكر والثقافة والفن والأدب... ليست مسألة بعض أشخاص كما كان في القديم القريب، بل أكثر القامات التي هي

رمـوز عالميـة اليـوم هـي مـن هٰـذا القبيـل... شـيء يـدعو إلـىٰ الإحباط، بل يسبب الاختناق بالريق من كثرة الحصر وشدته.

وثانيهما أَنَّهُ وسط هٰذا الزحام المربك للأخلاق والذَّوق ظهر محمد عبد المحسن بأخلاقه الأنيقة، وأبحاثه الوثيقة، وأفكاره الدَّقيقة، وتطلعاته وأهدافه النَّبيلة الرقيقة. لا أزعم أَنَّهُ الوحيد الذي ظهر، فتلك دعوة عريضةً إن لم تكن فرية. يوجد الكثير مثله، ولٰكنَّهُم للأسف قلَّة في زحمة مفرزات وسائل التواصل الاجتماعي. منذ سنوات فورة الإنترنت تلاشت الأقلام الكبيرة وظهر الكثير من الغثاء والرغاء، حَتَّىٰ بعض القامات الشَّهيرة وجدت نفسها مضطرة للانغماس في الطَّبخات السريعة للقدرة علىٰ منافسة الغثاء السَّائد والاستمرار في الوصول والإيصال. ومع ذٰلك توجد الكثير من الأقلام التي تستحقُّ الاحترام، أتحدَّث علىٰ الجديد منها. وثَمَّةَ في الوقت ذاته الكثير الكثير من الاجترار والقص واللصق، وثَمَّةَ الكثير من الأنواع في غمرة فورة الإنترنت لم يكن لها أن تظهر قبل ذٰلك لضيق المساحات المتاحة والممكنة.

صار من الصَّعوبة بمكان، ما عدا من تعرفه، أن تجد من يروي ظمأك بكتاباته وتحليلاته ناهيك عن أفكاره. ومع ذٰلك مضطرون للاستمرار في القراءة والاطلاع والمعرفة والتَّعرُّض للجلد القسري من كثرة الغثاء الخسيس وقلَّة الثَّمين النَّفيس.

لا أطيل في التَّقديم فالنَّاس قلَّما تحبُّ المقدِّمات والتَّقديمات؛ حَتَّىٰ مقدِّمة المؤلِّف فقليل من النَّاس من تجد في نفوسها شيئاً من الحماسة لقراءتها، وكذٰلك شأن تقديم الكتب من قبل آخرين. أكتفي وأرجو ألا أكون قد أطلت. وأعرب من جديد عن مودتي وتقديري للدكتور محمد عبد المحسن، وأشدُّ علىٰ يديه، وأرجو له المزيد من التَّوفيق والتَّفوق والتَّألُّق.

عزت السيد أحمد

استنبول في ١٠/ ١٠/ ٢٠٢٤م

﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا[٢١]﴾

الصِّراع العربي الإسرائيلي

اجتياح غزَّة والضَّفَّة الغربيَّة ولبنان

ووهم دولة الدَّجَّال الكبرى

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ[٢٢]﴾.

﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ[٢٣]﴾.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ[٢٤]﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ[٢٥]﴾.

---

[٢١] [سورة الإسراء: ٧].
[٢٢] [سورة الْبَقَرَةِ: ٧٥].
[٢٣] [سورة الْبَقَرَةِ: ١٠٠].
[٢٤] [سورة آلِ عِمْرَانَ: ١١٢].
[٢٥] [سورة آلِ عِمْرَانَ: ١٨٧].

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ[٢٦]﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ[٢٧]﴾.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ[٢٨]﴾.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ[٢٩]﴾.

"إِبْرَاهِيمُ للهِ: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ!». فقال الله "بل سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ

[٢٦][سورة المائدة: ١٣].
[٢٧][سورة الرَّعد: ٢٥].
[٢٨][سورة الحجّ: ٣٩-٤١].
[٢٩][سورة النُّور: ٥٥].

رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. وَلكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الآتِيَّةِ»"[٣٠].

"كَمَا فَرِحَ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُحْسِنَ إِلَيْكُمْ وَيُكَثِّرَكُمْ، كَذلِكَ يَفْرَحُ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُفْنِيَكُمْ وَيُهْلِكَكُمْ، فَتُسْتَأْصَلُونَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا. وَيُبَدِّدُكَ الرَّبُّ فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا[٣١]".

"يَكُونُ كَمَا أَنَّهُ أَتَى عَلَيْكُمْ كُلُّ الْكَلاَمِ الصَّالِحِ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ إِلهُكُمْ عَنْكُمْ، كَذلِكَ يَجْلِبُ عَلَيْكُمُ الرَّبُّ كُلَّ الْكَلاَمِ الرَّدِيءِ حَتَّى يُبِيدَكُمْ عَنْ هذِهِ الأَرْضِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَعْطَاكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ. حِينَمَا تَتَعَدَّوْنَ عَهْدَ الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ وَتَسِيرُونَ وَتَعْبُدُونَ آلِهَةً أُخْرَى وَتَسْجُدُونَ لَهَا، يَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ فَتَبِيدُونَ سَرِيعًا عَنِ الأَرْضِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَعْطَاكُمْ[٣٢]".

"وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ. وَتَرَكُوا الرَّبَّ إِلهَ آبَائِهِمِ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا وَأَغَاظُوا الرَّبَّ. تَرَكُوا الرَّبَّ وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتَارُوثَ. حَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَدَفَعَهُمْ بِأَيْدِي نَاهِبِينَ نَهَبُوهُمْ، وَبَاعَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ حَوْلَهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرُوا بَعْدُ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ[٣٣]".

---

[٣٠](سفر التكوين: إصحاح ١٧، آيات ١٨-٢١).
[٣١](سفر التَّثنية: إصحاح ٢٨، آيتان ٦٣-٦٤).
[٣٢](سفر يشوع: إصحاح ٢٣، آيتان ١٥-١٦).
[٣٣](سفر القضاة: إصحاح ٢، آيات ١١-١٤).

مقدمة المؤلف

نجح المخطَّط الصُّهيوني لتأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدَّسة، أو فلسطين التَّاريخيَّة، بإعلان دولة الاحتلال الإسرائيلي رسميًّا في ١٥ مايو ١٩٤٨م، بموجب قرار الجمعيَّة العامَّة التَّابعة للأمم المتَّحدة رقم ١٨١ الخاص بتقسيم فلسطين إلى دولة يهوديَّة وأخرى عربيَّة، في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م، بعد ٥٠ عامًا من المؤتمر الصُّهيوني الأوَّل، كما تعهَّد مؤسِّس الصُّهيونيَّة السِّياسيَّة الحديثة، تيودور هرتزل، قبل هلاكه عام ١٩٠٤م. ومن ذلك حينها، يواصل الاحتلال نشاطه التَّوسُّعي، على حساب دول الجوار، حتَّى صار يسيطر على ٧٨ بالمائة من مساحة فلسطين، وعلى ٦٠ بالمائة من مساحة الضَّفَّة الغربيَّة المفترَض أن تكون موقعًا للدولة الفلسطينيَّة، بموجب ما نصَّت عليه اتِّفاقيَّة أوسلو لعام ١٩٩٣م.

ويستند الاحتلال في ذلك إلى الوعد الإلهي الوارد في العهد القديم، بمنح أبراهام العبراني وذريَّته من نسل ابنه إسحق ميراثًا أبديًّا على الأرض ما بين نهري النِّيل والفرات[٣٤]، برغم أنَّ دولة بني إسرائيل في الأزمنة القديمة لم تصل أبدًا إلى تلك الحدود، وبرغم ثبوت زيف تلك النُّبوءة، بما تعرَّض له بنو إسرائيل من

[٣٤] "لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ" (سفر التَّكوين: إصحاح ١٥، آية ١٨).

تدمير لدولتهم على يد البابليين عام ٥٨٧ قبل الميلاد[٣٥]، وطرْد من الأرض المقدَّسة[٣٦]. وقد اعترف بنو إسرائيل بنقضهم ميثاقهم مع ربّهم[٣٧]، الَّذي أورثهم الأرض المقدَّسة لأجله، هو أن يعبدوه ولا يشركوا به أحدًا[٣٨]. ومع ذلك، فقد صفح الرَّبُّ عنهم، وأعادهم إلى الأرض المقدَّسة، بعد ٣٨ عامًا في السَّبي البابلي، لكنَّهم انحرفوا مجدَّدًا عن جادَّة الصَّواب[٣٩]؛ فسلَّط عليهم الرُّومان ليسحقوهم ويطردوهم مجدَّدًا من الأرض المقدَّسة بعد فشل ثورة شمعون بار كوخبا عام ١٣٦م.

ومنذ عودة بني إسرائيل إلى الأرض المقدَّسة، بفضل نجاح المخطَّط الصُّهيوني الخبيث الَّذي حاكه كبار أباطرة المال من المرابين اليهود، بعد استجابة اليهود لدعوة المفكِّر اليهودي الرُّوسي، ليون بينسكر، الَّتي أطلقها في كتابه **التَّحرُّر الذَّاتي**[٤٠]، عام ١٨٨٢م، إلى توافد المهاجرين

---

[٣٥] "فِي ذلِكَ الزَّمَانِ صَعِدَ عَبِيدُ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، فَدَخَلَتِ الْمَدِينَةُ تَحْتَ الْحِصَارِ. وَجَاءَ نَبُوخَذْنَاصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ عَبِيدُهُ يُحَاصِرُونَهَا. فَخَرَجَ يَهُويَاكِينُ مَلِكُ يَهُوذَا إِلَى مَلِكِ بَابِلَ، هُوَ وَأُمُّهُ وَعَبِيدُهُ وَرُؤَسَاؤُهُ وَخِصْيَانُهُ، وَأَخَذَهُ مَلِكُ بَابِلَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ مُلْكِهِ. وَأَخْرَجَ مِنْ هُنَاكَ جَمِيعَ خَزَائِنِ بَيْتِ الرَّبِّ، وَخَزَائِنِ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَكَسَّرَ كُلَّ آنِيَةِ الذَّهَبِ الَّتِي عَمِلَهَا سُلَيْمَانُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ فِي هَيْكَلِ الرَّبِّ، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ. وَسَبَى كُلَّ أُورُشَلِيمَ وَكُلَّ الرُّؤَسَاءِ وَجَمِيعَ جَبَابِرَةِ الْبَأْسِ، عَشَرَةَ آلاَفِ مَسْبِيٍّ، وَجَمِيعَ الصُّنَّاعِ وَالأَقْفِيَانِ. لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلاَّ مَسَاكِينُ شَعْبِ الأَرْضِ" (سفر الملوك الثَّاني: إصحاح ٢٤، آيات ١٠-١٤).

[٣٦] "ضَرَبَهُمْ مَلِكُ بَابِلَ وَقَتَلَهُمْ فِي رَبْلَةَ فِي أَرْضِ حَمَاةَ. فَسُبِيَ يَهُوذَا مِنْ أَرْضِهِ" (سفر ارميا: إصحاح ٥٢، آية ٢٧).

[٣٧] "فَكَانَتْ كُلُّ أُمَّةٍ تَعْمَلُ آلِهَتَهَا وَوَضَعُوهَا فِي بُيُوتِ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي عَمِلَهَا السَّامِرِيُّونَ، كُلُّ أُمَّةٍ فِي مُدُنِهَا الَّتِي سَكَنَتْ فِيهَا" (سفر الملوك الثَّاني: إصحاح ١٧، آية ٢٩)؛ "وَبَنَوْا مُرْتَفَعَاتِ تُوفَةَ الَّتِي فِي وَادِي ابْنِ هِنُّومَ لِيُحْرِقُوا بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ بِالنَّارِ" (سفر ارميا: إصحاح ٧، آية ٣١).

[٣٨] "وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ" (سفر التَّكوين: إصحاح ١٧، آيتان ٧-٨).

[٣٩] "كَتَبَ الْمَلِكُ أَنْطِيُوكُسُ إِلَى مَمْلَكَتِهِ كُلِّهَا بِأَنْ يَكُونُوا جَمِيعُهُمْ شَعْباً وَاحِداً، وَيَتْرُكُوا كُلُّ وَاحِدٍ سُنَنَهُ. فَأَذْعَنَتِ الأُمَمُ بِأَسْرِهَا لِكَلاَمِ الْمَلِكِ. وَكَثِيرُونَ مِنْ إِسْرَائِيلَ ارْتَضَوْا دِينَهُ، وَذَبَحُوا لِلأَصْنَامِ، وَدَنَّسُوا السَّبْتَ. وَأَنْفَذَ الْمَلِكُ كُتُباً عَلَى أَيْدِي رُسُلٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَمُدُنِ يَهُوذَا، أَنْ يَتْبَعُوا سُنَنَ الأَجَانِبِ فِي الأَرْضِ. وَيَمْتَنِعُوا عَنِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبِيحَةِ وَالسَّكِيبِ فِي الْمَقْدِسِ. وَيُدَنِّسُوا السُّبُوتَ وَالأَعْيَادَ. وَيُنَجِّسُوا الْمَقَادِسَ وَالْقِدِّيسِينَ. وَيَبْتَنُوا مَذَابِحَ وَهَيَاكِلَ وَمَعَابِدَ لِلأَصْنَامِ وَيَذْبَحُوا الْخَنَازِيرَ وَالْحَيَوَانَاتِ النَّجِسَةَ. وَيَتْرُكُوا بَنِيهِمْ قُلْفاً، وَيُقَذِّرُوا نُفُوسَهُمْ بِكُلِّ نَجَاسَةٍ وَرِجْسٍ، حَتَّى يَنْسَوُا الشَّرِيعَةَ وَيُغَيِّرُوا جَمِيعَ الأَحْكَامِ. وَمَنْ لاَ يَعْمَلْ بِمُقْتَضَى كَلاَمِ الْمَلِكِ يُقْتَلْ" (سفر المكابيون الأوَّل: إصحاح ١، آيات ٤٣-٥٢).

[40] Pinsker, L. (1882). *Auto-emancipation*. Maccabaean.

اليهود للاستيطان في فلسطين. وادَّعى المهاجرون اليهود تمتُّعهم بالمشروعيَّة الدِّينيَّة، وهو ما استند إليه الحاخام ياكوف ليبوفيتش فيشمان في شهادته أمام شهادته أمام اللَّجنة الخاصَّة التَّابعة للأمم المتَّحدة في عام ١٩٤٧م، عند إصدار القرار ١٨١ بتقسيم فلسطين، تتواصل محاولات التَّوسُّع، بضمِّ أراضٍ جديدة إلى سيطرة الاحتلال. وبرغم أنَّ القرار ذاته ينصُّ على تفعيل حلِّ الدَّولتين، بتأسيس دولة عربيَّة في أرض فلسطين، إلى جانب دولة الاحتلال، فإنَّ ذلك لم ولن يحدث أبدًا؛ ببساطة لأنَّ رؤية الخلاص الَّتي يؤمن بها اليهود تحتِّم ألَّا يشاركهم الأغيار في سُكنى الأرض المقدَّسة.

وقد أكَّد بنيامين نتنياهو، رئيس حكومة الاحتلال وزعيم حزب اللِّيكود، المتأثِّر بتعاليم الصُّهيوني المتطرِّف، زئيف فلاديمير جابوتنسكي، رفْضه المُطلق لتأسيس دولة فلسطينيَّة، مقترحًا منْح الفلسطينيين حُكمًا ذاتيًا خاضعًا لسُلطان دولة الاحتلال الإسرائيلي[٤١]. على ذلك؛ يستمرُّ الاستيطان التَّوسُّعي في الضَّفَّة الغربيَّة، الَّتي يلاقي سكَّانها العرب أبشع أنواع التَّنكيل، ضمن مخطَّط تهجيرهم، ليس إلى شرق الأردن، إنما إلى العراق، كما جابوتنسكي ذكر في كتابه **الحرب واليهودي**[٤٢]. هذا، وقد ادَّعى المؤرِّخ اليهودي، بيني موريس، استحالة إمكانيَّة التَّعايش بين اليهود والعرب في دولة واحدة؛ بسبب النَّشاط الإرهابي الَّذي سينخرط فيه العرب جرَّاء عدائهم لليهود[٤٣].

---

[٤١] بنيامين نتنياهو: مكان تحت الشَّمس، ترجمة محمَّد عودة الدُّويري، دار الجليل للنَّشر، طبعة ٣، عمَّان، الأردن، ٢٠١٥م، ص٤٥٩.

[42] Jabotinsky, V. (1941). *The war and the Jew*. Altalena Press.

[43] Morris, B. (2009). *One state, two states: Resolving the Israel/Palestine conflict*. Yale University Press, p.179.

صورة ٠,١-جنديان في جيش الاحتلال يرفعان راية عليها شعار الهيكل الثَّالث

أمام أنقاض مدينة مدمَّرة في غزَّة

وبرغم ذلك، لم يزل بعض زعماء العرب يرون أنَّ الحلَّ الأمثل للصِّراع الفلسطيني الإسرائيلي هو تفعيل حلِّ الدَّولتين، الَّذي لن تقبله اليمينيَّة المتطرِّفة للاحتلال الإسرائيلي. ويكفي أنَّ منذ صعود ذلك اليمين المتطرِّف إلى الحُكم، بتحالف الأحزاب الدِّينيَّة مع حزب اللِّيكود بزعامة نتنياهو، في ديسمبر ٢٠٢٢م، تكثِّف حركة الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة جهودها لإحكام السَّيطرة اليهوديَّة على فلسطين التَّاريخيَّة، بل والتَّوسُّع خارج حدودها، تنفيذًا لمخطَّط دولة إسرائيل الكبرى. فوزيرة الاستيطان والمهام الوطنيَّة، أوريت ستروك، المنتمية إلى حزب الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة المتطرِّف، لم تجد حرجًا في التَّصريح بأن استعادة الاحتلال لمستعمرات قطاع غزَّة، الَّتي تخلَّى عنها بموجب خطَّة فكِّ الارتباط الأحاديَّة عام ٢٠٠٥م، حتميَّة، مهما كانت التَّضحيات[٤٤].

وجاء تصريح ستروك في مارس ٢٠٢٣م، أي قبل أشهر قليلة من شنِّ عمليَّة حرب القيامة الانتقاميَّة على القطاع، بزعم الرَّدِّ على عمليَّة

[٤٤] عقب قرار للكنيست بالعودة إلى مستوطنات بالضَّفَّة.. وزيرة إسرائيلية: مستوطنات غزة جزء من أرضنا وسنعود إليها، موقع الجزيرة نت، ٢٢ مارس ٢٠٢٢م.

طوفان الأقصى، الَّتي شنَّتها حركة حماس على مستوطنات غلاف غزَّة في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م؛ لردْع الاحتلال عن العبث بالوضع الرَّاهن في المسجد الأقصى المبارك، في ظلِّ استعداد جماعات الهيكل المتطرِّفة لبناء الهيكل الثَّالث، بعد أداء طقس ذبْح البقرة الحمراء لأداء شعيرة التَّطهُّر اللَّازمة قبل الشُّروع في البناء[٤٥]. وقد تسرَّب مقطع فيديو لوزير الماليَّة في الحكومة اليمينيَّة المتطرِّفة، بتسلئيل سموتريتش، يعود لعام ٢٠١٦م، يدعو فيه إلى تأسيس دولة إسرائيل الكبرى، بضمِّ العاصمة السُّورية دمشق، والأردن وأجزاء من مصر ولبنان والسَّعودية والعراق؛ أي أنَّ ساسة الاحتلال يصرِّحون علنًا بمخطَّطهم التَّوسُّعي[٤٦].

صورة ٠,٢–خارطة إسرائيل الكبرى على زي أحد جنود الاحتلال الإسرائيلي في غزَّة

[٤٥] محمَّد عبد المحسن: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: بناء الهيكل الثَّالث برماد البقرة الحمراء على أنقاض الْمَسْجِد الْأَقْصَى: النُّبوءات الكتابيَّة في مواجهة الوعد القرآني، دار حدوس وإشراقات للنشر، عمَّان، ٢٠٢٣م، ص١٧٥.

[٤٦] احتلال ٦ دول عربية.. حلم إسرائيلي في ٢٠١٦ انتهى بكوابيس القسام ٢٠٢٣، موقع الجزيرة نت، ١٠ أكتوبر ٢٠٢٤م.

ومع شنِّ حزب الله اللُّبناني، الموالي لإيران، هجمات استفزازيَّة على المستوطنات الشَّماليَّة للاحتلال الإسرائيلي، بزعم التَّضامن مع حركات المقاومة الإسلاميَّة في قطاع غزَّة، والَّتي تتلقَّى من إيران دعمًا عسكريًّا، بدأ الاحتلال في اجتياح جنوب لبنان منذ نهاية سبتمبر ٢٠٢٤م، في خطوة تصعيديَّة تهدِّد باندلاع حرب إقليميَّة واسعة النِّطاق. ويذكِّر ما فعله حزب الله بما سبق وأن فعلته حركة فتح، الجناح المسلَّح منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، بزعامة ياسر عرفات، أوَّل رئيس للسُّلطة الفلسطينيَّة، عند تأسيسها عام ١٩٦٥م، بشن هجمات على الاحتلال من جهة الجولان، بمعاونة النِّظام العلوي الطَّائفي في سوريا، لتمنح الاحتلال بذلك مبرِّر شنِّ حرب الأيَّام السِّتَّة في ٥ يونيو/حزيران ١٩٦٧م، ليحتلَّ بذلك شبه جزيرة سيناء، وقطاع غزَّة، ومرتفعات الجولان، والضَّفَّة الغربيَّة لنهر الأردن في غضون ٦ أيَّام.

وتذكِّر هجمات المقاومة الشِّيعيَّة على الاحتلال أيضًا بما فعلته عناصر المقاومة التَّابعة لمنظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، بشنِّ هجمات على مستوطنات الاحتلال من جهة جنوب لبنان، أثناء استضافة لبنان لهم بعد طردهم من الأردن، على خلفيَّة أحداث أيلول الأسود عام ١٩٧٠م، ليجتاح جيش الاحتلال جنوب لبنان في ٦ يونيو ١٩٨٢م، بذريعة حماية أمنه ودحْر المقاومة الفلسطينيَّة، ويظلُّ محتلًّا جنوب لبنان حتَّى مايو ٢٠٠٠م. وما يثير الانتباه هو أنَّ المؤرِّخ أسعد رزُّوق، في دراسته لأبعاد مخطَّط إسرائيل الكبرى عام ١٩٦٨م، قد أفاد بأنَّ الاحتلال

ينتظر أنسب فرصة لشنِّ حرب واسعة النِّطاق لتنفيذ أهدافه التَّوسُّعيَّة[٤٧]، بناءً على ما اشتملت عليه الخطَّة الاستراتيجيَّة لجيش الاحتلال للعام ١٩٥٦-١٩٥٧م، الَّتي كشفت عن تخطيط الاحتلال الإسرائيلي للاستحواذ على شبه جزيرة سيناء، والضَّفَّة الغربيَّة، وجنوب لبنان وقطاع غزَّة[٤٨].

ويبدو أنَّ الوقت قد حان لإتمام مخطَّط توسُّع الاحتلال الإسرائيلي في محيطه العربي، متسلِّحًا بذريعة حماية أمنه في مواجهة الهجمات العدوانيَّة الَّتي تشنُّها حركات المقاومة المدعومة من إيران، الَّتي توجد عشرات الأدلَّة على عدم وجود عداء بينها وبين الاحتلال، وعلى أنَّ مشروع الهلال الخصيب الَّذي تريد إيران تنفيذه يتطابق مع مخطَّط إسرائيل الكبرى[٤٩]. ويبشِّرنا بيان الوحي الإلهي بأنَّ العلوَّ الثَّاني لبني إسرائيل مآله إلى الزَّوال، مصداقًا لقول الله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا[٥٠]﴾. وقد أخبرنا نبيُّنا مُحمَّد (ﷺ) أنَّ الدَّجَّال سيخرج في آخر الزَّمان من مدينة أصبهان، أو أصفهان، الإيرانيَّة وأنَّ مناصريه من اليهود[٥١]، وأنَّ الكيان الَّذي سيتبع الدَّجَّال سينهار، بإذن الله، على يد

---

[٤٧] أسعد رزُّوق: إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التَّوسُّعي الصُّهيوني، مركز الأبحاث، منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، ١٩٦٨م، ص٥٧٧.

[٤٨] روسي كارانجيا: خنجر إسرائيل، ترجمة مروان الجابري، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٥٨م، صـ٧٥-٧٧.

[٤٩] سيِّد حسين العفَّاني: حزب الله الرَّافضي...تاريخ أسود وافتراءات، دار العفَّاني، طبعة ١، مصر، ٢٠٠٧م، ص٥٣.

[٥٠] [سورة الإسراء:٧].

[٥١] "يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِن يَهُودِ أصْبَهانَ، سَبْعُونَ ألْفًا عليهمُ الطَّيالِسَةُ": صحيح مسلم، ٢٩٤٤.

المسلمين[٥٢]، الَّذين سيتبِّرون ويسحقون دولة الدَّجَّال، ويحبطون المخطَّط الخبيث الَّذي وضعته الجماعات السِّرِّيَّة منذ قرابة ٢٠٠٠ عام لتحريف البشر عن دين الله الحقِّ.

[٥٢] عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) "كنتُ مع النَّبيِّ ﷺ في غَزاةٍ فأتاه قَومٌ مِن قِبَلِ المَغرِبِ عليهم ثيابُ الصُّوفِ، فوافَقوه عِندَ أَكَمةٍ وهم قيامٌ وهو قاعِدٌ، فأَتَيتُه فقُمتُ بَينَهم وبَينَه، فحَفِظتُ أربَعَ كَلِماتٍ أَعُدُّهنَّ في يَدي، قال: يَغزونَ جَزيرةَ العَرَبِ، فيَفتَحُها اللهُ، ثمَّ يَغْزونَ فارِسَ، فيَفتَحُها اللهُ، ثمَّ يَغْزونَ الرُّومَ، فيَفتَحُها اللهُ، ثمَّ يَغْزونَ الدَّجَّالَ، فيَفتَحُه اللهُ ": حلية الأولياء، ٢٨١/٨.

الفصل الأوَّل
مخطَّط دولة إسرائيل الكبرى
الأصل والتَّداعيات

منذ بداية النَّشاط الصُّهيوني لاحتلال اليهود للأرض المقدَّسة، أو فلسطين التَّاريخيَّة، يستند اليهود إلى نصٍّ كتابيَّة في العهد القديم، يعد فيه الرَّبُّ أبراهام العبراني بمُلك أبدي له ولذريَّته، من نسل ابنه إسحق، على تلك الأرض، ويقول هذا النَّصُّ "لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ"[٥٣]. تتحدَّد تفاصيل ذاك العهد في موضع آخر[٥٤]، وفيه يشترط الرَّبُّ أن يكون إلهًا لبني إسحق، أي أن يعبدوه وحده دون ندٍّ ولا شريك. وبرغم تحقُّق الوعد الإلهي جزئيًّا، بميراث بني إسرائيل، أو يعقوب بن إسحق، الأرض المُقدَّسة ومُلكهم عليها لقرون، فهم لم يلتزموا بشرط الرَّبّ، بأن يكون إلههم وحده دون شريك، بأن عبدوا آلهة أخرى وأقاموا لها الطُّقوس الدِّينيَّة المكرَّسة

[٥٣] سفر التَّكوين: إصحاح ١٥، آية ١٨.

[٥٤] "وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً. فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأُكَثِّرَكَ كَثِيرًا جِدًّا». فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ. وَتَكَلَّمَ اللهُ مَعَهُ قَائِلاً. «أَمَّا أَنَا فَهُوَ ذَا عَهْدِي مَعَكَ، وَتَكُونُ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ. فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ. وَأُثْمِرُكَ كَثِيرًا جِدًّا، وَأَجْعَلُكَ أُمَمًا، وَمُلُوكٌ مِنْكَ يَخْرُجُونَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ»" (سفر التَّكوين: إصحاح ١٧، آيات ١-٨).

لربّهم وحده[٥٥]؛ ولذلك توعَّد الرَّبُّ بني إسرائيل بالفناء والهلاك والإقصاء من الأرض المقدَّسة[٥٦].

وهناك أدلَّة أخرى على بطلان ذلك الوعد[٥٧]، منها حصر الرَّبِّ الوعد بالمُلك الأبدي على الأرض ما بين نهر الفرات ونهر مصر في إسحق وحده، دون إسماعيل، من مُنطلق الحفاظ على نقاء السُّلالة، على اعتبار أنَّ إسحق ابن سارة، ابنة عم أبرام، بينما إسماعيل ابن هاجر، جارية سارة، وفي ذلك ما يتعارض مع معيار التَّفضيل الَّذي حدَّده الله تعالي لانتقال عهْده، وهو النُّبوَّة والكتاب والإمامة، لذريَّة إبراهيم (عليه السَّلام)، وهو إحسان الفعل ونبْذ الظُّلم، مصداقًا لقوله تعالى ﴿وَإِذِ ابتلى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ[٥٨]﴾.

هذا، وقد نفى المؤرِّخ اليهودي، آرثر كوستلر، فرية وجود نسل مقدَّس لليهود يتميَّز عن سائر الأمم الأخرى[٥٩]، حيث أثبتت القياسات البشريَّة اختلاف اليهود من حيث طول القامة، والبشرة، والوزن، واللون، وفصائل الدم، وتقاربهم مع الأمم الأخرى، الَّتي يعتبرونها من الأغيار، في القياسات البشريَّة ذاتها. كوَّن كوستلر ذلك الرَّأي في ضوء ما خرج به عالم الاجتماع الأمريكي اليهودي،

---

[٥٥] "هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ كُلَّ الشَّرِّ الَّذِي جَلَبْتُهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ، وَعَلَى كُلِّ مُدُنِ يَهُوذَا، فَهَا هِيَ خَرِبَةٌ هذَا الْيَوْمَ وَلَيْسَ فِيهَا سَاكِنٌ، مِنْ أَجْلِ شَرِّهِمِ الَّذِي فَعَلُوهُ لِيُغِيظُونِي، إِذْ ذَهَبُوا لِيُبَخِّرُوا وَيَعْبُدُوا آلِهَةً أُخْرَى لَمْ يَعْرِفُوهَا هُمْ وَلاَ أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ. فَأَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ كُلَّ عَبِيدِي الأَنْبِيَاءِ مُبَكِّرًا وَمُرْسِلاً قَائِلاً: لاَ تَفْعَلُوا أَمْرَ هذَا الرِّجْسِ الَّذِي أَبْغَضْتُهُ" (سفر ارميا، إصحاح ٤٤، آيات ٢-٤).

[٥٦] "وَكَمَا فَرِحَ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُحْسِنَ إِلَيْكُمْ وَيُكَثِّرَكُمْ، كَذلِكَ يَفْرَحُ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُفْنِيَكُمْ وَيُهْلِكَكُمْ، فَتُسْتَأْصَلُونَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا. وَيُبَدِّدُكَ الرَّبُّ فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا، وَتَعْبُدُ هُنَاكَ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلاَ آبَاؤُكَ، مِنْ خَشَبٍ وَحَجَرٍ" (سفر التَّثنية: إصحاح ٢٨، آيتان ٦٣-٦٤).

[٥٧] محمَّد عبد المحسن: ﴿ليسوؤوا وجوهكم﴾ القبَّالة في ميزان القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، مكتبة نور الإلكترونيَّة، ٢٠١٩م، صـ٦٨-٧٠.

[٥٨] [سورة البقرة: ١٢٤].

[59] Koestler, A. (1976). *The thirteenth tribe*. New York: Random House, pp.77-78.

مجري الأصل، رافائيل باتاي، في كتابه **أسطورة العرق اليهودي**[٦٠]، الَّذي ألَّفه بمعاونة جينيفر بي. شنيدر، أو جينيفر باتاي، أستاذ العلوم الطِّبيَّة المتخصّصة في علم الوراثة الجزيئيَّة، وأثبت فيه، من خلال إجراء تحليل تاريخي وجيني، عدم وجود نسل مميَّز لليهود يختصَّون به عن سائر الأمم.

ارتباط مخطَّط إسرائيل الكبرى بالصُّهيونيَّة

منذ نشأة الحركة الصُّهيونيَّة السِّياسيَّة الحديثة على يد تيودور هرتزل، وتأسيس المنظَّمة الصُّهيونيَّة عام ١٨٩٧م، ارتبط مخطَّط دولة إسرائيل الكبرى بتلك الحركة، الَّتي سعى أتباعها إلى الاستحواذ على أرض فلسطين التَّاريخيَّة وأجزاء من الدُّول المجاورة لتأسيس تلك الدَّولة المزعومة، "بالقوَّة والعنف والدَّسِّ والدَّهاء والإغراء والإرهاب والتَّآمر"؛ لتصبح وطنًا قوميًّا لليهود[٦١]. بدأ العمل على توسُّع دولة الاحتلال الإسرائيلي على حساب محيطها العربي منذ تأسيسها رسميًّا عام ١٩٤٨م، وجاءت حرب الأيَّام السِّتَّة، عام ١٩٦٧م، لتكون بمثابة الخطوة الأولى لتنفيذ ذلك المخطَّط الخبيث.

صورة ١,١-خارطة إسرائيل الكبرى

[60] Patai, R., & Patai, J. (1975). *The myth of the Jewish race*. New York: Charles Scribner.

[٦١] أسعد رزُّوق: إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التَّوسُّعي الصُّهيوني، مركز الأبحاث، منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، ١٩٦٨م، ص٩.

ويرى الكتاب والمفكِّر والباحث اللُّبناني، أسعد رزُّوق، أنَّ الحركة الصُّهيونيَّة تتبع مبدأ الاستردادِيَّة، أو التَّحريريَّة الوحدويَّة، الدِّينيَّة (Religious Irredentism) في سعيها لتأسيس دولة الاحتلال الإسرائيلي الكبرى. ويُقصد بمبدأ الاستردادِيَّة رغبة إحدى الدُّول في الاستحواذ على أراضي دولة أخرى بزعم الاشتراك معها في الإرث التَّاريخي والثَّقافي، وهو ما تفعله الصُّهيونيَّة، ولكن بإكساب مساعيها للتَّوسُّع في محيطها مشروعيَّة دينيَّة. وقد أطلق الاحتلال اليهودي لأرض فلسطين على حرب عام ١٩٤٨م اسمي حرب التَّحرير وحرب الاستقلال؛ للزَّعم بأنَّ تلك الحرب استهدفت تحرير الأرض من العرب، وكأنَّهم المغتصب الحقيقي للأرض، وليس العكس. تعمَّدت الصُّهيونيَّة تحوير بعض النُّصوص الدِّينيَّة في سبيل تحقيق مطامعها التَّوسُّعيَّة، مستترة خلف قناع التَّحرير والاستقلال. ويمكن تحديد ماهيَّة الصُّهيونيَّة كما يلي:

> الصُّهيونيَّة باعتبارها فكرة ودعوة وحركة تستمدُّ مقومِّاتها من مصادر شتَّى، يهوديَّة وغير يهوديَّة. وتجمع بين البواعث الدِّينيَّة والخلاصيَّة، الَّتي ترسَّبت في عقيدتي انتظار مجيء المسيح المُخلِّص (Messianism)، واليوتوبيَّة من الجهة الواحدة، والمطامع الأرضيَّة والتَّوسُّعيَّة و ''الصَّليبيَّة المستترة'' من الجهة الأخرى[٦٢].

كانت عقيدة انتظار مخلِّص بني إسرائيل وتأسيسه دولة عالميَّة عاصمتها أورشليم، أو القُدس المحتلَّة، المحفِّز الأكبر للحركة الصُّهيونيَّة في سعيها

[٦٢] المصدر السَّابق: ص١٧.

لاحتلال اليهود لأرض فلسطين. ولا شكَّ في أنَّ تيودور هرتزل كان يعتنق عقيدة القبَّالة، أو الباطنيَّة اليهوديَّة، شديدة التَّشابه مع عقيدة الصُّوفيَّة المغالية المحسوبة على الإسلام زورًا، خاصَّةً في إيمانها بالغيبيَّات والخوارق والتَّواصل مع الموتى. وليس أدلّ على ذلك أكثر ممَّا كشف به هرتزل قبل أشهر من وفاته للكاتب اليهودي، رويفن براينن، من أنَّه رأى "المسيح الملك" في رؤيا، قال له فيها "اذهب وأعلن لليهود أنَّني سوف آتي عمَّا قريب لاجترح المعجزات الكبيرة وأسدي الأعمال العظيمة لشعبي وللعالم بأسره"[٦٣]. يعني ذلك أنَّ اتِّباع الظَّنِّ بالتَّواصل مع المسيح عبر الرُّؤى من محرِّكات الصُّهيونيَّة ومحدِّدات أهدافها!

صورة ١,٢-تيودور هرتزل

نجح هرتزل في استقطاب أباطرة المال من المرابين اليهود لتمويل أهداف الصُّهيونيَّة، اعتمادًا على العقائد الأخرويَّة لليهود، لتنطلق أنشطة الصُّهيونيَّة بعد مؤتمرها الأوَّل في بازل السِّويسريَّة عام ١٨٩٧م. وكانت الخطوات الَّتي تمَّ

[63] Bein, A. & Samuel, M. (1945). *Theodore Herzl: A Biography*. Philadelphia: The Jewish Publication Society of America, pp.13-14.

تحديدها لتدشين مخطَّط استعمار اليهود لفلسطين: استغلال العمَّال الزِّراعيين والصِّناعيين اليهود في تسهيل الهجرة اليهوديَّة إلى فلسطين؛ وتضافر جهود القوى اليهوديَّة بواسطة منظَّمات عالميَّة تتولَّى مهمَّة الرَّبط بين يهود العالم؛ ونشْر الوعي القومي اليهودي[٦٤]. وتنبَّأ هرتزل بتأسيس دولة الاحتلال الإسرائيلي، أو الوطن القومي لليهود كما أطلق عليها، بعد ٥٠ عامًا من مؤتمر بازل، وهو ما تحقَّق فعليًّا بإعلانها رسميًّا في ١٥ مايو ١٩٤٧م:

> لو أردتُ أن أختصر مؤتمر بازل في كلمة واحدة–وهذا لن أجاهر به صراحة–لقلتُ: في مؤتمر بازل أُسِّست الدَّولة الصُّهيونيَّة. ولو قلتُ ذلك اليوم، لقابلني العالم بالسّخرية والضَّحك. ولكن بعد ٥ سنوات على وجه الاحتمال، وبعد ٥٠ سنة على وجه التَّأكيد، سيرى هذه الدَّولة جميع النَّاس[٦٥].

ليس بجديد الحديث عن عرْض تيودور هرتزل على السُّلطان العثماني، عبد الحميد الثَّاني (١٨٧٦–١٩٠٩م)، منْحه ١٥٠ مليون جنيه إسترليني من الذَّهب في سبيل تسديد ديون الدَّولة العثمانيَّة، ورفْض السُّلطان ذلك، في رسالة أرسلها لهرتزل مع صديقه اليهودي، الكونت فيليب نيولنسكي، قل فيها "قل لصديقك هرتزل إنَّني لا أستطيع أن أبيع ولو قدمًا واحدة من البلاد لأنَّها ليست ملكًا لي بل لشعبي... لقد حصل أبناء شعبي على هذه الأرض بالقتال وبدمائهم وقد غذُّوها بدمائهم، ونحن سنغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا..

---

[٦٤] أسعد رزُّوق: المصدر السَّابق، ص٢١.

[٦٥] أنيس صايغ: يوميَّات تيودور هرتزل، جزء٢، ترجمة هيلدا شعبان صايغ، مركز الأبحاث، منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، ١٩٦٨م، ص٥٨١.

ليوفر اليهود ملياراتهم.. فإذا قُسِّمت إمبراطوريتي ربَّما يحصلون على فلسطين بلا مقابل، إنَّما لن تقسَّم إلَّا على جثثنا. أنا لن أقبل تشريحنا ونحن أحياء"[٦٦].

وبعد وفاة هرتزل عام ١٩٠٤م، تولَّى صديقه، القسُّ الأنغليكاني وأبرز زعماء الصُّهيونيَّة المسيحيَّة، وليام هشلر، مسؤوليَّة تنظيم هجرة اليهود لاستعمار أرض فلسطين. نجح حاييم وايزمان، ثاني أهمّ زعماء الصُّهيونيَّة السِّياسيَّة بعد هرتزل، في استقطاب آرثر بلفور، وزير الخارجيَّة البريطاني في حكومة دافيد جورج لويد، لإصدار قراره الشَّهير، والمعروف بوعد بلفور، بمنح اليهود فلسطين لتكون وطنًا قوميًّا لهم، وذلك عام ١٩١٧م. وخضعت فلسطين للانتداب البريطاني عام ١٩٢٠م، بعد هزيمة الدَّولة العثمانيَّة في الحرب العالميَّة الأولى (١٩١٤-١٩١٨م)، وإنهاء الوجود العثماني في الشَّام والعراق وشبه الجزيرة العربيَّة، بتواطؤ من شريف مكَّة، الحسين بن عليّ، وأبنائه، عبد الله وفيصل وعليّ، مع بريطانيا، وتعاونهم مع ضابط المخابرات البريطاني اليهودي، توماس إدوارد لورانس، في مؤامرة الثَّورة العربيَّة الكبرى[٦٧]. ولا عجب في اختيار اليهودي هربرت صموئيل ليكون المندوب السَّامي البريطاني في فلسطين، ليُطلق يد المهاجرين اليهود في استيطان الأرض:

> بدعم من صموئيل، تحوَّلت الوكالة اليهوديَّة، الَّتي كانت مهمَّتها بموجب نظام الانتداب إرشاد المواطنين اليهود اجتماعيًّا واقتصاديًّا، إلى دولة داخل الدَّولة.. نتيجة لذلك كلِّه تضاعَف عدد اليهود في فلسطين ووصَل إلى ١٧ بالمائة من السُّكَّان (١٧٠ ألفًا). وعندما قاوَم العرب الهجرة والاستيطان

---

[٦٦] محمَّد عبد المحسن: ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ -الصُّهيونيَّة المسيحيَّة: محرّك سياسات ورثة كورش الممهِّدة لمعركة هرمجدون، حدوس وإشراقات للنَّشر، عمَّان، الأردن، ٢٠٢٤م، ص٧٢.

[٦٧] المصدر السَّابق: ص٧٣.

ومصادرة الأراضي وتواطؤ المندوب السَّاميّ، كوَّن اليهود المنظَّمات الإرهابيَّة شترن Stern وارغون Irgun Zvie Leumi، وهي المنظَّمات الَّتي تحوَّلت إلى النَّواة الأولى للجيش الإسرائيلي في العام ١٩٤٨م وما بعده[٦٨].

نشأة الصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة

ودورها في الدَّفع لتأسيس إسرائيل الكبرى

لم تتمتَّع فلسطين الانتدابيَّة بالحدود الَّتي ترضي الطُّموح التَّوسُّعي لليهود، خاصَّة بعد فصْل شرق نهر الأردن عنها في إمارة مستقلَّة تحت حُكم عبد الله بن الحسن بن عليّ، عام ١٩٢١م، ثمَّ تحوَّلت إلى المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة عام ١٩٤٦م. وقد ادَّعى السِّياسي البارز ورئيس حكومة الاحتلال الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، أنَّ معاهدة فرساي، الَّتي أُبرمت في فرنسا في ٢٨ يونيو ١٩١٩م، في أعقاب الحرب العالميَّة الأولى، منحت اليهود أحقيَّة تأسيس دولة على كامل أراضي فلسطين الانتدابيَّة، بما يشمل شرق الأردن، لكنَّ ما حدث هو منْحهم ١٥ بالمائة فقط من المساحة الَّتي أقرَّتها معاهدة فرساي[٦٩]. بالطَّبع، لم تكن الصُّهيونيَّة لترضى عن تلك المساحة المحدودة، الَّتي لم تكن تُشبع طموحاتها التَّوسُّعيَّة:

[٦٨] محمَّد السَّمَّاك: الأصوليَّة الإنجيليَّة: الصُّهيونيَّة المسيحيَّة والموقف الأمريكي، مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٩١م، ص٦٠.

[٦٩] بنيامين نتنياهو: مكان تحت الشَّمس، ترجمة محمَّد عودة الدُّويري، دار الجليل للنَّشر، طبعة ٣، عمَّان، الأردن، ٢٠١٥م، ص٧٣.

وهكذا وجدت الحركة الصُّهيونيَّة نفسها، بعد مضي ربع قرن على قيامها وتأسيسها، أمام ''فلسطين'' الَّتي رسم الانتداب حدودها فجاءت مطابقة للصُّورة الَّتي خلقتها الرَّواسب الدِّينيَّة عن الرُّقعة الممتدة من دان إلى بئر السَّبع. غير أن فلسطين الانتداب هذه لم تكن مطابقة للأماني الصُّهيونيَّة الَّتي طالعتنا شتَّى التَّعبيرات عنها: من ''مملكة داود وسليمان''، إلى ''فلسطين الكبرى'' و ''إسرائيل الكبرى''، وإلى ''فلسطين بحدودها التَّاريخيَّة''، و ''الوطن القومي لليهود'' في الحدود الَّتي رسمتها له مذكَّرة المطالب الصُّهيونيَّة المرفوعة إلى مؤتمر الصُّلح[٧٠].

كان الطَّبيب والكاتب والزَّعيم الصُّهيوني المجري، ماكس نورداو، من أشدِّ المعارضين للمساحة المحدودة الممنوحة لإسرائيل الانتدابيَّة، واتَّهم زعماء المنظَّمة الصُّهيونيَّة، الَّتي شارك في تأسيسها، بالتَّقصير والتَّفريط في المساحة المفترَض حصول اليهود عليها لتأسيس دولتهم. ولم يكن نورداو وحده السَّاخط على المساحة الممنوحة لليهود في أرض فلسطين التَّاريخيَّة، حيث ظهر تيَّار جديد في الحركة الصُّهيونيَّة، بزعامة الكاتب الرُّوسي زئيف فلاديمير جابوتنسكي، طالَب بتأسيس دولة يهوديَّة على كامل مساحة فلسطين التَّاريخيَّة بما يشمل إسرائيل الانتدابيَّة وشرق الأردن، وهو تيَّار عُرف بالصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة. ولعلَّ من أهمِّ توجُّهات ذلك التَّيَّار، الَّذي ينتمي إليه حزب اللِّيكود

[٧٠] أسعد رزُّوق: المصدر السَّابق، ص٤٥٤.

الحاكم في دولة الاحتلال، العداء التَّام للعرب، وإنكار أيِّ حقٍّ لهم في الأراضي الفلسطينيَّة، وهو ما يعني رفْض مقترح حلِّ الدَّولتين لإنهاء الصِّراع الفلسطيني الإسرائيلي.

صورة ١,٣-شعار عصابة ايستل الصُّهيونيَّة

واصَل جابوتنسكي وأبناء تيَّار الصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة جهودهم للدَّفع بتأسيس دولة يهوديَّة تشمل ضفَّتي نهر الأردن، وأسَّسوا عام ١٩٢٥م حركة تحت اسم هتسوهار، نادت بإجراء إصلاحات شاملة في سياسة الإدارة الصُّهيونيَّة تجاه سلطات الانتداب البريطاني[٧١]. وأسَّس جابوتنسكي مع رفاقه عصابة يهوديَّة أطلقوا عليها عصابة ايتسل، والمعروفة كذلك باسم ارغون، انشقُّوا بها عن عصابات الهاغانا الَّتي كانت تواجه بعض التَّضييق من سلطات الانتداب البريطاني في أعمالها الإرهابيَّة لتهجير الفلسطينيين وسرقة ممتلكاتهم والاستيلاء

[٧١] صهيونيَّة تصحيحيَّة: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

على أراضيهم، واتَّخذوا للعصابة شعارًا عبارة عن يد تمسك بندقية فوق خارطة ‘‘أرض إسرائيل’’ على ضفتي نهر الأردن، وكتب عليها بحروف كبيرة "راك كاخ"، ولعلَّ من أشهر جرائم تلك العصابة مذبحة دير ياسين، في ٩ أبريل ١٩٤٨م، الَّتي راح ضحيَّتها أكثر من ٢٠٠ من الفلسطينيين العزَّل[٧٢]. وبعد تأسيس دولة الاحتلال رسميًّا في ١٥ مايو من العام ذاته، اندمجت عصابة ايستل مجدَّدًا مع عصابة الهاغانا لتكوين جيش الدِّفاع الإسرائيلي، بالاتِّفاق مع ديفيد بن غوريون، الَّذي صار أوَّل رئيس لحكومة الاحتلال وأوَّل وزير للدِّفاع.

يعتبر المؤرِّخ أسعد رزُّوق أنَّ زئيف فلاديمير جابوتنسكي يستحقُّ أن تُنسب إليه حقبة هامَّة في تاريخ الحركة الصُّهيونيَّة، أطلق عليها "الصُّهيونيَّة الكبرى"[٧٣]، مشيرًا إلى أنَّ جهوده، الممتدَّة حتَّى هلاكه عام ١٩٤٠م، تجعل منه أبرز أقطاب الحركة الصُّهيونيَّة بعد تيودور هرتزل، ومن بعدهما يأتي ديفيد بن غوريون. ناقش المؤتمر الصُّهيوني الثَّاني عشر، المنعقد في مدينة كارلسباد في تشيكوسلوفاكيا ما بين ١ و١٤ سبتمبر ١٩٢١م، وهو أوَّل مؤتمر للمنظَّمة الصُّهيونيَّة ينعقد منذ صدور وعد بلفور، مسألة حدود دولة اليهود المزعومة، وكان جابوتنسكي، بوصفه عضوًا في اللَّجنة التَّنفيذيَّة للمنظَّمة الصُّهيونيَّة، من المطالبين بضمِّ أراضي شرق الأردن لدولة اليهود، ليتَّخذ المؤتمر القرار التَّالي:

> يأخذ المؤتمر علما، وسط الارتياح، بأنَّ منطقة شرقي الأردن، والَّتي ينظر إليها الشَّعب اليهودي كجزء متمم من أرض إسرائيل، سوف تُدمج في منطقة الانتداب الفلسطيني. ويجد

[٧٢] ايستل: المركز الفلسطيني للدِّراسات الإسرائيليَّة-مدار.
[٧٣] أسعد رزُّوق: المصدر السَّابق، ص٤٥٦.

المؤتمر نفسه مُلزمًا بالإعراب عن أسفه لكون مسألة الحدود الشَّماليَّة لأرض إسرائيل لم تجد سبيلها إلى حلٍّ مُرضٍ حتَّى الآن، وعلى الرَّغم من كلِّ المساعي الَّتي بذلتها اللَّجنة التَّنفيذيَّة[٧٤].

كان أعضاء المنظَّمة الصُّهيونيَّة منشغلين بتوفير مصادر دائمة للمياه ضمن حدود دولة اليهود؛ ولذلك أرادوا وجود نهر اللِّيطاني في لبنان، الذَّي اعتبروه أغنى خزَّانات أرض فلسطين، أن يدخل في حدود دولتهم. ولذلك، طالبت المنظَّمة المجلس الأعلى لمؤتمر الصُّلح في باريس عام ١٩١٩م بمنح سكَّان مناطق جنوب نهر اللِّيطاني حقَّهم في مياهه[٧٥]. وقد طالب بن غوريون الخارجيَّة البريطانيَّة بالسَّماح بوصول حدود دولة اليهود إلى لبنان؛ لضمان تزوُّد الشَّعب اليهودي بمياه نهر اللِّيطاني[٧٦]. وأراد جابوتنسكي ضمَّ منطقة أرض أرض جلعاد، وهي الكتلة الجبلية الواقعة بين نهر اليرموك شمالًا ونهر الزرقاء جنوبًا ونهر الأردن غربًا، إلى حدود دولة اليهود؛ كونها من أغنى المناطق بالموارد المائيَّة وأكثر خصوبة، كما ورد في مقال تحت عنوان "الوضع السِّياسي" يُنسب إلى جابوتنسكي، وإن لم يعترف بأنَّه كاتبه الفعلي. جدير بالذِّكر أن كاتب مقال "الوضع السِّياسي" قد أشار إلى أنَّ المنطقة الخاضعة للانتداب الفرنسي في الشَّام، في إشارة إلى لبنان وسوريا، ليس من المستبعد

---

[٧٤] المصدر السَّابق: ص٤٥٨.

[٧٥] فادي أحمد أبو حسان: لبنان في دائرة المشروع الإستراتيجي الإسرائيلي، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، ٢٠٠٥، ص٤٩.

[٧٦] عدنان السيد حسين: التوسع في الإستراتيجية الإسرائيلية، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م، ص١٢٦.

امتداد حدود دولة اليهود إليها، حيث قال إن حدود تلك الدَّولة "لا تنحصر من ناحية المبدأ بمنطقة الانتداب البريطاني"[٧٧].

لم يكن جابوتنسكي ينزع إلى عمل العصابات اليهوديَّة في الخفاء، بل طالَب بتقنين نشاطها ومنْحها الدَّعم الكافي من المال والعتاد العسكري، داعيًا إلى تأسيس جيش من اليهود يرتكب المجازر ضدَّ الفلسطينيين لتهجيرهم بالكامل. لذلك؛ اتُّهم جابوتنسكي بالتَّطرُّف من قِبل بعض أعضاء المنظَّمة الصُّهيونيَّة، ممَّن رأوا أنَّ في أفكاره ما يتسبَّب في مزيد من التَّأزم في علاقة اليهود بالعرب، وهو ما قد يفضي إلى صراعات دامية. من هنا، بدأ الزَّعيم الصُّهيوني، المنعوت بالثَّائر ورجل الدَّولة والنَّبيّ المحارب، في الانقلاب على مبادئ المنظَّمة الصُّهيونيَّة، بتأسيس حركة الصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة، وأصرَّ على عسكرة الشَّباب اليهودي داخل فلسطين وخارجها، وراح هو ورفاقه في طباعة منشورات كانت تُرسل إلى مؤيّدي الصُّهيونيَّة باسم "رابطة تصحيح الصُّهيونيَّة"، معتبرًا أن مبادئ تلك الحركة كان التَّعبير الأصدق عن رؤية تيودور هرتزل للصُّهيونيَّة. أمَّا عن موقف المنظَّمة الصُّهيونيَّة من ذلك، فكان أن:

> اتَّهمته (أي جابوتنسكي) الصَّحافة الصُّهيونيَّة الموالية للمنظَّمة بأنَّه لا يتورَّع عن المجاهرة بمطالب متطرِّفة، كما نسبت إليه إعطاء العالم أجمع سلاحًا جديدًا لاستعماله ضدَّ الصُّهيونيَّة. فهو يعطي النَّاس، في نظرها، فكرة خاطئة تقول بأنَّ الصُّهيونيين ينوون السَّيطرة على عرب فلسطين بقوَّة السِّلاح،

[٧٧] أسعد رزُّوق: المصدر السَّابق، ص٤٦٥.

ويُقدم على مغامرة سوف تُلحق الأذى بقضيَّة التَّفاهم مع العرب. كما أنَّ محاضراته ليست سوى حملة تُشنُّ ضدَّ الدَّعائم المقدَّسة للحركة الصُّهيونيَّة[٧٨].

شارك جابوتنسكي في المؤتمر الصُّهيوني الرَّابع عشر، الَّذي انعقد في فيينا بالنَّمسا ما بين ١٨ و٣١ أغسطس ١٩٢٥م، وكان من أهمِّ الملفَّات الَّتي ناقشها المشكلات الَّتي كانت تواجه الهجرة اليهوديَّة إلى فلسطين، وقد نجح في فرْض مبادئ حركة الصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة، الَّتي صارت جزءًا لا يتجزَّأ من المنظَّمة الصُّهيونيَّة، برغم ما واجهه من اتِّهامات بإثارة الفتنة مع العرب، بدعوته إلى العمل العسكري لتهجير الفلسطينيين، حتَّى قبل إتمام مشروع هجرة اليهود إلى أرض فلسطين. من هنا، انطلق جابوتنسكي في نشْر فكرة توسُّعيَّة دولة اليهود، وبدأ في الخروج في جولات لاستقطاب الدَّاعمين من غير معتنقي الفكر الصُّهيوني. وتضمَّنت رؤية الصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة مبدأين أساسيين، هما تشكيل جيش يهودي مستقلّ، وتنفيذ الإصلاح الزِّراعي في فلسطين بنزع ملكيَّة الأراضي من العرب، بزعم أنَّ تلك الأراضي متروكة دون زراعة.

عني جابوتنسكي بنشر أفكاره المتطرِّفة بين الشَّباب اليهودي، ممَّن كان يحرِّضهم على استخدام العنف في سبيل تحقيق أهداف الصُّهيونيَّة، وانتزاع كامل أراضي دولة اليهود من العرب، وكان ينمِّي في عقول تلامذته "''عقليَّة الغزاة'' الطَّامعين بالاستيلاء على فلسطين بحدِّ السَّيف"، معتبرًا أنَّ "التَّوراة والسَّيف" أهمُّ ما يجب أن يتسلَّح به الشَّباب اليهودي[٧٩]. وعُرف عن جابوتنسكي

[٧٨] المصدر السَّابق: صـ٤٨٣-٤٨٤.
[٧٩] المصدر السَّابق: ص٤٩١.

بُغضه للعرب، وعدم اكتراثه بإيذاء مشاعرهم أو بإثارة احتجاجهم بما يقوم به من خطوات استفزازيَّة، خاصَّةً مع إصراره على ضمِّ منطقة شرق نهر الأردن إلى حدود دولة اليهود.

ولا شكَّ في جابوتنسكي وهو الَّذي وضَع مبدأ استخدام العنف في سبيل خدمة مصالح الصُّهيونيَّة التَّوسُّعيَّة، حتَّى إتمام تأسيس دولة إسرائيل الكبرى وهو المبدأ الَّذي يتَّبعه زعماء الصُّهيونيَّة من بعده، وصولًا إلى حزب اللِّيكود الحاكم اليوم. ويعبِّر مناحيم بيغن، تلميذ جابوتنسكي وزعيم حزب اللِّيكود الَّذي أبرم اتِّفاقيَّات كامب ديفيد مع الرَّئيس المصري الرَّاحل، أنور السَّادات، عام ١٩٧٨م، عن ذلك التَّوجُّه، بما صرَّح به عام ١٩٥٠م، بقوله "لن يكون سلام لشعب إسرائيل، ولا لأرض إسرائيل، حتَّى ولا للعرب، ما دمنا لم نحرِّر وطننا بأجمعه، حتَّى ولو وقَّعنا معاهدة الصُّلح"[٨٠]. وتجدر الإشارة إلى أنَّ قرارات حكومات الاحتلال الإسرائيلي، بالانسحاب من مستعمرات سيناء وشرق الأردن وقطاع غزَّة وبعض مستعمرات الضُّفَّة الغربيَّة، بموجب اتِّفاقيات السَّلام مع العرب، لاقت معارضة شديدة من زعماء الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة المسيانيَّة، وصلت إلى حدِّ تحريض المستوطنين على عدم ترْك المستوطنات، وتحدِّي قرارات الحكومة[٨١].

دخل جابوتنسكي، مؤسِّس حركة الصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة، في صراع مؤيِّدي الصُّهيونيَّة الاشتراكيَّة، بزعامة ديفيد بن غوريون، الَّذي أراد تفادي التَّصادم المباشر مع جابوتنسكي وجناحه اليميني؛ فوصل الطَّرفان إلى اتِّفاق سياسي عام ١٩٣٤، يقوم على التَّعايش بين المنتمين إلى التَّيَّارين. اتَّفق زعيما

[٨٠] المصدر السَّابق: صـ٤٩٥-٤٩٦.

[81] Inbari, M. (2012). *Messianic religious Zionism confronts Israeli territorial compromises*. Cambridge University Press, p.107.

الصُّهيونيَّة البارزين على تحويل اسم حزب العمل المعروف بالاسم المختصر ماباي، بزعامة بن غوريون، من حزب عمَّال إسرائيل (Mifleget Poalei Erez Israel–Mapai) إلى حزب بنَّائي أرض إسرائيل (Mifleget Bonei Erez Israel–Mabai). غير أنَّ الخلاف ما لبث أن تأجَّج؛ بسبب تصادم التَّوجُّه الدِّيني لحركة الصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة مع التَّوجُّه العلماني للصُّهيونيَّة الاشتراكيَّة.

وفي سبتمبر ١٩٣٥م، عُقد المؤتمر التَّأسيسي للمنظَّمة الصُّهيونيَّة الجديدة في فيينَّا، بعد قرار أعضاء حزب ماباي، بزعامة بن غوريون، إبعاد أعضاء حركة بيتار، الَّتي أسَّسها جابوتنسكي عام ١٩٢٣م لتكون نواة لحركة الصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة، عن المنظَّمة الصُّهيونيَّة[٨٢]. وتقرَّر تعيين جابوتنسكي رئيسًا للمنظَّمة الصُّهيونيَّة الجديدة، وقد وضعت المنظَّمة هدفًا أكبر من مجرَّد تأسيس دولة لليهود، حيث ركَّزت على تنمية الطُّموح التَّوسُّعي للصُّهيونيَّة، بالعمل على تأسيس دولة إسرائيل الكبرى، بعد إتمام عودة اليهود إلى فلسطين[٨٣]. ونشرت صحيفة ذا جويش ستاندرد، النَّاطقة باسم المنظَّمة الصُّهيونيَّة الجديدة، مبادئ المنظَّمة، وهي: إقامة وطن لليهود على ضفَّتي نهر الأردن؛ والنَّقل الطوعي لكافَّة يهود أوروبَّا إلى فلسطين؛ وتوحيد جهود يهود العالم؛ وتأسيس جيش يهودي مهمَّته تسهيل تهجير العرب؛ وتأسيس حكومة يهوديَّة مؤقَّتة يكون لها تمثيل في عصبة الأمم[٨٤].

بالطَّبع، لم يكن جابوتنسكي يرحِّب بفكرة تأسيس دولة عربيَّة–يهوديَّة مشتركة، ولا بمنح العرب أيَّ مساحة لتأسيس دولة مستقلِّة، معتبرًا أنَّ تنامي عدد اليهود

---

[٨٢] منظمة صهيونية جديدة: المركز الفلسطيني للدِّراسات-مدار.

[٨٣] أسعد رزُّوق: المصدر السَّابق، ص٥٠٤.

[84] A Weekly Paper Issued 1939 by the Zionist Revisionist Party (1945, August 24). *The Jewish Standard.*

في أرض فلسطين سيكفل إضاعة أيّ فرصة لاستمرار الوجود العربي فيها. واعتبر الزَّعيم الصُّهيوني أنَّ الحلَّ الأمثل لمشكلة الوجود العربي هو ترحيل كافَّة العرب من فلسطين وشرق الأردن إلى العراق، كما ذكر في كتابه **الحرب واليهودي**[٨٥]. وكان جابوتنسكي أوَّل مَن اقترح مخطَّط الجدار الحديدي، كما أشار في مقال يحمل الاسم ذاته نُشر عام ١٩٢٣، لإقصاء العرب عن دولة اليهود، وقصد بذلك تأسيس دولة يهوديَّة قويَّة يصعب على العرب اختراقها[٨٦]. ولا مجال للشَّكِّ في أنَّ مبدأ تهجير العرب في سبيل التَّوسُّع اليهودي في المنطقة العربيَّة، الَّذي وضَعه جابوتنسكي قبل تأسيس دولة الاحتلال عام ١٩٤٨م، هو الَّذي يسير عليه زعماء الاحتلال إلى يومنا هذا:

> لا يسع كلُّ مَن اطَّلع على شتَّى التَّصريحات الصَّادرة عن الزُّعماء الإسرائيليين، منذ قيام الدَّولة الصُّهيونيَّة حتَّى يومنا هذا، إلَّا الاعتراف بأنَّ موقفهم الواحد من قضيَّة عرب فلسطين الَّذين شُرِّدوا من بلادهم، واغتُصبت أرضهم فأصبحوا ''لاجئين'' لا يختلف مُطلقًا عن موقف جابوتنسكي وأتباعه. لقد أصبح الموقف التَّحريفي بين عشيَّة وضحاها موقفًا تصحيحيًّا رسيمًّا بالنِّسبة للزُّعماء الصُّهيونيين على اختلاف اتِّجاهاتهم وميولهم. فالجميع يطالبون بحلٍّ لمشكلة اللَّاجئين يقضي بتوطينهم في الأراضي العربيَّة الشَّاسعة الأطراف، والَّتي تستوعب المزيد من السُّكَّان؛ لأنَّها مازالت دون الكثافة الَّتي تتحمَّلها وتتسَّع لها[٨٧].

---

[85] Jabotinsky, V. (1941). *The war and the Jew*. Altalena Press.

[٨٦] الجدار الحديدي: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

[٨٧] أسعد رزُّوق: المصدر السَّابق، ص٥٠٧.

صورة ١,٤ –زئيف جابوتنسكي

ويشير المؤرِّخ أسعد رزُّوق، الَّذي أعدَّه مؤلَّفه عام ١٩٦٨م، أي بعد هزيمة الجيوش العربيَّة في حرب الأيَّام السِّتَّة بعام واحد، إلى أنَّ زعماء الاحتلال الإسرائيلي حرصوا على تهجير السُّكَّان العرب من الأراضي الَّتي احتلُّوها، مع توطين اليهود محلَّهم، وهذا هو المقرَّر فعْله عند إتمام العمليَّات العسكريَّة الإسرائيليَّة في الضفَّة الغربيَّة ولبنان وسوريا وقطاع غزَّة. وكانت الولايات المتَّحدة قد طرحت عام ١٩٥٣م ٣ مشاريع لتوطين الفلسطينيين خارج أرضهم، وهي ''مشروع "سيناء''، لنقل أهالي قطاع غزَّة إلى مكان قرب مدينة بورفؤاد المصريَّة، على مساحة ٥٠ ألف فدان؛ ومشروع ''الجزيرة'' شمال شرق سوريا، لاستيعاب الفلسطينيين الموجودين في سوريا ولبنان؛ ومشروع ''جونسون'' في وادي الأردن، لاستيعاب الفلسطينيين في ضفتي الأردن، لتُستوعب دول الطَّوق كلَّها"[٨٨]. وبرغم عدم تطبيق أي من تلك المشاريع بعد مرور أكثر من ٧٠ عامًا على طرْحها، فليس من المستبعد إحياء تلك المشاريع، في ظلِّ التَّصعيد المتواصل للاحتلال في المنطقة، منذ عمليَّة طوفان الأقصى.

[٨٨]المؤرخ عبد القادر ياسين: لهذا فشلت مشاريع توطين الفلسطينيين خارج أرضهم، الجزيرة نت، ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٣م.

مخطَّط إسرائيل الكبرى بعد جابوتنسكي

توفِّي زئيف فلاديمير جابوتنسكي عام ١٩٤٠م، في الولايات المتَّحدة، تاركًا وراءه إرثًا طويلًا من الجهود التَّوسُّعيَّة للحركة الصُّهيونيَّة، من خلال تسهيل هجرة اليهود إلى أرض فلسطين، وتسليح العصابات المتطرِّفة لتهجير العرب. نجح جابوتنسكي في استقطاب النِّظام الحاكم في بولندا لدعم عصابة ايتسل، أو ارغون، الإرهابيَّة وإمدادها بالسِّلاح، مع الحصول على وعْد منه بتسهيل الهجرة اليهوديَّة البولنديَّة إلى فلسطين. وأكملت العصابة المتطرِّفة، بزعامة مناحيم بيغن، مسيرتها في الاعتداء على المدن والقرى العربيَّة وتهجير سكَّانها العرب قسريًّا، وارتكبت بشاعات لا تُحصى، قبل أن تندمج مع عصابة الهاغانا عام ١٩٤٨م ليشكِّلا معًا جيش دفاع دولة الاحتلال بعد تأسيسها رسميًّا في العام ذاته.

أمَّا المنظَّمة الصُّهيونيَّة الجديدة، الَّتي أسَّسها جابوتنسكي بعد اختلافه مع المنظَّمة الصُّهيونيَّة فيما يتعلَّق بالسِّياسة التَّوسُّعيَّة من خلال استخدام العنف ضدَّ العرب، وضرورة ضمَّ دولة اليهود أراضي نهر الأردن بضفَّتيه، فهي لم تصمد طويلًا، حيث انهارت عام ١٩٤٦م، بعد انتهاء الحرب العالميَّة الثَّانية (١٩٣٩-١٩٤٥م)، ليعود أعضاؤها إلى الانضمام إلى المنظَّمة الصُّهيونيَّة العالميَّة. وبالتَّزامن مع تحويل إمارة شرق الأردن إلى المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة في نفس عام حلّ المنظَّمة الصُّهيونيَّة الجديدة، أعلن أحد المنتمين إلى تيَّار الصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة، الَّذي أسَّسه جابوتنسكي، تأسُّفه الشَّديد على السَّماح ببتر جزء حيوي من دولة اليهود التَّاريخيَّة، معتبرًا أنَّ في ذلك خرقًا للقانون

الدُّولي، حيث أقرَّت معاهدة فرساي أحقيَّة اليهود في منطقة شرق الأردن[٨٩]. وحينها تقرَّر توحيد موقف كافَّة أبناء الحركة الصُّهيونيَّة في معارضة تلك الخطوة، بنشر بيان يقول:

> إنَّ الأمَّة اليهوديَّة لن توافق مُطلقًا على سلْخ شرقي الأردن عن جسد فلسطين الَّذي تربطها به صلات تاريخيَّة وجغرافيَّة واقتصاديَّة. ولا يستطيع أيُّ تصريح أن يغيِّر من اعتقاد كلِّ فردٍ يهوديّ بأنَّ الأرض الواقعة شرقي نهر الأردن تؤلِّف جزءًا لا يتجزَّأ من وطنه الأم ودولة المستقبل[٩٠].

وأعلنت عصابة ارغون الإرهابيَّة معارضتها الشَّديدة لفصْل شرق الأردن عن حدود دولة الاحتلال، مشترطةً للموافقة على اقتراح ديفيد بن غوريون تشكيل حكومة مؤقَّتة، قُبيل صدور القرار رقم ١٨١ للأمم المتَّحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م، والخاص بتقسيم فلسطين وتأسيس دولة يهوديَّة، أن تشمل تلك الحكومة منطقة شرق الأردن، حيث قال مناحيم بيغن، زعيم العصابة وتلميذ جابوتنسكي، في بيان للعصابة المتطرِّفة:

> لقد افتتح الأجداد الأوائل لليهود فلسطين قادمين من جهة شرق الأردن الحالية، وعبروا نحو فلسطين من الشَّرق إلى الغرب. والارغون تعتبر الرُّقعة بأسرها أرضًا يهوديَّة، وتهدف لخلْق جمهوريَّة عبرانيَّة في ظلِّ حكومة ديموقراطيَّة...

---

[٨٩] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص٧٣.
[٩٠] أسعد رزُّوق: المصدر السَّابق، ص٥٢٦.

نحن نعلن صراحة بأنَّنا سوف نمنح تأييدنا لإنشاء حكومة يهوديَّة مؤقَّتة، شرط أن تكون حكومة على أرض إسرائيل بأكملها، وليس على غيتو يهودي في أرض إسرائيل. إنَّ مشروع التَّقسيم مشروع للنَّكبة وسوف نحاربه بكلِّ ما لدينا من قوَّة. ومن العبث أن تنطلق من هذه الزَّاوية دعوة منافقة لتأليف جبهة يهوديَّة موحَّدة. فلا محلَّ لجبهة موحَّدة مع أولئك الَّذين على استعداد لتجزئة الوطن الأمّ، بل جوابنا الوحيد هو الحرب ضدَّ الَّذين على استعداد لتقسيمها[٩١].

ويتَّضح من بيان بيغن، الَّذي ترأَّس حكومة الاحتلال لاحقًا (١٩٧٧–١٩٨٣م)، إصرار ساسة الاحتلال على تنفيذ المخطَّط التَّوسُّعي الخاص بدولة إسرائيل الكبرى، ولو اضطرُّوا للمهادنة بعض الشَّيء؛ لتمرير مشروعاتهم الخبيثة دون مقاومة عربيَّة. وبيغن ذاته هو الَّذي قبل الانسحاب من مستوطنات شبه جزيرة سيناء المصريَّة عام ١٩٨٢م، بموجب اتِّفاقيَّات كامب ديفيد، ومن المؤكَّد أنَّ ذلك الانسحاب لم يأتِ إلَّا لتمرير مشروع التَّطبيع، وحصول الاحتلال على شرعيَّته في الوجود في المنطقة العربيَّة، وضمان تحييد أي مقاومة مستقبليَّة من سكَّان المنطقة.

هذا، وقد هدَّد النِّظام الحاكم في مصر بإلغاء اتِّفاقيَّات كامب ديفيد، إذا ما خرق الاحتلال بند بقائه بعيدًا عن مدينة رفح، الواقعة على الحدود المصريَّة في أقصى جنوب قطاع غزَّة، حيث يشنَّ ديش الاحتلال عمليَّة اجتياح برّي للمدينة، في إطار عمليَّة حرب القيامة الانتقاميَّة، الَّتي يشنُّها منذ ٨ أكتوبر ٢٠٢٣م ردًّا

[91] Irgun and Partition (1947, October 31). *The Jewish Standard.*

على عمليَّة طوفان الأقصى، بزعم مطاردة عناصر حركة حماس الفارِّين إليها ومنْع وصول الدَّعم العسكري إليها من الجماعات الإرهابيَّة في سيناء:

مصر تهدَّد إسرائيل بإنهاء اتِّفاقيّات كامب ديفيد

ذكرت صحيفة "معاريف" الإسرائيليَّة أنَّ مصر هدَّدت إسرائيل بشكل صريح بإنهاء اتِّفاقيَّات كامب ديفيد للسَّلام إذا لم تنسحب من منطقة رفح المتاخمة للحدود المصريَّة.

وأضافت الصَّحيفة العبريَّة، أنَّ مسؤولين مصريين نقلوا إلى ويليام بيرنز، مدير وكالة المخابرات المركزيَّة الأمريكيَّة، خلال زيارته للقاهرة، مطالبتهم من الولايات المتَّحدة بالضَّغط على إسرائيل لوقف العمليَّات العسكريَّة في رفح الفلسطينيَّة والعودة إلى مفاوضات فعَّالة، وأنَّه إذا لم تستجب إسرائيل، فمن الممكن أن تقوم مصر بتجميد أو إنهاء اتِّفاقيَّات كامب ديفيد للسَّلام الموقَّعة بينهم[٩٢].

بدء تنفيذ مخطَّط إسرائيل الكبرى بدفع من بن غوريون

عند الإعلان الرَّسمي عن تأسيس دولة الاحتلال الإسرائيلي، في ١٥ مايو ١٩٤٨م، بوصفه المتحدِّث عن الوكالة اليهوديَّة، صرَّح ابا ايبان، السّياسي

[٩٢] مصر تهدَّد إسرائيل بإنهاء اتِّفاقيّات كامب ديفيد، روسيا اليوم، ١٢ مايو ٢٠٢٤م.

ووزير خارجيَّة الاحتلال لاحقًا، بأنَّ الحكومة المؤقَّتة للاحتلال تسيطر على مساحة الدَّولة المخصَّصة لليهود، والمؤسَّسة بموجب القرار ١٨١ للأمم المتحدة الصَّادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م. وأضاف ايبان أنَّ الحكومة المؤقَّتة تفرض سيطرتها على أراضٍ خارج دولة الاحتلال، هي مدينة يافا، والقسم الشَّمالي الغربي من الجليل، الَّذي يضمُّ عكَّا والزِّيب والبصَّة، إلى جانب المستوطنات اليهوديَّة على حدود لبنان، والقدس الجديدة والحي اليهودي في القدس القديمة[٩٣]. وأضاف ايبان أنَّ الاحتلال قد يشنُّ عمليَّات وقائيَّة بين الحين والآخر؛ بزعم صدِّ أيِّ عدوان محتمل من الأراضي العربيَّة المحيطة بدولة الاحتلال والمعادية له، ليمنح بذلك ذريعة للعدوان الغاشم للاحتلال على الأراضي العربيَّة على مدار العقود الثَّمانية الَّتي مرَّت منذ تأسيس دولته الزَّائلة. بدون التَّصريح بالأهداف التَّوسُّعيَّة للاحتلال، اتُّخذ الحفاظ على أمنه ذريعة لتبرير أيِّ هجوم مستقبلي على دول المنطقة العربيَّة.

وقد أمسح ديفيد بن غوريون، زعيم الصُّهيونيَّة الاشتراكيَّة وأوَّل رئيس لحكومة الاحتلال الإسرائيلي، بطرف الخيط الَّذي ألقا ابا ايبان في مايو ١٩٤٨م، وهو ذريعة الحفاظ على أمن دولة الاحتلال لتبرير أيّ عدوان على محيطها العربي. ففي كتابه **بعث إسرائيل ومصيرها**[٩٤]، ومع اعتراف بأنَّ مساحة دولة الاحتلال بعد إعادة تأسيسها لا تختلف عمَّا كانت عليه في الأزمنة القديمة، يشير إلى أنَّ الدَّولة الجديدة تواجه تحدِّيات أمنيَّة فرَضها الوضع الرَّاهن في محيطها، بعد التَّغييرات الَّتي طرأت عليه بعد آخر وجود يهودي في الأرض المقدَّسة، في

[93] Zionist Review, May 28, 1948.
[94] Ben-Gurion, D. (1954). *Rebirth and destiny of Israel*. Philosophical Library.

القرن الثَّاني للميلاد زمن ثورة شمعون بار كوخبا عام ١٣٥م، والَّتي أسفرت عن إنهاء الرُّومان للوجود اليهودي بالكامل في الأرض المقدَّسة لما يقرب من ألفي عام، بـ ٥٠٠ عام، في إشارة إلى الفتح الإسلام للشَّام في القرن السَّابع الميلادي:

> لقد أعيد تأسيس دولة إسرائيل في القسم الغربي (من فلسطين التَّاريخيَّة)، وهي لا تقلُّ مساحةً عن الدَّولة اليهوديَّة خلال معظم فترة الهيكل الأوَّل والهيكل الثَّاني. بينما خطورة مشكلة الأمن الرَّاهنة ليست مسألة اختلاف الحدود، بل هي تنبع من تغيُّرات بعيدة المدى حدثت بالقرب من أرض إسرائيل حوالي ٥٠٠ سنة بعد بار كوخبا (أي الفتح العربي)، ومن الزَّلزلة الرُّوحيَّة الَّتي غيَّرت وجْه الشَّرق الأوسط وآسيا الوسطى وجميع بلدان شمال أفريقيا[٩٥].

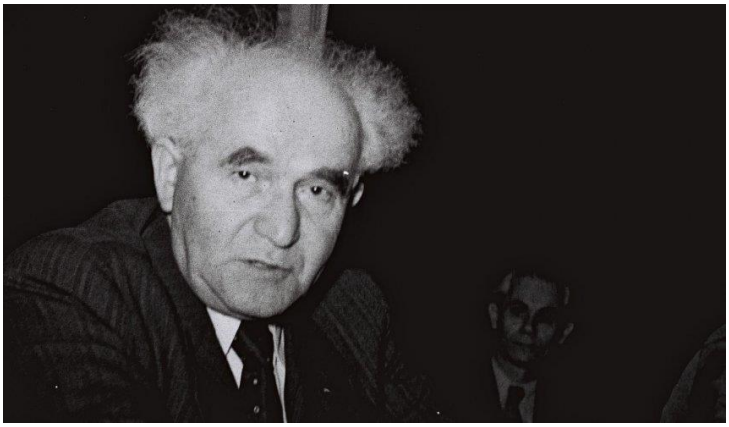

صورة ١,٥–ديفيد بن غوريون

[95] Ibid: P.463.

ويشير بن غوريون إلى انتشار الإسلام في المنطقة العربيَّة، وصولًا إلى آسيا الوسطى وجميع بلدان شمال أفريقيا، بـ ''الزَّلزلة الرُّوحيَّة''، في تأكيد ضمني على أنَّ الإسلام هو المصدر الأكبر للتَّهديد بالنِّسبة لدولة الاحتلال؛ وهو ما يستجوب دحْر أيِّ مقاومة إسلاميَّة تعادي اليهود. وبتأكيد الزَّعيم الصُّهيوني، في الكتاب السَّنوي لحكومة الاحتلال عام ١٩٥٢م، أنَّ دولة الاحتلال قامت على جزء من أرض الميعاد الكتابيَّة، ففي ذلك ما يبرز النَّوايا التَّوسُّعيَّة للاحتلال، وإن تذرَّع بأنَّ اجتياح أراضي دول الجوار لحماية الحدود. ويعلِّق المؤرِّخ أسعد رزُّق على ذلك بقوله:

> ممَّا لا شكَّ في أنَّ الآراء الصُّهيونيَّة الَّتي يكشف عنها بن غوريون...تكشف عن نوايا إسرائيل وتطلُّعها نحو تكبير الرُّقعة الَّتي تحتلُّها، متذِّرعةً بالجغرافيا والتَّاريخ، أو بالاستناد إلى ما كانت عليه في قديم الزَّمان، باللُّجوء إلى إجراء المقارنات والترابطات المزيَّفة. والواضح أنَّ الصُّهيونيَّة التَّوسُّعيَّة تريد إرجاع التَّاريخ إلى الوراء، بعد أن تعيد كتابة التَّاريخ على هواها ووفقًا لأطماعها ونزعاتها[٩٦].

وبخلاف الطَّابع العلماني الَّذي اتَّسمت به الصُّهيونيَّة الاشتراكيَّة الَّتي تزعَّمها بن غوريون، فقد لعب الزَّعيم الصُّهيوني على وتر التعاليم اليهوديَّة، بالإشارة إلى أنَّ تأسيس دولة اليهود جاء لإتمام عمليَّة الخلاص، بمجيء المخلِّص المنتظَر؛ وهذا يستدعي جمْع شتات اليهود من كافَّة أنحاء العالم. بذلك، يتَّخذ

[٩٦] أسعد رزُّوق: المصدر السَّابق، ٥٣٨.

بن غوريون ستارًا دينيًّا لإخفاء النَّوايا التَّوسُّعيَّة للصُّهيونيَّة، ليجعل من جمْع شتات اليهود الممهِّد لمجيء المخلِّص مبرِّرًا لتوسيع رقعة دولة اليهود، الَّتي ادَّعى أنَّها لم تشمل كافَّة المساحات المنصوص عليها في العهد القديم:

> تتألَّف كلُّ دولة من الأرض والشَّعب، وإسرائيل لا تشذُّ عن هذه القاعدة، غير أنَّها دولة لم تأتِ مطابقة لأرضها أو شعبها...وأضيف الآن أنَّها قامت فوق جزء من أرض إسرائيل فقط. فالبعض يتردَّد بصدد استرجاع حدودنا التَّاريخيَّة الَّتي جرى رسمها وتعيينها منذ بداية الزَّمان، وحتَّى هؤلاء لا يسعهم إنكار الشُّذوذ الَّذي تمثِّله الخطوط الجديدة[٩٧].

وقد مرَّر الكنيست الإسرائيلي عام ١٩٥٠م، خلال فترة رئاسة بن غوريون لحكومة الاحتلال (١٤ مايو ١٩٤٨–٢٦ يناير ١٩٥٤م)، تشريعًا لمنْح اليهود حول العالم حقَّ استيطان فلسطين والحصول على جنسيَّة دولة الاحتلال، أُطلق عليه قانون العودة، وقد خضع القانون ذاته عام ١٩٧٠م يمنح أصحاب الأصول اليهوديَّة وأزواجهم حقَّ استيطان فلسطين[٩٨]. واعتبر بن غوريون قانون العودة الخاص بدولة الاحتلال مختلفًا عن القوانين المشابهة للدُّول الأخرى، موضحًا في **الكتاب السَّنوي لحكومة إسرائيل** أنَّ ذلك القانون هو "قانون الدَّيمومة التَّاريخيَّة والاستمرار للصِّلة القائمة بين شعبنا وأرض إسرائيل"[٩٩]. وظلَّ الوجود العربي في أرض فلسطين عقبة كؤود تعرقل المساعي التَّوسُّعيَّة

---

[97] [97] Ben-Gurion: Ibid, p.466.

[٩٨] قانون العودة: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

[٩٩] أسعد رزُّوق: المصدر السَّابق، ص٥٥٠.

للاحتلال، وهو ما دفع الكاتب والنَّاشط الصُّهيوني روسي الأصل، جوزيف شختمان، لكتابة سلسلة مقالات تناوَل فيها معضلة الوجود العربي، مشدِّدًا على أهميَّة حلِّها من خلال تسهيل الهجرة اليهوديَّة، وقال في إحداها:

> كان وجود أكثريَّة عربيَّة كبيرة في فلسطين على الدَّوام بمثابة كابوس الصُّهيونيَّة السِّياسيَّة. والهدف الأساسي للحركة الصُّهيونيَّة هو إقامة دولة يهوديَّة برعاية أكثريَّة يهوديَّة من السُّكَّان. بينما عارَض العرب–والمتَّصلون بالسِّياسة على الأقلِّ–باستمرار هذا الهدف الصُّهيوني والشَّرط اللَّازم لتحقيقه: الهجرة اليهوديَّة[١٠٠].

افتعال ذريعة هجرة اليهود لتبرير النَّشاط التَّوسُّعي

لعلَّ من أبشع الجرائم الَّتي ارتكبتها الآلة الإعلاميَّة للاحتلال الإسرائيلي الزَّعم بأنَّ الفلسطينيين هجروا أرضهم طواعيةً، دون أي إجبار من جانب اليهود، في تجاهُل تامّ لدور العصابات اليهوديَّة المتطرِّفة، وعلى رأسها الهاغانا وارغون وشتيرن، في ترويع الفلسطينيين، ومداهمة مدنهم، وارتكاب أبشع المجازر في تلك المدن. وتؤكِّد المصادر التَّاريخيَّة أن مساحة الأراضي الَّتي باعها الفلسطينيون لليهود، منذ صدور الفرمان العثماني الَّذي سمح بذلك عام ١٨٤٩م، وحتَّى إعلان الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٢٠م، سوى ١,٥ فقط من مساحة فلسطين[١٠١].

---

[١٠٠] المصدر السَّابق: صـ٥٥١-٥٥٢.

[١٠١] عبد الوهاب الكيَّالي: تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربيَّة للدراسات والنَّشر، طبعة ٩، بيروت، لبنان، ١٩٨٥، ص٤٩.

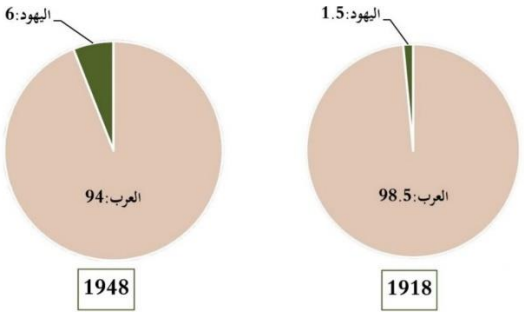

صورة ١,٦–نسب استحواذ العرب واليهود على أراضي فلسطين منذ فترة الانتداب البريطاني حتَّى تأسيس دولة الاحتلال

وفي خلال الفترة ما بين فرْض الانتداب البريطاني عام ١٩٢٠م ونهايته بإعلان دولة الاحتلال رسميًّا في ١٥ مايو ١٩٤٨م، لم يحصل اليهود سوى على ٤,٥ بالمائة من مساحة فلسطين، وغالبيَّة الأراضي الَّتي اشتروها كانت لعائلات لبنانيَّة[١٠٢]. يعني ذلك أنَّ برغم تهديد العصابات الإرهابيَّة اليهوديَّة، لم يبع من الفلسطينيين أراضيهم لليهود سوى ١ بالمائة فقط من السُّكَّان العرب لفلسطين. ومن الأمور الواجب التَّنبيه إليها أن اتِّباع الاحتلال لسياسة التَّرويع لإجبار الفلسطينيين على تَرْك أراضيهم لم يزل قائمًا إلى اليوم، وبعلم الحكومة ودعمها، وكذلك بمباركة المؤسَّسة الدِّينيَّة، مع إفلات كامل من الملاحقة القانونيَّة:

عصابات المستوطنين.. ذراع الاحتلال لترويع الفلسطينيين وسلْب ممتلكاتهم

[١٠٢] هند البديري: أراضي فلسطين...بين مزاعم الصهيونيَّة وحقائق التَّاريخ، جامعة الدول العربيَّة، القاهرة، مصر، ١٩٩٨م، ص١٨٧-٢٣٧.

تُذكّر جرائم عصابات المستوطنين الإسرائيليين بحقِّ الفلسطينيين، في هذه المرحلة، بدور العصابات الصُّهيونيَّة – ومنها "البالماخ" و"الإرغون" و"الهاغاناه" و"شتيرن" وغيرها– في قتْل وتهجير الشَّعب الفلسطيني إبَّان النكبة (١٩٤٨)، وتعكس الفكر الإرهابي المتأصِّل في مشروع الحركة الصُّهيونيَّة للاستيطان في فلسطين.

وارتكبت هذه العصابات مذابح ومجازر شهيرة في التَّاريخ الفلسطيني، منها مجازر دير ياسين، والطَّنطورة، وبلد الشيخ، وأبو شوشة، بهدف تهجيرها. وهي العقليَّة ذاتها التي نفذت مجزرة كفر قاسم في العام ١٩٥٦ لترويع الفلسطينيين في منطقة المثلث، وإجبارهم على الهجرة للأردن.

ولعقود طويلة، وظفت الحكومات الإسرائيليَّة المتعاقبة جماعات المستوطنين للنَّشاط بالضَّفَّة الغربيَّة والقدس المحتلَّتين، حيث وفَّرت لهم الغطاء القانوني والدَّعم المالي والسِّياسي. كما حظيت هذه الجماعات بدعم الحاخامات، وارتكبت الجرائم بلا عقاب[١٠٣].

تعمَّد شختمان طمْس حقيقة أنَّ المستوطنين اليهود المهاجرين من أوروبَّا جاؤوا إلى فلسطين في هجرات منظَّمة، تحت إشراف الوكالة اليهوديَّة، وبدعم من

[١٠٣] عصابات المستوطنين.. ذراع الاحتلال لترويع الفلسطينيين وسلْب ممتلكاتهم، الجزيرة نت، ١٠ فبراير ٢٠٢٢م.

المنظَّمة الصُّهيونيَّة، الَّتي اعتنقوا أفكارها العنصريَّة المعادية للعرب، والمحرِّضة على محوهم من داخل دولة اليهود المزعومة. وقد نصَّ دستور الوكالة اليهوديَّة، الَّذي وُضع عام ١٩٢٩م، على تشجيع الهجرة اليهوديَّة إلى أرض فلسطين، ورعاية النَّشاطات الدِّينيَّة الخاصَّة باليهود، ونشْر تعليم العبريَّة بين المهاجرين الأوروبيين. وقد توقَّف نشاط الوكالة اليهوديَّة منذ تأسيس دولة الاحتلال رسميًّا عام ١٩٤٨م، لتترك مهامها للحكومة. وقد استمرَّ التَّنسيق بين حكومة الاحتلال والمنظَّمة الصُّهيونيَّة العالميَّة، خاصَّة فيما يتعلَّق بتسهيل هجرة اليهود ونقْل ممتلكاتهم إلى فلسطين المحتلَّة، وتطوير المستوطنات الزِّراعيَّة، وتأمين استيعاب المستوطنات للمهاجرين. ويكمن استمرار ذلك التَّعاون في سعي الاحتلال للحصول على دعْم يهود العالم:

> ولا شكَّ في أنَّ التَّعاون القائم بين الصُّهيونيَّة العالميَّة ودولة إسرائيل يرتكز إلى إصرار الطَّرف الثَّاني على إشراك يهود العالم أجمع في تدعيم الدَّولة اليهوديَّة، ومدِّها بالأموال والمساعدات. وقد نصَّت المادَّة الأولى من القانون التَّشريعي على أنَّ ''دولة إسرائيل تعتبر نفسها صنيعة الشَّعب اليهودي بأسره''، بينما في الواقع هي ثمرة الجهد الصُّهيوني وتحالفه مع الاستعمار، وليست ''صنيعة الشَّعب اليهودي بأسره'' في نظر الكثيرين من اليهود الَّذين لا يجدون حاجة إلى الحركة الصُّهيونيَّة وعقدتها العنصريَّة في سعيهم للحفاظ على ديانتهم اليهوديَّة والعيش باطمئنان وثقة في المجتمعات الَّتي أبصروا النُّور بين ظهرانيها[١٠٤].

[١٠٤] أسعد رزُّوق: المصدر السَّابق، ص٥٦٦.

وقد نقَل الصُّحافي الهندي، روسي كارانجيا، عن الخطَّة الاستراتيجيَّة لجيش الاحتلال للعام ١٩٥٦-١٩٥٧م الاعتراف الرَّسمي بأنَّ دولة الاحتلال أُسِّست لجمْع شتات اليهود المبعثرين حول العالم؛ وهو ما يستدعي "احتلال الأراضي العربيَّة وتوطيد سيطرتنا عليها"[١٠٥]. ومع ذلك، تجد ديفيد بن غوريون يصرِّح عام ١٩٥٥م، بعد عام من ترْكه رئاسة الحكومة، بأنَّ دولة الاحتلال "لا تطمع في الحصول على بوصة واحدة من الأرض الأجنبيَّة، ولا تسمح لأحد أن يسرق منها بوصة واحدة من أرضها"[١٠٦]. وبرغم ذلك التَّصريح، صوَّت بن غوريون في الكنيست ضدَّ مقترح التَّسوية مع العرب، الَّذي طرحه رئيس الوزراء البريطاني حينها، أنطوني إيدن، ثمَّ طالَب في نوفمبر ١٩٥٦م، في أعقاب العدوان الثُّلاثي على مصر بعد تأميم جمال عبد النَّاصر شركة قناة السُّويس، بتحرير الأجزاء الَّتي يحتلَّها الأعداء، في إشارة إلى سيناء المصريَّة، الَّتي تمَّ إجلاء قوَّات الاحتلال عنها.

وتتضمَّن الخطَّة الاستراتيجيَّة لجيش الاحتلال للعام ١٩٥٦-١٩٥٧م، آنفة الذِّكر، ما يثبت أنَّ الاحتلال يؤجِّل تنفيذ مخطَّطه التَّوسُّعي في محيطه العربي للوقت المناسب، منتظرًا الوقت المناسب، حيث "يتحيَّن فرصة نشوب حرب عربيَّة-إسرائيليَّة لكي تحقِّق الدَّولة الصُّهيونيَّة مزيدًا من المكاسب والأطماع على حساب الدُّول العربيَّة المحيطة بها"[١٠٧]. فالخطَّة تشير إلى تركيز الاحتلال على حيازة الأراضي الأكثر أهميَّة في زمن الحرب، مع التَّخطيط لحيازة مزيد

[١٠٥] روسي كارانجيا: خنجر إسرائيل، ترجمة مروان الجابري، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٥٨م، ص٧٥.
[١٠٦] أسعد رزُّوق: المصدر السَّابق، ص٥٧٤.
[١٠٧] المصدر السَّابق: ص٥٧٧.

من الأراضي لسدّ احتياجات مستوطنيه مستقبلًا[١٠٨]، حيث من المخطَّط له احتلال الأراضي المحيطة للاستفادة من ثرواتها في تحسين الوضع الاقتصادي لدولة الاحتلال. أمَّا على المستوى السِّياسي، فتشير الخطَّة ذاتها إلى مخطَّط للسَّيطرة على الطُّرق عالية الأهميَّة الاستراتيجيَّة في المنطقة العربيَّة؛ لضمان هيمنة دولة الاحتلال على المنطقة بأكملها[١٠٩]. وتحدِّد الخطَّة الاستراتيجيَّة لجيش الاحتلال المناطق المرشَّحة للاحتلال:

المنطقة الجنوبيَّة ومنطقة غزَّة: من شأن احتلال هذه المنطقة أن يضمن سلامة مراكزنا الحيويَّة، وأن يمكننا من احتلال الشَّطر الجنوبي من شبه جزيرة سيناء، وتأمين منفذ حرّ عن طريق إيلات.

شبه جزيرة سيناء: إنَّ احتلال هذه المنطقة من شأنه أن يجعل من المستحيل قيام هجوم مصري معاكس على إسرائيل، بل احتلالها يجعل مصر عُرضة لخطر الهجوم دائمًا.

المنطقة الشَّرقيَّة: وتتضمَّن الضَّفَّة الغربيَّة من الأردن (المثلَّث) وتلال الخليل والضَّفَّة الشَّرقيَّة من الأردن، بما فيها المناطق الصَّحراويَّة. إنَّ احتلال هذه الأراضي سيمكِّن إسرائيل من إقامة حدود مع العراق والعربيَّة السَّعوديَّة.

المنطقة الشَّماليَّة: وتتضمَّن الجولان وحرمون واللِّيطاني. إنَّ هجومًا في هذا القطاع من شأنه أن يجعل من الممكن

[١٠٨] روسي كارانجيا: المصدر السَّابق، صـ٤٦-٤٧.
[١٠٩] المصدر السَّابق: ص٧٦.

الاستيلاء على الجولان ودرعا واليرموك والجليل الشَّمالي حتَّى نهر اللِّيطاني[١١٠].

هذا، وقد صدر عن برنامج إسرائيل للتَّرجمات العلميَّة عام ١٩٦٤م كتاب تحت عنوان **جغرافيا إسرائيل**[١١١]، يوضح حدود دول الاحتلال الإسرائيلي بوضوح، لتكون من نهر الفرات إلى نهر مصر، وفق النِّص الكتابي المذكور في العهد القديم[١١٢]، مشيرًا إلى أنَّ دولة الاحتلال "يحدُّها غربًا البحر الأبيض المتوسِّط، وشرقًا الصَّحراء السُّوريَّة الكبرى (بادية الشَّام)، وإلى الجنوب والجنوب الغربي شبه جزيرة سيناء وخليج إيلات، وشمالًا ذلك الجزء من نهر اللِّيطاني الممتدّ بين انعطافه الحاد ومصبِّه[١١٣]". وأخفى مؤلِّفا الكتاب أنَّ دولة بني إسرائيل، في أوج اتِّساعها، لم تمتد يوما ما بين نهري النِّيل والفرات.

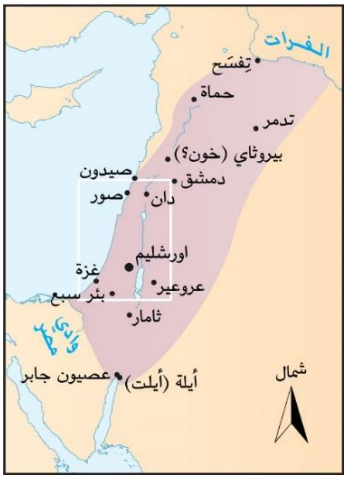

صورة ١,٧–خارطة مملكة إسرائيل الموحَّدة

[١١٠] المصدر السَّابق: صـ٧٦-٧٧.

[111] Orni, E., & Efrat, E. (1964). *Geography of Israel*. Israel University Press.

[١١٢] سفر التَّكوين: إصحاح ١٥، آية ١٨.

[113] Orni, E., & Efrat, E.: Ibid, p. 2.

فمملكة داود وسليمان، أو مملكة إسرائيل الموحَّدة، في القرن العاشر قبل الميلاد، الَّتي شهدت أكبر اتِّساع في تاريخ بني إسرائيل، لم تصل حدودها يوما إلى نهر النِّيل، وإن وصلت من الجهة الشَّماليَّة الشَّرقية إلى نهر الفرات، ولم تضم أيَّ جزء من مصر.

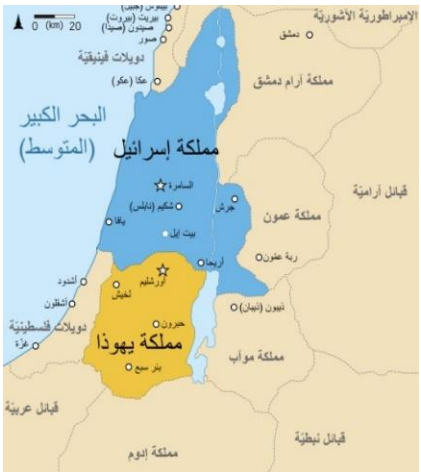

صورة ١,٨–خارطة مملكة إسرائيل بعد تقسيمها

وبعد وفاة سليمان، انقسمت مملكته إلى مملكة إسرائيل الشَّماليَّة ومملكة يهودا الجنوبيَّة.

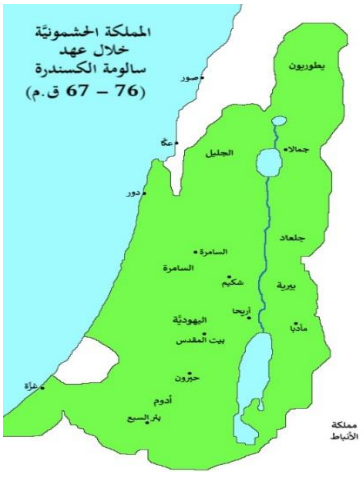

صورة ١,٩–خارطة المملكة الحشمونيَّة في أقصى توسُّع لها

أمَّا المملكة الحشمونيَّة، فحدودها الشَّرقيَّة وصلت في أقصى تقدير إلى حدود مملكة الأنباط، شمال غرب شبه الجزيرة العربيَّة، وذلك في القرن الأوَّل قبل الميلاد.

الأصل الدِّيني للأيديولوجيَّة التَّوسُّعيَّة الإسرائيليَّة

بتعقُّب أصل الأيديولوجيَّة التَّوسُّعيَّة للاحتلال الإسرائيلي، سيتَّضح أنَّها مستقاة من التَّعاليم الكتابيَّة، وتحديدًا ممَّا ورد في العهد القديم عن ملابسات الاستيطان الأوَّل لبني إسرائيل للأرض المقدَّسة. فقد أمر الرَّبُّ موسى بالمضي ببني إسرائيل إلى أرض كنعان، الاسم القديم لفلسطين، لإبادة ساكنيها، بعد تعدِّيهم على الشَّريعة الإلهيَّة بعبادتهم للأصنام وشركهم بربِّهم، وارتكابهم الآثام الَّتي أغضبت الرَّبَّ عليهم[١١٤]. وبعد موت موسى، قبل إتمام سنوات التِّيه الأربعين، الَّتي فُرضت عليهم عقابًا من الرَّبِّ على فعلهم الشَّرَّ[١١٥]، تولَّى النَّبيُّ يشوع مهمَّة قيادة بني إسرائيل إلى الأرض المقدَّسة، بأمر من الرَّبِّ، الَّذي وعد بني إسرائيل بالمُلك على كل موضع تصل إليه أقدامهم[١١٦].

وبعد انقضاء سنوات التِّيه، دخل بنو إسرائيل مع النَّبيّ يشوع إلى الأرض المقدَّسة من الشَّرق، بعد عبور نهر الأردن[١١٧]، لتبدأ ملحمتهم التَّاريخيَّة

---

[١١٤] "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ عَلَى أُرْدُنِّ أَرِيحَا قَائِلًا: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّكُمْ عَابِرُونَ الأُرْدُنَّ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَتَطْرُدُونَ كُلَّ سُكَّانِ الأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ، وَتَمْحُونَ جَمِيعَ تَصَاوِيرِهِمْ، وَتُبِيدُونَ كُلَّ أَصْنَامِهِمِ الْمَسْبُوكَةِ وَتُخْرِبُونَ جَمِيعَ مُرْتَفَعَاتِهِمْ. تَمْلِكُونَ الأَرْضَ وَتَسْكُنُونَ فِيهَا لأَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمُ الأَرْضَ لِكَيْ تَمْلِكُوهَا" (سفر العدد: إصحاح ٣٣، آيات ٥٠-٥٣).

[١١٥] "فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَأَتَاهُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، حَتَّى فَنِيَ كُلُّ الْجِيلِ الَّذِي فَعَلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ" (سفر العدد: إصحاح ٣٢، آية ١٣).

[١١٦] "(الرَّب للنَّبيّ يشوع) «مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ. فَالآنَ قُمِ اعْبُرْ هذَا الأُرْدُنَّ أَنْتَ وَكُلُّ هذَا الشَّعب إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ أَيْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. كُلَّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ لَكُمْ أَعْطَيْتُهُ، كَمَا كَلَّمْتُ مُوسَى" (سفر يشوع: إصحاح ١، آيتان ٢-٣).

[١١٧] "فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ: «الْيَوْمَ أَبْتَدِئُ أُعَظِّمُكَ فِي أَعْيُنِ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ لِكَيْ يَعْلَمُوا أَنِّي كَمَا كُنْتُ مَعَ مُوسَى أَكُونُ مَعَكَ. وَأَمَّا أَنْتَ فَأْمُرِ الْكَهَنَةَ حَامِلِي تَابُوتِ الْعَهْدِ قَائِلًا: عِنْدَمَا تَأْتُونَ إِلَى ضَفَّةِ مِيَاهِ الأُرْدُنِّ تَقِفُونَ فِي الأُرْدُنِّ»" (سفر يشوع: إصحاح ٣، آيتان ٧-٨).

للاستحواذ على الأرض المقدَّسة، الَّتي منحها الرَّبُّ إيَّاها، بعد انحراف أهلها عن جادَّة الصَّواب. حينها، أوصى يشوع بني إسرائيل بألَّا يكرِّروا خطأ الأمم الكافرة الَّتي أبادوها بمدد إلهي؛ فيُطردوا من رحمة الرَّبِّ ويخسروا ميراث الأرض[١١٨]. وما كان من بني إسرائيل إلَّا أن تعهَّدوا أمام نبيِّهم بعدم الحياد عن الطَّريق القويم، بارتكاب إثم الشِّرك، واتِّباع الشَّهوات، وفعْل الموبقات[١١٩]. ومن المفارقات أنَّ العهد القديم ذاته يكشف عن نكوث بني إسرائيل بعهدهم، وعدم التزامهم بما وعدوا به نبيَّهم، بتكرار نفس الخطايا الَّتي أبادوا ساكني الأرض المقدَّسة قبلهم لأجهلها[١٢٠]. وهكذا، استحقَّ بنو إسرائيل عقاب الرَّبِّ الَّذي سلَّط عليهم أعداء نهبوهم، ولم يتدخَّل الرَّبُّ لإنقاذهم[١٢١].

بالعودة إلى تناوُل النَّشاط التَّوسُّعي لليهود بعد إعادة تأسيس دولتهم في العصر الحديث، فاتساع مساحة دولة الاحتلال في أعقاب حرب الأيَّام السِّتَّة ٣ أضعاف ونصف ما كانت عليه قبل الحرب أغرى وزير دفاعها حينها، موشيه ديان، الَّذي يُنسب إليه قوله إنَّ حدود دولة الاحتلال تصل إلى "الحدّ الذي

---

[١١٨] "يَكُونُ كَمَا أَنَّهُ أَتَى عَلَيْكُمْ كُلُّ الْكَلاَمِ الصَّالِحِ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ إِلهُكُمْ عَنْكُمْ، كَذلِكَ يَجْلِبُ عَلَيْكُمُ الرَّبُّ كُلَّ الْكَلاَمِ الرَّدِيءِ حَتَّى يُبِيدَكُمْ عَنْ هذِهِ الأَرْضِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَعْطَاكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ. حِينَمَا تَتَعَدَّوْنَ عَهْدَ الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ وَتَسِيرُونَ وَتَعْبُدُونَ آلِهَةً أُخْرَى وَتَسْجُدُونَ لَهَا، يَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ فَتَبِيدُونَ سَرِيعًا عَنِ الأَرْضِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَعْطَاكُمْ" (سفر يشوع: إصحاح ٢٣، آيتان ١٥-١٦).

[١١٩] "فَأَجَابَ الشَّعْبُ وَقَالُوا: «حَاشَا لَنَا أَنْ نَتْرُكَ الرَّبَّ لِنَعْبُدَ آلِهَةً أُخْرَى. لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَنَا هُوَ الَّذِي أَصْعَدَنَا وَآبَاءَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ...وَطَرَدَ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِنَا جَمِيعَ الشُّعُوبِ، وَالأَمُورِيِّينَ السَّاكِنِينَ الأَرْضَ. فَنَحْنُ أَيْضًا نَعْبُدُ الرَّبَّ لأَنَّهُ هُوَ إِلهُنَا»" (إصحاح ٢٤: آيات ١٦-١٨).

[١٢٠] "وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ. وَتَرَكُوا الرَّبَّ إِلهَ آبَائِهِمِ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا وَأَغَاظُوا الرَّبَّ. تَرَكُوا الرَّبَّ وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتَارُوثَ" (سفر القضاة: إصحاح ٢، آيات ١١-١٣).

[١٢١] "حَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَدَفَعَهُمْ بِأَيْدِي نَاهِبِينَ نَهَبُوهُمْ، وَبَاعَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ حَوْلَهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرُوا بَعْدُ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ" (سفر القضاة: إصحاح ٢، آية ١٤).

تصل إليه جزمة الجندي الإسرائيلي"[١٢٢]، بالتَّصريح بأنَّ ما أحرزته الحرب من أراضٍ جديدة، وفي فترة لم تتجاوز ٦ أيَّام، ليس كلَّ ما تشكِّله المساحة المفترَضة لدولة الاحتلال، مشيرًا إلى أنَّ الضَّفَّة الشَّرقيَّة لنهر الأردن لابدَّ وأن تدخل ضمن حدود الدَّولة، بحسب ما نشرته صحيفة جيروساليم بوست العبريَّة، تحت عنوان "لا عودة إلى حدود عام ١٩٤٨م"، بتاريخ ١٠ أغسطس ١٩٦٧م:

> يجب أن يُدرك العالم الخارجي أنَّه بالإضافة إلى الأهميَّة الاستراتيجيَّة الَّتي تعلِّقها إسرائيل على كلٍّ من شبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان ومضائق تيران، فإنَّ سلسلة الجبال الواقعة غربي نهر الأردن تقع في صميم التَّاريخ اليهودي[١٢٣].

صورة ١,١٠–الحاخام شلومو غورين ينفخ في البوق أمام حائط البراق بعد احتلال الضَّفَّة الغربيَّة خلال حرب يونيو ١٩٦٧م

وبالطَّبع، لاقى ذلك التَّصريح مباركة المؤسَّسة الدِّينيَّة، حيث أرسل الحاخام الأكبر لدولة الاحتلال برقية تهنئة لديان، أكَّد له فيها أنَّ

[١٢٢] بثينة عبد الرَّحمن التَّكريتي: جمال عبد النَّاصر: نشأة وتطوُّر الفكر النَّاصري، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، طبعة ١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م، ص٢٤٧.
[١٢٣] أسعد رزُّوق: المصدر السابق، ص٥٩٧.

تصريحه بشأن حدود دولة الاحتلال يعبِّر عن طموح الشَّعب اليهودي إلى استعادة كامل أجزاء دولة أسلافه في الأزمنة القديمة. وبدأ تأسيس بؤر استيطانيَّة في مرتفعات الجولان والضَّفَّة الغربيَّة، بزعم وضْع نقاط أمنيَّة لإحباط أيِّ تهديد أمني لحدود دولة الاحتلال. وطَالب الحاخام الأكبر لجيش الاحتلال، شلومو غورين، باستغلال احتلال الضَّفَّة الغربيَّة، حيث يقع المسجد الأقصى المبارك في البلدة القديمة في القُدس، في تأسيس الهيكل الثَّالث.

وفي مطلع عام ١٩٦٨م، انعقد أوَّل مؤتمر عالمي لليهوديَّة الأرثوذكسيَّة، الَّتي يمثِّل معتنقوها ربع عدد يهود الولايات المتَّحدة، في القُدس المحتلَّة، بمشاركة ما يزيد على ١٦٠٠ من الحاخامين والعلمانيين. واستغل ابا ايبان، وزير خارجيَّة الاحتلال، تلك المناسبة في مطالبة المشاركين في المؤتمر بالعمل على دعْم دولة الاحتلال بما هو أهمُّ من التَّأييد السِّياسي، وهو الهجرة والاستيطان. ويعلِّق المؤرِّخ أسعد رزُّوق على ذلك بقوله:

> لا حاجة بنا إلى مزيد من التَّصريحات والأقوال والأفعال الَّتي تؤكِّد بصورة قاطعة على دور العامل الدِّيني في تبرير الأطماع التَّوسُّعيَّة الإسرائيليَّة، وطبعها بطابع ''الشَّرعيَّة و ''القداسة'' و ''الحقّ التَّاريخي''. وليست دعوة ''إسرائيل الكبرى'' وقفًا على المتدينين والتَّحريفيين والمتطرِّفين وحدهم، بل هي تنبع من ''الوجدان الجماعي'' في إسرائيل بعد تلقينه شتَّى المضامين الدِّينيَّة

الزَّائفة، وبغية تعويده على الرَّبط بين الحوافز الدِّينيَّة والأطماع التَّوسُّعيَّة لدولة إسرائيل[١٢٤].

تطوُّر رؤى المخطَّطات الصُّهيونيَّة الدَّاعمة لمخطَّط إسرائيل الكبرى

يعتقد الكاتب الأمريكي، دوغلاس يوفان، أنَّ مخطَّط دولة إسرائيل الكبرى يمثِّل حجر الزاوية في التَّطوُّر الإيديولوجي والإستراتيجي للحركة الصُّهيونيَّة، موضحًا أنَّه يقوم على تأسيس دولة يهوديَّة تمتدُّ إلى ما هو أبعد من حدودها الحديثة، وتستند إلى الأوصاف التَّوراتيَّة والادّعاءات التَّاريخيَّة[١٢٥]. ويرى يوفان أنَّ فكرة إسرائيل الكبرى ترجع إلى ٣ شخصيَّات محوريَّة في التَّاريخ اليهودي الحديث، وهم تيودور هرتزل، مؤسِّس الصُّهيونيَّة السِّياسيَّة الحديثة؛ والحاخام ياكوف ليبوفيتش فيشمان، صاحب الإسهامات الهامَّة للجوانب الدِّينيَّة والتَّاريخيَّة للحركة الصُّهيونيَّة؛ وعوديد ينون، واضع مخطَّط تمزيق العالم الإسلامي على أساس عرقي وطائفي لتأمين السِّيادة الإقليميَّة لدولة الاحتلال.

بالحديث عن دور تيودور هرتزل في خدمة مخطَّط إسرائيل الكبرى، فقد عني هو ورفاقه بحشد الدَّعم الدُّولي والجهود الدِّبلوماسيَّة؛ لضمان قيام دولة يهوديَّة معترف بها قانونيًّا. أمَّا الحاخام فيشمان، فقد صاغ رؤية لأرض الميعاد تمتدُّ إلى ما هو أبعد بكثير من الحدود المعاصرة لإسرائيل، وتضمُّ أجزاء كبيرة من البلدان المجاورة، في ضوء الوعود الكتابيَّة. وقد أسهمت شهادته أمام شهادته أمام اللَّجنة الخاصَّة التَّابعة للأمم المتَّحدة في عام ١٩٤٧م في تسهيل تمرير

[١٢٤] المصدر السابق: ص٦١٢.

[125] Youvan, D. C. (2024). *Herzl, Fischmann, and Yinon: The Greater Israel*. https://doi.org/10.13140/RG.2.2.21864.89602

القرار ١٨١ الخاصّ بتقسيم فلسطين وتأسيس الدولة اليهوديَّة[١٢٦]. عمل الحاخام فيشمان على تطوير رؤية هرتزل لدولة إسرائيل الكبرى، فبينما ركَّزت أفكار هرتزل في المقام الأول على التَّأسيس العملي والسِّياسي للدَّولة اليهوديَّة، فإن وجهة نظر فيشمان كانت متجذِّرة بعمق في التَّقاليد الدِّينيَّة والنُّبوءات الكتابيَّة[١٢٧].

وبتناول مخطَّط عوديد ينون لتمزيق العالم الإسلام لضمان استئثار دولة الاحتلال الإسرائيلي بموقع الرِّيادة في المنطقة العربيَّة، فهو الصُّورة قبل النِّهائيَّة لمشروع الشَّرق الأوسط الكبير. وقد سبق مخطَّط عوديد ينون إلى التَّنفيذ اتِّفاقيَّة سايكس–بيكو، المُبرمة سرًّا بين بريطانيا وفرنسا عام ١٩١٦م، قبل سنوات قليلة من إسقاط الدَّولة العثمانيَّة، آخر دولة حملت لواء الخلافة الإسلاميَّة، عام ١٩٢٤م، لتقسيم أراضيها، بوضع حدود بين دول المنطقة العربيَّة[١٢٨]. ومن بعد اتِّفاقيَّة سايكس–بيكو، جاء مشروع المستشرق اليهودي الأمريكي، بريطاني الأصل، برنارد لويس، عام ١٩٨٠م، وتميَّز عن اتِّفاقيَّة سايكس–بيكو في وضْع حدود داخل دول المنطقة العربيَّة، الَّتي قسَّمها إلى دويلات صغيرة، على أساس طائفي وعرقي[١٢٩].

وفي عام ١٩٨٢م، خرج الصُّحافي اليهودي، عوديد ينون، بمشروعه، الَّذي عُرف باسم وثيقة كيفونيم، نسبةً إلى مجلَّة كيفونيم، وتعني

---

[126] Ibid: P.5.

[127] Ibid: P.11.

[١٢٨] محمَّد عبد المحسن: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: مشروع الشَّرق الأوسط الكبير: مخطَّط الصُّهيونيَّة المتجدِّد لتمزيق العالم الإسلامي، جزء١، دار العالم العربي، عمان، ٢٠٢٢م، ص٨٥.

[١٢٩] المصدر السَّابق: صـ٨٥-٨٨.

اتِّجاهات بالعبريَّة، الَّتي نشرته في ١٣ يونيو ١٩٨٢م. لم تقتصر أهداف وثيقة كيفونيم على تقسيم الدُّول الإسلاميَّة، إنَّما شملت كذلك تشجيع نشاط الحركات اليساريَّة، ونشْر العلمانيَّة، في مقابل محاربة التَّيَّار الإسلامي، من خلال إشاعة الانحلال الأخلاقي، والتَّشكيك في ثوابت الدِّين الإسلامي[١٣٠]. ولا شكَّ في أنَّ أهداف مخطَّط ينون يتم تنفيذها بمنتهى الدِّقَّة، والشَّواهد على ذلك في وقتها الرَّاهن لا تُحصى. وأخيرًا، جاء مشروع الشَّرق الأوسط الكبير، بوصفه التَّطوُّر الأخير لمخطَّط الصُّهيونيَّة لتمزيق العالم الإسلامي، وقد طرحته إدارة جورج دابليو بوش في مارس ٢٠٠٤م، في الذِّكرى الأولى لغزو العراق، الَّذي كان من بين الأمور الَّتي تنبَّأت وثيقة كيفونيم بحدوثها. وقصد ينون بمخطَّطه إلهاء دول المنطقة العربيَّة، بعد تفتيتها إلى كيانات طائفيَّة متناحرة، عن التَّنسيق فيما بينها لغزو دولة الاحتلال. ويحدِّد دوغلاس يوفان ملامح مخطَّط ينون، بقوله:

> لقد حدَّد مخطَّط ينون رؤية استراتيجيَّة لضمان هيمنة إسرائيل في الشَّرق الأوسط، من خلال التَّفتيت المتعمد لدول الجوار وإضعافها. وزعمت الوثيقة أنَّ أمن إسرائيل واستقرارها على المدى الطويل لا يمكن ضمانهما إلَّا من خلال إعادة تشكيل المشهد السِّياسي في المنطقة. وافترض ينون أنَّ معظم الدُّول المجاورة لإسرائيل هي كيانات اصطناعيَّة

[١٣٠] المصدر السَّابق: ص_٨٨-٨٩.

تعاني انقسامات داخلية عميقة الجذور، ومن ثمَّ يمكن استغلال ذلك لتقسيمها إلى كيانات أصغر وأكثر قابليّة للإدارة[١٣١].

واقترح ينون استغلال التَّركيبة الطائفيَّة والعرقيَّة المتنوّعة في لبنان، وتنافُس الفصائل المسيحيَّة والسُّنِّيَّة والشِّيعيَّة والدُّرزيَّة على السَّلطة في تقسيمه إلى دويلات طائفيَّة صغيرة الحجم تتمتَّع كلٌّ منها بالحُكم الذَّاتي[١٣٢]. وبالنِّسبة لسوريا والعراق، فرأى الصُّحافي الصُّهيوني ضرورة استغلال الانقسامات الدَّاخليَّة الَّتي تعاني منها الدَّولتان، بتأسيس دويلة لكلٍّ من الطَّوائف المتناحرة، وهي طوائف الشِّيعة والسُّنَّة والأكراد؛ حيث في أنَّ في ذلك ما يُضعف احتماليَّة المعارضة المنسَّقة لدولة الاحتلال[١٣٣]. وبالفعل، يتمتَّع إقليم كردستان العراق بالحُكم الذَّاتي منذ عام ١٩٧٠م، بموجب اتِّفاق الحكم الذاتي العراقي–الكردي لعام ١٩٧٠م[١٣٤]، والمُبرم في أعقاب الحرب العراقيَّة–الكردية الأولى، الَّتي نشبت بين عاميّ ١٩٦١م و١٩٧٠م.

وبرغم إبرام مصر اتِّفاقيَّات كامب ديفيد مع الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٧٨م، الَّتي شملت تطبيع العلاقات بينهما، فقد اعتبر ينون أن مصر لم تزل تشكِّل تهديدًا كبيرًا لأمن دولة الاحتلال. ومن ثمَّ، اقترح استغلال التَّوتُّرات الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والطَّائفيَّة في مصر في خلْق حالة من عدم الاستقرار الداخلي. علاوة على ذلك، نصَح ينون بتشجيع المسيحيين في مصر، أو الأقباط كما

---

[131] Youvan: Ibid, p.12.
[132] Ibid: P.13.
[133] Ibid: P.13.
[١٣٤] اتِّفاق الحكم الذاتي العراقي–الكردي لعام ١٩٧٠: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

يُطلق عليهم، على الانفصال، والاستقلال بدويلة مسيحيَّة تضمُّ مسيحيي مصر[١٣٥]، بعد ترويج الزَّعم بأنَّهم السُّكَّان الأصليين لمصر، وبأنَّ الفتح الإسلامي كان استعمارًا استيطانيًّا وأشبه بالاحتلال العربي الَّذي غيَّر الهويَّة القبطيَّة لمصر. جدير بالذِّكر أنَّ المؤرِّخ اللُّبناني المسيحي، نعيم شقير، قد أثبت أنَّ ثلثي المسلمين في مصر هو سلالة المسيحيين المصريين الَّذين اعتنقوا الإسلام طواعيةً، وأنَّ سلالة العرب الَّذين استقرُّوا في مصر لا يشكِّلون سوى الثُّلث الباقي من المصريين[١٣٦].

وفيما يتعلَّق بالأردن، الَّذي يصفه ينون بأنَّه دولة مصطنعة تضمُّ عددًا كبيرًا من الفلسطينيين، فقد اقترح الترويج لفكرة الأردن أنَّه الوطن الطَّبيعي للفلسطينيين. وهذا من شأنه أن يتضمن تشجيع إعادة توطين السكان الفلسطينيين من الضَّفَّة الغربيَّة وقطاع غزَّة في الأردن، وسيضمن ذلك تحييد التَّحدِّيات الدِّيموغرافيَّة والسِّياسيَّة الَّتي يفرضها الوجود الفلسطيني داخل حدود إسرائيل والأراضي المحتلَّة، كما سيفضي إلى تصفية القضيَّة الفلسطينيَّة بالكامل[١٣٧]. جدير بالذِّكر أنَّ اتِّفاقًا عُقد بين عبد الله الأوَّل بن الحسين، مؤسِّس المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة، وزعماء المنظَّمة الصُّهيونيَّة لمنْع تأسيس دولة عربيَّة في فلسطين وضمِّ القسم العربي في فلسطين إلى الأردن لنقْل الفلسطينيين إليه[١٣٨]، وهو ما لم يسمح اليهود بتنفيذه لاحقًا.

---

[135] Ibid: PP.13-14

[١٣٦] نعيم شقير: تاريخ سينا والعرب، دار الجيل، بيروت، طبعة ١، ١٩٩١م.

[137] Youvan: Ibid, p.14.

[138] [138] Shlaim, A. (1988). *Collusion across the Jordan: King Abdullah, the Zionist movement, and the partition of Palestine*. Clarendon Press. P.121.

وتختلف رؤية عوديد ينون لتنفيذ مخطَّط تأسيس دولة إسرائيل الكبرى عن رؤيتي تيودور هرتزل والحاخام ياكوف ليبوفيتش فيشمان في أنَّ رؤية ينون لم تشمل توسُّع الاحتلال في مخيطه العربي، على عكس رؤيتي هرتزل والحاخام فيشمان. وتعبِّر رؤية ينون عن تحوُّل دعائم مخطَّط إسرائيل الكبرى من الادِّعاءات الدِّينيَّة والتَّاريخيَّة إلى الاعتبارات الاستراتيجيَّة الواجب مراعاتها في سبيل الحفاظ على أمن دولة الاحتلال. وتعمد رؤية ينون على منهج عملي على وعي بالبيئة الجيوسياسية المعقَّدة، والمعادية في كثير من الأحيان، في محيط دولة الاحتلال، ويسعى إلى معالجة هذه التَّحديات من خلال التَّلاعب الاستراتيجي، بدلًا من التَّوسُّع الإقليمي. ويوجز يوفان رأيه في الرُّؤى الثَّلاث بقوله:

تمثِّل رؤى هرتزل وفيشمان وينون واستراتيجياتهم مراحل وتوجُّهات مختلفة داخل الحركة الصُّهيونيَّة الأوسع نطاقًا. فقد أرست جهود هرتزل الدِّبلوماسيَّة والتَّنظيميَّة الأساس لإقامة الدَّولة اليهوديَّة. فيما قدَّمت حجج فيشمان الدِّينيَّة والتَّاريخيَّة أساسًا أيديولوجيًّا أعمق للمطالبات الإقليميَّة الصُّهيونيَّة. في حين عكست المخطَّط الاستراتيجي لينون تحوُّلًا عمليًّا نحو ضمان الهيمنة الإقليميَّة لإسرائيل من خلال المناورات الجيوسياسيَّة. وتوضح هذه المنظورات مجتمعة الطَّبيعة المتطوِّرة للفكر الصُّهيوني وتكيُّفه مع الظُّروف والتَّحدِّيات المتغيِّرة في الشَّرق الأوسط[١٣٩].

[139] Youvan: Ibid, p.19.

وكما أفضت رؤية هرتزل إلى إصدار قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م، وتأسيس دولة الاحتلال في العام التَّالي، شجَّعت رؤية فيشمان على تأسيس مستعمرات في الأراضي المحتلَّة في حرب الأيَّام السِّتَّة عام ١٩٦٧م. ولا شكَّ في أنَّ شهادة فيشمان، أمام اللَّجنة الخاصَّة التَّابعة للأمم المتَّحدة في عام ١٩٤٧م، أسهمت في تثبيت ادِّعاء أنَّ المطالبات الإقليمية لدولة الاحتلال لم تكن سياسية فحسب، بل كانت أيضًا بأمر إلهي؛ مما أثَّر على الاتِّجاه الأيديولوجي للصُّهيونيَّة الدِّينيَّة. وبرغم أنَّ مخطَّط ينون لم يكن وثيقة سياسيَّة رسميَّة، فإن مفاهيم الاستراتيجيَّة شكَّلت الاستراتيجيَّات العسكريَّة والجيوسياسيَّة للاحتلال، وخاصَّة فكرة إضعاف الدُّول المجاورة من خلال استغلال انقساماتها الدَّاخليَّة. وتتجلَّى تأثيرات تنفيذ مخطَّط ينون في حالة التَّفكُّك الَّتي أصابت العراق منذ الغزو الأمريكي عام ٢٠٠٣م، وفي الصِّراعات الدَّاخليَّة الَّتي تفجَّرت في سوريا منذ اندلاع بداية الرَّبيع العربي عام ٢٠١١م، وكذلك في حالة عدم الاستقرار في لبنان[١٤٠].

آخر تطوُّرات مخطَّط إسرائيل الكبرى في وقتنا الرَّاهن

كما يرى دوغلاس يوفان، يسهم مخطَّط إسرائيل الكبرى في تأجيج حالة عدم الاستقرار في المنطقة العربيَّة، وكذلك في تعزيز التَّفتت الإقليمي، خاصَّةً مع تعذُّر الوصول إلى حلٍّ للقضيَّة الفلسطينيَّة إلى يومنا هذا، آملًا أن يفضي تغيُّر الدِّينامكيات الإقليميَّة، بتكوين تحالفات جديدة في

[140] Ibid: PP.20-21.

المنطقة، بتدشين المرحلة الثَّالثة في التَّطبيع العربي الإسرائيلي بإبرام اتِّفاقيَّات أبراهام عام ٢٠٢٠م مع ٤ من دول المنطقة، إلى تهدئة حالة التَّوتُّر حتَّى الانتقال إلى مرحلة الاستقرار الكامل. ولم يزل الجدال حول مخطَّط إسرائيل الكبرى وتداعياته على سياسات الاستيطان والأمن والعلاقات مع الفلسطينيين دائرًا إلى يومنا هذا، مع دعوة الجماعات اليمينيَّة وتيَّار الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة إلى استمرار توسيع المستوطنات وضمِّها إلى سيادة دولة الاحتلال، في مقابل دفاع تيَّارات أخرى عن حل الدولتين ومفاوضات السَّلام، ممَّا يخلق حالة من التَّوتُّر؛ بسبب تصادُم التطلعات التَّوسُّعيَّة مع الاعتبارات البرجماتيَّة للأمن والعلاقات الدُّوليَّة[١٤١].

لن ننسى أنَّ الحكومة الحالية للاحتلال الإسرائيلي تنتمي إلى حزب اللِّيكود، المستند إلى تعاليم الصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة، الَّتي أرسى المتطرِّف زئيف فلاديمير جابوتنسكي، والَّتي تشدِّد على حتميَّة اشتمال أراضي دولة الاحتلال على كافَّة الحدود الموضحة في النُّصوص الكتابيَّة، مع إنكار أيِّ حقٍّ للعرب للحياة فيها، في ضوء رأي جابوتنسكي القائل إنَّ "الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يوافق بموجبها العرب على دولة يهودية في فلسطين هي القوة التي تسحقهم وتذعنهم[١٤٢]". ويسير بنيامين نتنياهو على خطى جابوتنسكي، الَّذي يعتبره "ملهمه ومرشده الرُّوحي":

---

[141] Ibid: P.26.

[١٤٢] أحمد محمَّد فال: من جابوتنسكي الَّذي يقتدي به نتنياهو ويحتفظ بسيفه؟، موقع الجزيرة نت، ١٨ أغسطس ٢٠٢٤.

صورة ١,١١–نتنياهو يحتفي بجابوتنسكي

من جابوتنسكي الَّذي يقتدي به نتنياهو ويحتفظ بسيفه؟

يكرِّر رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو في خطاباته ذكر زئيف فلاديمير جابوتنسكي، ويقدِّمه على أنَّه ملهمه ومرشده الرُّوحي، وأنَّه يحتفظ بسيفه ويقرأ أعماله بشكل دائم.

ومنذ سيطرة حزب اللِّيكود على الحكومة، تخصِّص إسرائيل يومًا في السَّنة لإحياء ذكراه، وأطلقت اسمه على عدد من المراكز والشَّوارع.

ويرى إرن كابلان رئيس قسم الدِّراسات الإسرائيليَّة في جامعة سان فرانسيسكو في بحث نشره بعنوان "لمحة عن الأيديولوجيَّة الَّتي توجِّه نتنياهو"، أنَّ الحرب الإسرائيليَّة المميتة الحالية الَّتي تحوَّلت إلى كارثة إنسانيَّة على

الفلسطينيين في غزة تعكس أيديولوجيَّة تُعرف باسم "الجدار الحديدي" أطلقها جابوتنسكي في عشرينيَّات القرن الماضي، وشكَّلت الملهم الأساسي لنتنياهو طيلة مسيرته في الحُكم على مدى عقدين من الزمن.

أما الكاتب الأميركي المختص في الشُّؤون الدُّوليَّة زاك بوشامب فيرى في مقال نشره بعنوان "الأفكار الَّتي تحدِّد شخصيَّة بنيامين نتنياهو" أنَّ مواقف رئيس الوزراء المتشدِّدة، الَّتي تقوده أحيانًا إلى خلافات مع أقرب حلفائه مثل الأميركيين، سببها انتماؤه إلى التَّيار الصُّهيوني الأقدم والأكثر تشدُّدًا الَّذي نشأ على يد جابوتنسكي[١٤٣].

[١٤٣] المصدر السَّابق.

الفصل الثَّاني

رؤية نتنياهو عن مستقبل المنطقة العربية

تحت وطأة دولة الاحتلال

يسعى ساسة دولة الاحتلال الإسرائيلي منذ تأسيسها عام ١٩٤٨م، إلى إنهاء حالة العداء المتأجِّج بينها وبين محيطها العربي، وهو عداء متفاقم من جرَّاء استمرار عدوان جيش الاحتلال على الأراضي الفلسطينيَّة المحتلَّة، وبخاصَّة قطاع غزَّة، بزعم السَّعي إلى القضاء على حركات المقاومة الفلسطينيَّة الموالية لإيران، وفي مقدِّمتها حركة حماس، ويليها حزب الله اللُّبناني، ثمَّ جماعة أنصار الله، أو الحوثيين، اليمنيَّة، وكذلك الحشد الشَّعبي في العراق. فقد اقترح السِّياسي الإسرائيلي الهالك، شمعون بيريز، الَّذي تقلَّد أرقى المناصب في دولة الاحتلال، وصولا إلى منصب رئيسها التَّاسع (١٥ يوليو ٢٠٠٧م– ٢٤ يوليو ٢٠١٤م)، إعادة تشكيل المنطقة العربيَّة، الَّتي أطلق عليها منطقة الشَّرق الأوسط[١٤٤]؛ لإيجاد موقع لدولة الاحتلال، بعد إنهاء حالة العداء بينها وبين دول المنطقة،

[144] Peres, S.& Naor, A. (1993). *The New Middle East*. New York: Henzy Holt and Company.

ذات الأغلبيَّة المسلمة، وذلك من خلال القضاء على أهمِّ أسباب الخصومة، ألا وهي العقائد الإسلاميَّة الَّتي تحرِّم التَّصالح مع الكيان المحتلِّ، في عدوانه الغاشم على الإسلام وأهله، مصداقا لقول الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ[١٤٥]﴾.

لم يتخلَّ بيريز عن الصَّلف والكِبر عند قوله إنَّ الحروب بين دولة الاحتلال ومحيطها العربي لم تجلب سوى الدَّمار والخراب وخسارة الجانب العربي أراضيه لصالح دولة الاحتلال، الَّتي تضاعفت مساحتها بعد هزيمتها للجيوش العربية، خاصَّةً في حرب الأيَّام السِّتَّة، أو حرب يونيو/حزيران ١٩٦٧م، داعيا إلى اتِّخاذ المسلك الدِّبلوماسي لإنهاء الصِّراع العربي الإسرائيلي:

> لو درسنا الأمور من كلِّ جوانبها، فإنَّ أيَّ حرب تُخاض الآن ستكون حربًا لا ضرورة لها، تنطوي على خسائر فادحة في الأرواح، وعلى معاناة بشريَّة، وأضرار ماليَّة وبيئيَّة تبلغ من الضَّخامة حدًّا تستحيل معه مساحات واسعة من أرض المنطقة إلى أرض يباب، ولن يمون ثمَّة منتصر، ولن يحصل أيُّ تغيُّر أو أدنى تغيُّر في الوضع الاستراتيجي السِّياسي الأساسي. فإسرائيل ستواصل الجهود وخصومها لن يستسلموا، وإن أردنا الصَّراحة الجارحة، فإنَّ هذا النَّمط من الحرب يعني نحْر ضحايا للا شيء .

[١٤٥] [سورة الممتحنة: ٩].

إنَّه سفْك دماء لن يحقِّق أيَّما نفع...إن وقعت حربٌ أخرى، فإنَّ المعارك ستكون طويلة مريرة، والدَّمار أعظم من ذي قبل، وحجم المصابين على الجبهات وخلف الخطوط لا مثيل له من قبل، ولن تتوفَّر ألبومات أو أغاني لكي ننشدها، ولا أكاليل نتوِّج بها رؤوس الجنود المتعبين، العائدين إلى الوطن ممزَّقين، محطَّمين جسدًا وعقلًا[١٤٦].

وافترض بيريز أنَّ إعادة تشكيل المنطقة العربيَّة، وفق المعايير الَّتي تُرضي دولة الاحتلال، لا بدَّ وأن يسبقه تأسيس أنظمة جديدة في دول المنطقة، على أن تعتمد تلك الأنظمة على أُسس ديموقراطيَّة علمانيةً تضمن لها الاستقرار السِّياسي، والاقتصادي، والأمني[١٤٧]. ويرى بيريز أنَّ إتمام عمليَّة السَّلام في المنطقة العربية مرهون بالقضاء على الأصوليَّة والتَّطرُّف الدِّيني، في إشارة ضمنيَّة إلى أهل السُّنَّة والجماعة من المسلمين، محدِّدًا ملامح النِّظام الجديد الَّذي يريد تأسيسه:

إنَّ إرساء نظام إقليمي مرهون بنجاح عمليَّة السَّلام الإسرائيليَّة–العربيَّة. وإذا توخَّينا المزيد من الدِّقَّة، فإنَّ النِّظام الإقليمي المقترَح سيتطوَّر بموازاة عمليَّة السَّلام بطوريها المرسومين. إنَّ الأمن–أي منْع الحرب وإقامة حدود ثنائيَّة آمنة–سيكون القضيَّة المهيمنة في الطَّور الأوَّل، الانتقالي.

---

[١٤٦] شمعون بيريز: الشَّرق الأوسط الجديد، ترجمة محمَّد حلمي عبد الحافظ، الأهليَّة للنَّشر والتَّوزيع، طبعة ١، الأردن، عمَّان، ١٩٩٤م، ص٤٩.

[١٤٧] محمَّد عبد المحسن: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: مشروع الشَّرق الأوسط الكبير: مخطَّط الصُّهيونيَّة المتجدِّد لتمزيق العالم الإسلامي، جزء ١، دار العالم العربي، الأردن، عمَّان، ٢٠٢٢م، ص١٤٩.

وستعكس الخطوط الجغرافيَّة الاعتبارات الأمنيَّة، إلى جانب العوامل الدِّيموغرافيَّة والتَّاريخيَّة والاقتصاديَّة والسِّياسيَّة...الهدف الرَّئيسي للطَّور الأوَّل من عمليَّة السَّلام هو تقليل الاحتكاك وإزالة مصادر العداء وبناء الثِّقة المتبادَلة والاستعداد للتَّطلُّع للمستقبل...فهل يمكن للطَّرفين أن يلتقيا على جسر الحُكم الذَّاتي ويمضيا قُدُمًا نحو ترتيب دائم؟ ...إنَّ الهدف الرَّئيسي هو إقامة نظام مستقرٍّ من علاقات حُسن الجوار. وإنَّ البيئة الآمنة المستقرَّة، النَّاشئة عن ذلك، ستفضي، بدورها، إلى النُّمو والتَّنمية والازدهار والرَّفاه لكلِّ شخص، ولكلِّ أمَّة، ولعموم المنطقة[١٤٨].

مفهوم نتنياهو عن السَّلام في ظلِّ شرق أوسط جديد

في كتابه الصَّادر عام ٢٠٠٩م تحت عنوان **سلام دائم: إسرائيل ومكانتها بين الأمم**[١٤٩]، والصَّادر بالعربيَّة تحت عنوان **مكان تحت الشَّمس**[١٥٠]، يطرح السِّياسي المخضرم، ورئيس حكومة الاحتلال الإسرائيلي (١٨ يونيو ١٩٩٦-٦ يوليو ١٩٩٩م؛ ٣١ مارس ٢٠٠٩-١٣ يونيو ٢٠٢١م؛ ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٢م- إلى الآن)، وزعيم حزب اللِّيكود، بنيامين نتنياهو، رؤيته عن مستقبل دول الاحتلال وسط محيطها العربي، مغرِّدًا في سرب بيريز. يرى السِّياسي

[١٤٨] شمعون بيريز: المصدر السَّابق، صـ٦٧-٦٨.

[149] Netanyahu, B. (2009). *A durable peace: Israel and its place among the nations*. Grand Central Publishing.

[١٥٠] بنيامين نتنياهو: مكان تحت الشَّمس، ترجمة محمَّد عودة الدُّويري، دار الجليل للنَّشر، طبعة ٣، عمَّان، الأردن، ٢٠١٥م.

الإسرائيلي أنَّ السَّلام بين دولة الاحتلال والعالم العربي لا بدَّ وأن يقدِّم حلولًا لأسباب النِّزاع المتأصِّل بين الطّرفين، باعتراف العرب بدولة الاحتلال "بصورة مباشرة، ودون شروط[١٥١]"، مع قبول التَّعايش السِّلمي معها. ولا يمكن أن يحدث ذلك دون التَّخلُّص من عوائق إرساء السَّلام الذَّي تبتغيه دولة الاحتلال.

ولا شكَّ في أنَّ ابتداع ما يُسمَّى بالدِّيانة الإبراهيميَّة الجديدة، بالتَّزامن مع إبرام اتِّفاقيَّات أبراهام (Abraham Accords)، في ١٣ أغسطس ٢٠٢٠م، بإعلان دولة الإمارات العربيَّة المتَّحدة تطبيع العلاقات مع دولة الاحتلال، كان بمثابة الخطوة الأولى في طريق إعادة تشكيل المنطقة العربيَّة وفق المعايير الإسرائيليَّة. ولن ننسى أنَّ إدارة الرَّئيس الأمريكي الأسبق، جورج دابليو بوش (يناير ٢٠٠١-يناير ٢٠٠٩م)، قدَّمت مشروع الشَّرق الأوسط الكبير في مارس ٢٠٠٤م، في الذِّكرى الأولى لغزو العراق، بقيادة الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، في بحث نشرته مؤسسة كارنيجي للسَّلام الدُّولي ضمن الأعمال التَّحضيريَّة لقمَّة مجموعة الثَّماني في يونيو من العام ذاته[١٥٢]؛ سعيًا إلى "إعادة صياغة المنطقة جغرافيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وحضاريًّا، وإقامة ترتيبات أمنيَّة وسوق مشتركة إقليميَّة لخدمة الأهداف والمصالح الأمريكيَّة والصُّهيونيَّة في المنطقة[١٥٣]". أمَّا عن أهمِّ أبعاد ذلك المشروع، فهي أنَّه:

---

[١٥١] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص٤٢٤.
[١٥٢] الشَّرق الأوسط الكبير: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.
[١٥٣] غازي حسين: الشَّرق الأوسط الكبير بين الصُّهيونيَّة العالميَّة والإمبرياليَّة الأمريكيَّة منشورات اتِّحاد الكُتَّاب العرب، دمشق، سوريا، ٢٠٠٥م، ص٩.

جرى ويجري رسم الخريطة الجديدة للمنطقة في مراكز البحث العلمي الصُّهيونيَّة في "إسرائيل" والولايات المتَّحدة الأمريكيَّة. وتبنَّاها الرئيس الأمريكي بوش ووزير خارجيته الجنرال كولن باول وأعلنا عن عزم الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة رسم خريطة جديدة لمنطقة الشَّرق الأوسط.

فالمشروع أو النظام الشَّرق أوسطي يجري تصميمه في خارج المنطقة وسيفرض من خارجها وخاصة بعد الاحتلال الأمريكي للعراق لإعادة صياغة الوطن العربي والمنطقة انطلاقًا من ميزان القوى والواقع الجديد وحسب أسس جديدة تخدم المصالح الأمريكيَّة والصُّهيونيَّة في المنطقة وفي العالم[١٥٤].

ومشروع الشَّرق الأوسط الكبير، والمعروف كذلك باسم الشَّرق الأوسط الجديد، هو المسمَّى الجديد لمشروع تمزيق العالم الإسلامي على أساس ديني وعرقي؛ من أجل إفساح المجال لتسيُّد دولة الاحتلال الإسرائيلي على دول المنطقة، من خلال تطبيق سياسة فرِّق تسُد. وكان مؤسِّس الصُّهيونيَّة السِّياسيَّة وأبرز الدَّاعين إلى هجرة اليهود لاستيطان الأرض المقدَّسة، تيودور هرتزل، صاحب فكرة ذلك المشروع الخبيث، كما أورد في دفتر يوميَّاته، حيث دعا إلى "قيام كومنولث شرق أوسطي، يكون لدولة اليهود فيه شأن قيادي فاعل، ودور اقتصادي قائد، وتكون المركز لجلب الاستثمارات والبحث العلمي والخبرة

[١٥٤] المصدر السَّابق: ص٩.

الفنيَّة[١٥٥]". أمَّا عن مراحل تطوير مخطَّط هرتزل، فيمكن القول بأنَّ مشروع الشَّرق الأوسط الكبير هو:

الإصدار المطوَّر لاتِّفاقيَّة سايكس-بيكو، ووثيقة كيفونيم، المعروفة كذلك اسم خطَّة ينون، الَّتي طرحها صحافي إسرائيلي يُدعى عوديد ينون خلال مؤتمر للمنظَّمة الصُّهيونيَّة تحت عنوان "دائرة الإعلام الخاصَّة بالمنظَّمة الصُّهيونيَّة"، ونشرتها مجلَّة كيفونيم، المجلَّة الرَّسميَّة النَّاطقة باسم المنظَّمة، في ١٣ يونيو ١٩٨٢م. وقد دعا ذلك المخطَّط إلى نشْر الفوضى في العالم الإسلامي، وتطبيق العلمانيَّة في مقابل إقصاء الشَّريعة الإسلاميَّة ودحْر تيَّار الإسلام السِّياسي، وإباحة الفسق والفجور، وتشجيع الانقسامات الطَّائفيَّة .

وقد أقرَّ الكونغرس الأمريكي في جلسة سرِّيَّة عام ١٩٨٣م الخارطة الجديدة للمنطقة، وهي من إعداد المستشرق اليهودي الأمريكي، بريطاني الأصل، برنارد لويس، وهي تقوم على أساس تقسيم المنطقة بحسب الانتماءات الدِّينيَّة والعرقيَّة[١٥٦].

[١٥٥] إنعام رعد: الصُّهيونيَّة الشَّرق أوسطيَّة من هرتزل إلى بيريز إلى النَّفق والخطَّة المعاكسة، شركة المطبوعات للتَّوزيع والنَّشر، لبنان، ١٩٩٧م، ص٦٢.

[١٥٦] محمَّد عبد المحسن: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ -التَّطبيع العربي الإسرائيلي من معسكر داود إلى الاتِّفاقيَّات الإبراهيميَّة، دار حدوس وإشراقات للنشر، الأردن، عمَّان، ٢٠٢٣م، صـ٣٣-٣٤.

صورة ٢,١–نتنياهو يستعرض خارطة "الشَّرق الأوسط الجديد" أمام الجمعيَّة العامَّة للأمم المتَّحدة، ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٤م

وقد صرَّح بنيامين نتنياهو، خلال مشاركته في اجتماعات الجمعيَّة العامَّة للأمم المتَّحدة، في ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٤م، بأنَّ إحلال السَّلام في المنطقة العربيَّة يحتاج إلى التَّخلُّص من شبح التَّهديد الإرهابي للجماعات الأصوليَّة، في إشارة إلى نظام ملالي الرَّافضة في إيران ومعاونيه من حركات المقاومة الإسلاميَّة السُّنِّيَّة، وعلى رأسها حركتا حماس والجهاد الإسلامي في قطاع غزَّة، والشِّيعيَّة، وفي مقدِّمتها حزب الله اللُّبناني وجماعة الحوثيين اليمنيَّة والحشد الشَّعبي العراقي. وأعاد نتنياهو الإشارة إلى ما سبق وأن أثاره شمعون بيريز في كتابه آنف الذِّكر[١٥٧]، عن ضرورة نزْع سلاح المقاومة، والتَّماهي مع دولة الاحتلال ثقافيًّا، أملا في إتمام عمليَّة التَّطبيع مع كافَّة دولة المنطقة، بانضمام بلاد الحرمين، أو المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، إلى اتِّفاقيَّات أبراهام، وهو ما أبدت المملكة استعدادها له قبل عام، على لسان وليِّ عهدها، الأمير

[١٥٧] شمعون بيريز: المصدر السَّابق

محمَّد بن سلمان[158]، لكنَّ عمليَّة طوفان الأقصى الَّتي شنَّتها حماس على مستوطنات غلاف غزَّة، في ٧ أكتوبر الماضي، عرقلت ذلك.

رئيس الوزراء الإسرائيلي: سنواصل الدفاع عن أنفسنا ونسعى إلى تحقيق السَّلام

قال رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو إنَّه لم يكن ينوي المجيء إلى الجمعيَّة العامَّة للأمم المتَّحدة هذا العام، لأنَّ بلاده تمرُّ بحرب تهدد وجودها. وأضاف أنَّه عدَّل عن قراره "ليصحح ويوضح" الحقائق بعد أن سمع "الأكاذيب والافتراءات الَّتي وجَّهها العديد من المتحدِّثين من هذا المنبر".

وأضاف رئيس الوزراء الإسرائيلي "لديَّ رسالة إلى طغاة طهران. إذا ضربتمونا، فسوف نضربكم. لا يوجد مكان في إيران لا يمكن للذِّراع الطَّويلة لإسرائيل أن تصل إليه. وهذا ينطبق على الشَّرق الأوسط بأكمله."

وقال رئيس وزراء إسرائيل إنَّ بلاده ملتزمة أيضا "بتحقيق نعمة الشَّرق الأوسط الجديد". وأوضح أنه ينبغي مواصلة المسار الَّذي تمَّ تمهيده عبر الاتفاقيَّات الإبراهيميَّة قبل أربع سنوات، "وهذا

[158] Fox News (2023, September 20). Bret Baier interviews Saudi Prince: Israel peace, 9/11 ties, Iran nuke fears: 'Cannot see another Hiroshima'

يعني قبل كل شيء التَّوصُّل لاتفاقيَّة سلام تاريخيَّة بين إسرائيل والمملكة العربيَّة السَّعوديَّة."

وأشار إلى أنَّ السَّلام بين إسرائيل والسَّعوديَّة من شأنه أن يشكِّل نعمة للأمن والاقتصاد في البلدين، وأن يعزز التجارة والسياحة في مختلف أنحاء المنطقة، وأن يساعد في تحويل الشَّرق الأوسط إلى قوة عالميَّة هائلة.

وقال: "إسرائيل اتَّخذت خيارها. نحن نسعى إلى المضي قدمًا نحو عصر مشرق من الرَّخاء والسَّلام. كما اتخذت إيران ووكلاؤها خيارهم أيضًا. إنَّهم يريدون العودة إلى عصر مظلم من الإرهاب والحرب[١٥٩]".

صورة ٢,٢–نتنياهو يستعرض خارطتي "النِّعمة" و "اللَّعنة" أمام الجمعيَّة العامَّة للأمم المتَّحدة، ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٤م

[١٥٩] رئيس الوزراء الإسرائيلي: سنواصل الدفاع عن أنفسنا ونسعى إلى تحقيق السَّلام، أخبار الأمم المتَّحدة، ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٤م.

وتعمَّد بنيامين نتنياهو المقارنة بين الدُّول الحليفة لدولة الاحتلال في المشرق الإسلامي، وعلى رأسها دول الخليج العربي ومصر والأردن والسُّودان، الَّتي أبرم معظمها اتِّفاقيَّات للتَّطبيع مع الاحتلال، ومعها الهند، في خارطة وصفها بخارطة "النَّعمة"، والدُّول المعادية، وفي مقدِّمتها إيران، ومعها سوريا والعراق، والَّتي أطلق عليها خارطة "اللَّعنة، وهي الدُّول الَّتي سبق وأن أطلق عليها جورج دابليو بوش اسم "محور الشَّر"، في خطاب ألقاه في ٢٩ يناير ٢٠٠٢م، باعتبارها دول ترعى الإرهاب[١٦٠].

لمحة عن حياة نتنياهو

وُلد بنيامين نتنياهو في ٢٣ أكتوبر ١٩٤٩م، أي بعد تأسيس دولة الاحتلال الإسرائيلي بعام ونصف تقريبا، في تل أبيب، لأم تُدعى تسيلا سيغال، تنحدر من مستوطنة بتاح تكفا شرقي تل أبيب، وأب يُدعى بن صهيون نتنياهو، وكان مؤرِّخًا متخصِّصًا في التَّاريخ اليهودي، وأصله من بولندا، وكان جدُّه لأبيه حاخامًا يهوديًّا يُدعى ناثان ميليكوفسكي، وهو الَّذي غيَّر لقب العائلة إلى نتنياهو، أو عطيَّة الرَّبِّ[١٦١]. عاشت أسرة نتنياهو في حيِّ الطَّالبيَّة، في القُدس المحتلَّة، ونال بيبي، كما يُعرف السِّياسي المخضرم بالاسم المختصر، قسطًا كبيرًا من التَّعليم، بعد إجادة اللُّغتين الإنجليزيَّة والعبريَّة. وبرغم سفر العائلة إلى الولايات

[١٦٠] محور الشَّر: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.
[١٦١] بنيامين نتنياهو: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

المتَّحدة عام ١٩٦٣م، خدم بيبي في جيش الاحتلال بوصفه جنديًّا وضابطًا في وحدة الكوماندوز الخاصَّة باستخبارات القيادة العامة في الجيش، ما بين عاميّ ١٩٦٧م و١٩٧٢م، حيث عاد إلى دراسته في الولايات المتَّحدة. غير أنَّ بيبي اضطرَّ للعودة إلى دولة الاحتلال؛ للخدمة في الجيش مع اندلاع حرب يوم الغفران، أو حرب أكتوبر، عام ١٩٧٣م.

برغم دراسته للهندسة المعماريَّة، سلك بنيامين نتنياهو طريق العمل السِّياسي، ليشغل منصب مندوب دولة الاحتلال الإسرائيلي لدى الأمم المتَّحدة منذ عام ١٩٨٤م وحتَّى عام ١٩٨٨م، ثمَّ عاد إلى دولة الاحتلال في ذلك العام لينضمَّ إلى حزب اللِّيكود، الَّذي صار رئيسًا له عام ١٩٩٣م، ليفوز بمنصب رئيس حكومة الاحتلال عن الحزب لأوَّل مرَّة عام ١٩٩٦م. جدير بالذِّكر أنَّ نتنياهو قد التقى عام ١٩٩٠م بالحاخام مناحيم مندل شنيئورسون، زعيم حركة حباد الحسيديَّة الروحانيَّة، قد أبدى الأخير إعجابه بجهود نتنياهو، متنبئًا له بمستقبل مبهر، مشيرًا إلى أن السِّياسي الصَّاعد حينها هو الَّذي سيسلِّم الماشيح، أو مخلِّص بني إسرائيل المنتظر، الحُكم[١٦٢]، مستبشرًا بآيَّة من العهد القديم، تقول "قَلْبُ الْمَلِكِ فِي يَدِ الرَّبِّ كَجَدَاوِلِ مِيَاهٍ، حَيْثُمَا شَاءَ يُمِيلُهُ[١٦٣]".

[١٦٢] محمَّد عبد المحسن: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ -المؤامرة الصَّفويَّة-الصُّهيونيَّة لإخضاع العالم الإسلامي جزء١، دار أنهار للنَّشر، بيروت، لبنان، ٢٠٢٢م، ص٢٨٤.

[١٦٣] (سفر الأمثال: إصحاح ٢١، آيَة ١)

صورة ٢,٣ –نتنياهو والحاخام مناحيم مندل شنيئورسون عام ١٩٩٠م

هذا، ويصرّح نتنياهو بتوجُّهه الدِّيني، واستناده إلى تعاليم العهد القديم في تشكيل سياساته ورؤيته للمستقبل، في ظلِّ التَّصعيد المتواصل مع أعداء دولة الاحتلال الإسرائيلي، حيث يستدل بنبوءات آخر الزَّمان في العهد القديم في معاركه السِّياسيَّة والعسكريَّة[١٦٤]. وقد بدأ نتنياهو أواخر عام ٢٠١١م دراسة الكتاب المقدَّس في منزله بالقدس المحتلَّة، آملا أن يتَّبعه في ذلك كافة مستوطني دولة الاحتلال الإسرائيلي، أسوةً بما حدث أيَّام الملك يوشيا[١٦٥]، وهو ملك مملكة يهوذا من سنة ٦٤١ إلى ٦٠٩ قبل الميلاد، المعروف بإصلاحاته الدِّينيَّة، بعد عثوره على نصوص العهد القديم في الهيكل الأوَّل[١٦٦]. ونقلت صحيفة جيروساليم بوست العبريَّة قوله:

---

[164] Rosenberg, J. C. (2012). *Israel at war: Inside the nuclear showdown with Iran.* Tyndale House Publishers, Inc.

[165] Rosenberg, J. (2011, December 1). NETANYAHU TO START BIBLE STUDY IN HIS HOME: Pray that all Israelis follow his lead and begin reading the Word, like in the days of King Josiah. *Epicenter media*.

[١٦٦] يوشيا ملك يهوذا: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

آمن بن غوريون وبيغن أنَّ الكتاب المقدَّس ينبغي أن يصبح إرث أبناء أمَّتنا جميعهم–العلماني منهم والمتدِّين، حديث السِّن والبالغ، الرجال والنِّساء. الكتاب المقدَّس هو أساس وجودنا، وهو الَّذي يوحِّد اليهود، وطالما فعَل عبر الأجيال. هو ليس مجرَّد أساس، بل هو كذلك خارطة وبوصلة...دائمًا ما يرتبط الكتاب المقدَّس بمشكلات اليوم وتحدِّياته، وهو مصدر إلهام وحياة لأمَّتنا. أعتقد أنَّه من اللازم توسيع نطاق دراسة الكتاب المقدَّس وحُبِّه في كافَّة أرجاء الأمَّة[١٦٧].

هل حقًّا يمكن
إحلال السَّلام بين الاحتلال والعرب، لا سيّما الفلسطينيين؟!

لن ننسى أنَّ حزب اللِّيكود، الَّذي يترأَّسه نتنياهو منذ أكثر من ٣ عقود، متأثِّر في تكوينه الأيديولوجي بحركة الصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة، الَّتي أسَّسها اليهودي المتطرِّف، زئيف فلاديمير جابوتنسكي، والَّتي تنفي أيَّ أحقيَّة للعرب في الأرض المقدَّسة، وتدعو إلى إبادتهم جميعًا، رافضةً أيَّ وجود لها في الأرض، ومشدِّدةً على أحقيَّة اليهود في كامل أراضي فلسطين الانتدابية وشرق الأردن[١٦٨]. ومن هذا المنطلَق، يصرُّ نتنياهو على إخضاع حكومة الاحتلال الإسرائيلي لكامل أراضي فلسطين التَّاريخيَّة، مستندًا إلى النُّصوص الكتابيَّة الَّتي تثبت أحقيَّة اليهود في تلك الأراضي، وعلى رأسها عهد الرَّبِّ لأبراهام العبراني

[١٦٧] محمَّد عبد المحسن: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ -المؤامرة الصَّفويَّة-الصُّهيونيَّة لإخضاع العالم الإسلامي جزء٣، دار أنهار للنَّشر، بيروت، لبنان، ٢٠٢٢م، صـ٢٣٠-٢٣١.
[١٦٨] صهيونيَّة تصحيحيَّة: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

بالأرض ما بين نهري الفرات والنِّيل[١٦٩]. ومع ذلك، فإلى جانب تبيان بطلان ذلك العهد بالأدلَّة من النُّصوص القرآنيَّة[١٧٠]، فهناك من النُّصوص الكتابيَّة ذاتها ما يثبت فقدان بني إسرائيل الأحقيَّة في ميراث الأرض المقدَّسة بما اقترفوه من آثام، على رأسها الحياد عن الشَّريعة الإلهيَّة[١٧١].

كان نتنياهو بين أعضاء الوفد الإسرائيلي، برئاسة إسحق شامير، في مؤتمر مدريد للسَّلام، الَّذي انعقد ما بين ٣٠ أكتوبر و١ نوفمبر ١٩٩١م في العاصمة الإسبانيَّة، برعاية كلٍّ من الولايات المتَّحدة والاتِّحاد السُّوفييتي، سعيا إلى إحياء عمليَّة السَّلام في المنطقة العربيَّة. وقد مهَّد ذلك المؤتمر لإبرام اتفاقيَّة أوسلو بين منظمة التَّحرير الفلسطينيَّة وحكومة الاحتلال، في ١٣ سبتمبر ١٩٩٣م، الَّتي نصَّت على الاعتراف الفلسطيني بالكيان الإسرائيلي المحتل، وبحقِّه المزعوم في العيش في سلام مع الفلسطينيين، الَّذين وُعدوا زورا بدولة مستقلَّة لم يتم تأسيسها إلى اليوم. بذلك:

> كانت تلك الاتِّفاقيَّة بمثابة تنازُل باسم الشَّعب الفلسطيني عن حقِّه في أرضه التَّاريخيَّة، بالاعتراف بالكيان المغتصب، دون الحصول على أدنى حقٍّ في المقابل، وهو تأسيس دولة

---

[١٦٩] "لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ" (سفر التَّكوين: إصحاح ١٥، آية ١٨).

[١٧٠] محمَّد عبد المحسن: ﴿ليسوؤوا وجوهكم﴾ القبَّالة في ميزان القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، مكتبة نور الإلكترونيَّة، ٢٠١٩م، صـ٦٩-٧٠.

[١٧١] "كَمَا فَرِحَ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُحْسِنَ إِلَيْكُمْ وَيُكَثِّرَكُمْ، كَذلِكَ يَفْرَحُ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُفْنِيَكُمْ وَيُهْلِكَكُمْ، فَتُسْتَأْصَلُونَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا. وَيُبَدِّدُكَ الرَّبُّ فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا" (سفر التَّثنية: إصحاح ٢٨، آيتان ٦٣-٦٤).

فلسطينيَّة، عملًا بقراري الأمم المتَّحدة رقمي ٢٤٢ و٣٣٨. علاوة على ذلك، فقد قوَّضت تلك الاتِّفاقيَّة مساعي المقاومة في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي والنَّشاط الاستيطاني، كما أنَّها اختزلت القضيَّة في صورة مشروع لتأسيس دولة ممزَّقة في الضَّفَّة الغربيَّة وغزَّة تخضع لهيمنة الاحتلال.

على ذلك؛ فقد كان إبرام اتِّفاقيَّة أوسلو خطوة إيجابيَّة لصالح الاحتلال، الَّذي ضمن من خلالها تقييد المقاومة لتحرير الأرض بالكامل من خلال التَّنسيق الأمني مع السُّلطة الفلسطينيَّة، أو سُلطة أوسلو كما يطلق عليها الفلسطينيون، وكذلك الإجهاز على مساعي تأسيس دولة فلسطينيَّة موحَّدة[١٧٢].

وكان من أهمِّ بنود اتِّفاقيَّة أوسلو ضرورة إنهاء أي صراع مسلَّح مع الاحتلال الإسرائيلي، في إطار عمليَّة إحلال السَّلام؛ وهو ما تطلَّب وجود تنسيق أمني بين سُلطة أوسلو والاحتلال؛ لوأْد كافَّة حركات المقاومة، التي يصمها الاحتلال بالإرهاب والتَّطرُّف والتَّهديد الأمني، في تبرير لحملاته العسكريَّة ضدَّها. تعهَّد ياسر عرفات، رئيس منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة وأوَّل رئيس للسُّلطة الفلسطينيَّة، بإلغاء الفقرات الدَّاعية إلى محو دولة الاحتلال من الميثاق الوطني، مدَّعيا أن اتِّفاقيَّة أوسلو مؤقَّتة، مثلها كمثل اتِّفاقيَّة صُلح الحديبية التي أبرمها نبيُّنا مُحمَّد

[١٧٢] محمَّد عبد المحسن: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ -التَّطبيع العربي الإسرائيلي من معسكر داود إلى الاتِّفاقيَّات الإبراهيميَّة، دار حدوس وإشراقات للنشر، الأردن، عمَّان، ٢٠٢٣م، صـ٥٦-٥٧.

(ﷺ) مع قريش، ثمَّ انقلب عليها حينما كوَّن جيشًا كبيرًا بإمكانية فتح مكَّة[١٧٣]!

صورة ٢,٤ –ترامب ونتنياهو عند إعلان صفقة القرن في البيت الأبيض في واشنطن، ٢٨ يناير ٢٠٢٠م

نجحت اتِّفاقيَّة أوسلو الغادرة بذلك في تحييد المقاومة ضدَّ الاحتلال الإسرائيلي الغاشم، ووأدت كافَّة أشكال الرَّدع في مواجهة عدوانه، بزعم العمل على إحلال السَّلام المفضي إلى تأسيس دولة فلسطينية مستقلَّة على حدود ٥ يونيو/حزيران ١٩٦٧م. غير أنَّ التَّجربة أثبتت زيف ذلك الوعد، مصداقًا لقول الله تعالى عن نقْض اليهود للمواثيق[١٧٤]. هذا، وقد صرَّح نتنياهو، في أعقاب إبرام خطَّة ترامب للسَّلام، نسبة للرَّئيس الأمريكي السَّابق، دونالد ترامب (يناير ٢٠١٧–يناير

[١٧٣] بنيامين نتنياهو: مكان تحت الشَّمس، ترجمة محمَّد عودة الدُّويري، دار الجليل للنَّشر، عمَّان، الأردن، ٢٠١٥م، ص٥٠.

[١٧٤] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ۝ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [سورة الْبَقَرَة:٨٤-٨٦]؛ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [سورة آلِ عِمْرَانَ:١٨٧].

٢٠٢١م)، بأنَّ تلك الخطَّة قضت على "أوهام حلِّ الدَّولتين[١٧٥]". وتكمن خطورة اتِّفاقيَّة أوسلو في أنَّها:

> بدلاً من الالتزام بالمناداة حاليا بتحويل الضَّفَّة بكاملها إلى دولة فلسطينيَّة متفجِّرة، فإن هذا الكتاب يضع أو يقدم نهجًا بديلًا لقيام سلام بين إسرائيل والعرب الفلسطينيين. يدعو نتنياهو إلى قيام حُكم ذاتي فعلي للفلسطينيين مع الاحتفاظ بسلطات مركزيَّة معيَّنة، معظمها أمني، في أيدي الإسرائيليين، وفي اعتقادي فإنَّ تسوية نهائيَّة ستكون ثابتة وراسخة فيما لو أنجز توازن حقيقي بين مطلبين أو حاجتين مختلفتين: تدخُّل إسرائيلي أدنى في الشُّؤون الفلسطينيَّة، وإجراءات أمنيَّة قصوى ضدَّ الإرهاب والتَّهديدات العسكريَّة الآتية من الشَّرق. فنحن بحاجة لبناء واقع جديد على الأرض، يربط إسرائيل، والفلسطينيين والأردن، وذلك لضمان الأمن لجميع الاطراف. فبوجود الأمن يمكن أن يكون هنالك تدفق حر للتَّفاعل بين جميع الاطراف. وبدون وجود الامن، فسيكون هنالك فقط واقع الاغلاقات والعوائق القديم، ونقاط التَّفتيش، والرُّكود الاقتصادي[١٧٦].

---

[١٧٥] نتنياهو يعلن استعداده للتفاوض مع الفلسطينيين، وغانتس يتوعد "حماس" ولبنان، موقع آي٢٤ نيوز الإسرائيلي، ٢٩ يونيو ٢٠٢٠م.

[١٧٦] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص٥٢.

عودة اليهود إلى الأرض المقدَّسة وتأسيس دولتهم هناك

يعتبر بنيامين نتنياهو أنَّ عودة اليهود إلى الأرض المقدَّسة أواخر القرن التَّاسع عشر الميلادي، بعد قرابة ألفي عام من الشَّتات، بوصفهم أمَّة ذات سيادة، بتأسيس أوَّل دولة لهم في الأرض المقدَّسة، منذ انهيار الدَّولة الحشمونيَّة، الَّتي حكمت مملكة يهودا ما بين عاميّ ١٤٠ و٣٧ قبل الميلاد، وإبادتهم على يد الرُّومان خلال زمن ثورة اليهود بين عامي ٦٦ و٧٣م، حدثًا فريدًا. وكان لتأسيس عصبة الأمم، نواة الأمم المتَّحدة، عام ١٩٢٠م تأثيره الإيجابي في منْح اليهود فرصة تأسيس دولتهم، بالاعتراف بنظريَّة تقرير المصير، والتَّمهيد لتأسيس نظام عالمي جديد[١٧٧].

ويدَّعي نتنياهو أنَّ معاهدة فرساي، الَّتي أُبرمت في فرنسا في ٢٨ يونيو ١٩١٩م، بُعيد انتهاء الحرب العالميَّة الأولى، نصَّت على أحقيَّة اليهود في تأسيس دولة تشمل أراضي ضفَّتي نهر الأردن، أي أرض فلسطين التَّاريخيَّة كاملة بما يشمل المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة. ومع ذلك، فإنَّ البعض يطالب اليهود بالاكتفاء بمساحة دولة الاحتلال عند تأسيسها في ١٥ مايو ١٩٤٨م، أي ١٥ بالمائة من أرض الانتداب البريطاني. ويحاول نتنياهو إثارة التَّعاطف تجاه اليهود، بزعم أنَّهم تعرَّضوا للإبادة الجماعية في المحرقة النَّازيَّة، أو الهولوكوست، الَّتي قضت على ٦ ملايين منهم بزعمه، خلال الحرب العالميَّة الثَّانية (١٩٣٩–١٩٤٥م)، بينما ثبت أن عدد ضحايا المحرقة يتراوح بين ثلاثمائـة ألـف وأربعمائـة ألـف يهودي[١٧٨]. ويتأسَّف السِّياسي اليهودي على أنَّ

---

[١٧٧] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص٧١.

[١٧٨] بهاء الأمير: النَّازيَّة واليهود والحركات السّريَّة، دار الكتب المصريَّة، ٢٠١٨م، ص٢٩٩.

بني قومه يُضن عليهم أن يتوسَّعوا في حيازة الأراضي، بعد ٥ حروب أراد العرب خلالها إبادة ما تبقَّى منهم من النَّاجين من المحرقة النَّازيَّة!

تعرَّضت الحركة الصُّهيونيَّة، الَّتي نالت في الماضي تأييدًا واسعًا من كبار ساسة العالم، أمثال وودرو ويلسون، ولويد جورج، وجورج كليمنصو، لانتقادات سلبيَّة، حتَّى بات مصطلح "صهيوني" مرفوضًا. فبدلًا من تأييد أحقيَّة اليهود في كامل أراضي ما يُطلق عليه نتنياهو "إسرائيل الانتدابيَّة"، أي فلسطين التَّاريخيَّة وشرق الأردن، انتزعت بريطانيا شرق الأردن من اليهود عام ١٩٢٢م، وسلَّمته لعبد الله بن الحسين، نجل الحسين بن عليّ، شريف مكَّة الَّذي تواطأ مع بريطانيا لإنهاء الوجود العثماني في الشام والعراق وشبه الجزيرة العربيَّة، فيما عُرف باسم الثَّورة العربيَّة الكبرى (يونيو ١٩١٦–أكتوبر ١٩١٨م). ويزعم نتنياهو أنَّ بريطانيا اعتبرت تحالفها مع العرب أفضل من تحالفها مع اليهود[١٧٩]!

غير أنَّ الدَّور البريطاني في دعْم تأسيس دولة الاحتلال الإسرائيلي لا يضاهيه سوى الدَّور الأمريكي لاحقا، في أعقاب الحرب العالميَّة الثَّانية. ويكفي التَّذكير بوعد بلفور لعام ١٩١٧م، بتأسيس وطن قومي لليهود، الَّذي أطلقه آرثر بلفور، رئيس وزراء بريطانيا (١٩٠٢–١٩٠٥م)، ثمَّ وزير خارجيَّتها (١٩١٦–١٩١٩م)، الَّذي نجح حاييم وايزمان، الزَّعيم الثَّاني للصُّهيونيَّة وأوَّل رئيس لدولة الاحتلال (١٧ فبراير ١٩٤٩ – ٩ نوفمبر ١٩٥٢م)، في استقطابه لنُصرة

[١٧٩] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص١٢٠.

اليهود، بدفع من عقيدة الصُّهيونيَّة المسيحيَّة[١٨٠]. وبرغم اتِّهام زئيف جابوتنسكي، مؤسِّس الصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة، بريطانيا بمعاداة السَّاميَّة، وزعْمه انتشار كراهية اليهود بين أفراد الجيش البريطاني، يتعرف نتنياهو بوجود فئة من المخلصين لقضيَّة اليهود بين أفراد ذلك الجيش:

> لكن الإدارة البريطانيَّة كانت تضم عددًا من الأشخاص المؤيِّدين المخلصين للصُّهيونيَّة، حيث نهض هؤلاء للدِّفاع عن الصُّهيونيَّة، رغم أنَّ هدفهم كان خدمة سياسة لويد جورج وبلفور. وكانت آراء هؤلاء معارضة تماما لنظريَّة المؤيِّدين للعرب. كانوا يؤمنون بأنَّ بريطانيا لا تستطيع الاعتماد على العرب، لفترة طويلة، وأنَّ العرب المؤيِّدين لها، سيُظهرون في نهاية الأمر ضعفًا، وغير مستقرين. لذا، فإنَّ مصلحة بريطانيا تتطلَّب دعم اليهود بالذَّات؛ لكي يتمكن هؤلاء من أن يبنوا في قلب الشَّرق الأوسط، قاعدة غربيَّة قويَّة، تساهم في استقرار المناطق العربيَّة المجاورة[١٨١].

ولا يجد نتنياهو حرجًا في انتقاد المقاومة العربيَّة للهجرات اليهوديَّة إلى أرض فلسطين التَّاريخيَّة، متأسِّفًا على معارضة بريطانيا محاولات اليهود الاستحواذ على أراضي شرق الأردن، ومتِّهمًا المجتمع الدُّولي بالتَّخاذل تجاه اليهود في معاناتهم من العدوان العربي. بدأت بريطانيا، بزعمه، في التَّراخي في تنفيذ

---

[180] Weizmann, C. (1949). Trial and error: the autobiography of Chaim Weizmann. New York: Harper & Brothers. p.226

[١٨١] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص١٢٤.

وعْدها بدعم تأسيس دولة اليهود، رضوخًا للضَّغط العربي، حتَّى أنَّها تعاونت مع العرب في فلسطين عن إعلانهم الإضراب الشَّامل في ١١ أبريل ١٩٣٦م، احتجاجًا على الهجرات اليهوديَّة. واستمرارًا للتَّواطؤ البريطاني ضدَّ اليهود، كما يزعم نتنياهو، اقترحت لجنة بيل الملكيَّة تقسيم أرض إسرائيل الانتدابيَّة بين العرب واليهود، بمنح العرب ٩٠ بالمائة من أرضي فلسطين والأردن، ومنْح اليهود مساحة ضئيلة لتأسيس دولتهم، وهو ما رفضه أنصار الصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة.

ويعتبر نتنياهو قرار بريطانيا الخروج من أرض فلسطين التَّاريخيَّة، الَّذي تولَّد عنه إصدار الأمم المتَّحدة قرارها ١٨١ في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م، خذلانًا لقضيَّة اليهود وتنصُّلًا من وعدها بتأييد تأسيس دولتهم؛ حيث نصَّ القرار على منْح اليهود ١٠ بالمائة فقط من أراضي فلسطين التَّاريخيَّة والأردن. غير أنَّ ما يكشف عنه المؤرِّخ اليهودي آفي شليم هو أنَّ عبد الله الأوَّل بن الحسين التقى بغولدا مائير، رئيس القسم السّياسي في الوكالة اليهوديَّة، في ١٧ نوفمبر ١٩٤٧م، بصحبة اثنين من رجال الوكالة، إلياهو ساسون وعزرا دانين، في بلدة الباقورة، أو نهاريم، الواقعة على الحدود بين دولة الاحتلال والأردن، وقد أعلن عبد الله بن الحسين حينها مشروع تقسيم فلسطين، آملًا ضمَّ الضَّفَّة الغربيَّة لنهر الأردن إلى مملكته، ساعيًا بذلك إلى تقويض القضيَّة الفلسطينيَّة من أساسها. واعتبر المؤرِّخ أنَّ "التَّحالف المدنَّس بين الصَّهاينة والهاشميين[١٨٢]" استهدف الحيلولة دون تأسيس دولة عربيَّة إلى جانب الدَّولة اليهوديَّة.

[182] Shlaim, A. (1988). *Collusion across the Jordan: King Abdullah, the Zionist movement, and the partition of Palestine*. Clarendon Press. P.121

انتصرت القوَّات اليهوديَّة على الجيوش العربيَّة في حرب فلسطين، الَّتي استمرَّت لأشهر طويلة، برغم قلَّة عدد اليهود مقارنة بالقوَّات العربيَّة، ناهيك عن سيطرة العرب على ١٥ من بين ١٦ مقاطعة فلسطينيَّة وقتها، وهو ما اعتبره اليهود تكرارًا لحرب أسلافهم عن تأسيس مملكة إسرائيل الأولى على يد الملك داود، الَّذي قهر العملاق جُليات[١٨٣]. أصبحت دولة الاحتلال الإسرائيلي أمرًا واقعًا، بعد حصولها على اعتراف الاتِّحاد السُّوفييتي والولايات المتَّحدة، وصارت تنال تأييدًا غربيًّا متزايدًا، حتَّى اندلعت حرب الأيَّام السِّتَّة، في ٥ يونيو/حزيران ١٩٦٧م، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ دولة الاحتلال، الَّتي اتُّهمت باحتلال أراضٍ عربيَّة لا تحقُّ لها، بينما كان دافعها هو صدُّ العدوان العربي الموجَّه لها من تلك الدُّول، كما يزعم نتنياهو:

> تناسى العالم نهائيًّا حقيقة أنَّ إسرائيل استولت على الاراضي الَّتي كانت منطلقًا للهجوم عليها، وأنَّ العرب كانوا هم المبادرين بهذه الحرب، خارقين بذلك اتِّفاقيَّات الهدنة مع إسرائيل. وظلَّت لدى الرَّأي العام العالمي حقيقة واحدة قائمة، هي أنَّ إسرائيل تحتفظ بأراضٍ واسعة تسكنها جماهير عربية كبيرة، أي إسرائيل، تحتل "أراضٍ عربيَّة" وكان هذا الاعتقاد كافيًا لتخليص العرب من تهمة التَّسبُّب باندلاع الحرب وإلقائها على عاتق إسرائيل[١٨٤].

---

[١٨٣] "رَكَضَ دَاوُدُ وَوَقَفَ عَلَى الْفِلِسْطِينِيِّ (جُليات) وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَاخْتَرَطَهُ مِنْ غِمْدِهِ وَقَتَلَهُ وَقَطَعَ بِهِ رَأْسَهُ. فَلَمَّا رَأَى الْفِلِسْطِينِيُّونَ أَنَّ جَبَّارَهُمْ قَدْ مَاتَ هَرَبُوا" (سفر صموئيل الأوَّل: إصحاح ١٧، آية ٥١).

[١٨٤] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، صـ١٥٢-١٥٣.

ويرى السِّياسي اليهودي أنَّ هزيمة العرب في حرب الأيَّام السِّتَّة دفعتهم لإعادة النَّظر في إمكانيَّة شنِّ عدوان على دولة الاحتلال، الَّتي تضاعفت مساحتها ٣ مرَّات ونصف في ٦ أيَّام فقط، وصارت بذلك القوَّة الأبرز في المنطقة؛ وهو ما دفَع الولايات المتَّحدة إلى السَّعي إلى تأسيس تحالف عسكري معها. لم يعد بإمكان العرب الزَّعم بأنَّ دولة الاحتلال جسم خبيث يمكن استئصاله من المنطقة العربيَّة، وصار من الضَّروري البحث عن مبرِّر لإقناع الغرب بضرورة التَّخلِّي عن دولة الاحتلال. على ذلك؛ شنَّ العرب هجومهم على الصُّهيونيَّة في كافَّة المحافل الدُّوليَّة، واتَّهموها بأبشع التُّهم، بينما هدفها هو تحقيق العدالة للشَّعب اليهودي. وفي مقابل الدَّعم الأمريكي لدولة الاحتلال، لم يجد العرب حليفًا غير الاتِّحاد السُّوفييتي، أوَّل دولة تعترف بدولة الاحتلال بعد يومين فقط من تأسيسها!

غير أنَّ الحال تبدَّل لاحقا، بدخول العرب في تحالفات مع الولايات المتَّحدة، وانهيار علاقة بعض بلدان المنطقة العربيَّة بالحليف السُّوفييتي؛ وهو ما أسفر عن تقديم الحليف الأمريكي لبعض تلك البلدان أسلحة صارت تهدِّد الأمن الإسرائيلي، كما يزعم نتنياهو، مضيفًا أنَّ دولًا أوروبيَّة تمنح أعداء دولة الاحتلال أسلحة متطوِّرة سرًّا. وقد نجحت الدَّعاية العربيَّة المعادية لدولة الاحتلال في تقليص التَّأييد العالمي لها؛ حتَّى صار المجتمع الدُّولي ينكر حقَّ الصُّهيونيَّة في تحقيق أهدافها:

رأينا، على أيَّة حال، أنَّ التَّنكُّر المتزايد للمتطلَّبات الجغرافيَّة، والسُّكانيَّة، والعسكريَّة للصُّهيونيَّة، بلغ درجة كبيرة، نتيجة

لحملة منهجيَّة، كانت بدايتها في أفعال المعارضين للصُّهيونيَّة في العالم الغربي، في النِّصف الأوَّل من القرن الحالي، واستمرت من خلال الدَّعاية العربيَّة في النِّصف الثَّاني من هذا القرن. وكان الهدف من هذه الحملة، هو تقويض الإيمان بالموقف الأخلاقي لإسرائيل، وهذا التقويض ألحـ ق ضررا لا يمكن تقديره بإسرائيل، بعدما تغلغلت شعارات الدعاية اللاصهيونيَّة إلى أجزاء من الجمهور الإسرائيلي نفسه، الَّذين بدأوا يتضامون مع الادِّعاءات العربيَّة[١٨٥].

فيما يتعلَّق بقلق دولة الاحتلال الإسرائيلي من تسلُّح دول المنطقة العربيَّة بمعدَّات عسكريَّة متطوِّرة، فالمراكز البحثيَّة العسكريَّة لدولة الاحتلال تحذِّر من تزوُّد مصر والمملكة العربيَّة السَّعوديَّة والإمارات العربيَّة المتَّحدة، الَّتي تجمعها بها علاقات وديَّة تصل إلى حدِّ تطبيع العلاقات مع اثنين منها، بأسلحة حديثة:

تحذير في إسرائيل من أسلحة تسعى مصر والسَّعوديَّة لامتلاكها

حذرت دراسة إسرائيليَّة من أن سباق التَّسلُّح العسكري في الشَّرق الأوسط يهدد الأمن القومي الإسرائيلي، خاصة بعد

[١٨٥] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص١٦٢.

سعي مصر والسَّعوديَّة والإمارات العربيَّة المتَّحدة وإيران للحصول على أسلحة متقدِّمة.

وأوضحت الدِّراسة أنه على إسرائيل أنَّ تستعد بالتِّكنولوجيا المناسبة للتَّهديد الجديد من جيرانها العرب وخاصة من الصَّواريخ الفرط صوتيَّة. وقالت الدِّراسة إنَّ أكثر ما يجب أن يقلق إسرائيل هي البنية التَّحتيَّة للصَّواريخ في المنطقة.

وقال شريت أفيتان كوهين، المحلِّلة السِّياسيَّة الإسرائيليَّة في تقريرها بصحيفة "يسرائيل هايوم" الإسرائيليَّة، إن سباق التَّسلُّح العالمي لا يغيب عن الشرق الأوسط، وتبحث كل من مصر وإيران والسَّعوديَّة وسوريا ولبنان عن تكنولوجيا عسكرية جديدة لتعزيز قدراتها الحربيَّة، بينما يجب على إسرائيل أن تستعد للتَّهديدات الجديدة.

ونبهت المحلِّلة العسكريَّة الإسرائيليَّة إلى أنَّ الصَّواريخ الباليستيَّة الفرط صوتية والطائرات بدون طيار والصَّواريخ الدَّقيقة هي أكبر الأخطار على إسرائيل[١٨٦].

رأي نتنياهو في القضيَّة الفلسطينيَّة

يتطرَّق رئيس حكومة الاحتلال الإسرائيلي إلى مسألة في غاية الحساسيَّة، وهو الجدال المثار حول ضرورة حل القضيَّة الفلسطينيَّة؛ في سبيل إنهاء حالة

[١٨٦] تحذير في إسرائيل من أسلحة تسعى مصر والسعودية لامتلاكها، روسيا اليوم، ٢٦ يونيو ٢٠٢٣م.

الاحتقان في المنطقة العربيَّة. ويقف نتنياهو عند حقيقة انشغال الأنظمة الحاكمة في دول المنطقة بمصالحها الخاصَّة، على حساب القضيَّة الفلسطينيَّة، معتبرًا أن انكباب تلك الأنظمة على البقاء في الحُكم أدخلها في صراعات خارجيَّة وداخليَّة ألهتها عن المطالبة بحقوق الفلسطينيين. ويسوق السِّياسي اليهودي للدَّلالة على ذلك مثالًا بما فعله الرَّئيس العراقي الأسبق، صدَّام حسين (١٩٧٩-٢٠٠٣م)، بغزوه الكويت في أغسطس ١٩٩٠م بسبب الصِّراع على النَّفط، بعد خوض بلاده حربًا طاحنة مع إيران استمرَّت ما بين عاميّ ١٩٨٠م و١٩٨٨م وأسفرت عن مئات الآلاف من الضَّحايا. ولا تختلف باقي دول المنطقة عن النَّموذج العراقي؛ فجميعها "متورِّطة في حروب، ومحاولات انقلاب، واعتقالات سياسيَّة، ومؤامرات لا تُحصى ضدَّ جيرانها العرب وغير العرب"[١٨٧]. ويزعم نتنياهو أنَّ العالم كلَّه عانى من "الإرهاب العربي"، موجزًا رأيه في ذلك بقوله:

> هناك أنظمة حكم عربيَّة يمكن وصفها، "مفترسة"، وهناك أنظمة عربيَّة أخرى، "فريسة" لها. هنالك أنظمة عربيَّة تميل إلى الاعتدال، وترغب في الابتعاد عن دكتاتوريَّة الأنظمة الرَّاديكاليَّة. لكنَّ هذه الحقيقة لا تغيِّر الصُّورة العامَّة البشعة، الَّتي يجب التَّعرُّف عليها وفهمها، لكي نبلور رأيا متَّزنًا عن السِّياسة الشَّرق أوسطيَّة: العنف ظاهرة دائمة في الحياة السِّياسيَّة في كلِّ الدُّول العربيَّة، وهو

[١٨٧] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص١٦٧.

الأسلوب الرَّئيسي لتصفية الخصوم الداخليين، عربًا وغير عرب معًا[١٨٨].

ويوظِّف السِّياسي اليهودي المخضرم ذلك الزَّعم عن تورُّط كافَّة الأنظمة العربيَّة في أعمال عنف يصمها بالإرهاب في ادِّعاء أنَّ الفلسطينيين لا يمكن استثناؤهم من التَّورُّط في أعمال عنف مماثلة ضدَّ مستوطني الاحتلال الإسرائيلي. فقد بذلت الأنظمة العربيَّة جهودًا حثيثة في التَّرويج لوحشيَّة الاحتلال الإسرائيلي في حقِّ الفلسطينيين في أروقة الأمم المتَّحدة، في محاولة لإخفاء حقيقة أنَّ استخدام الاحتلال للعنف هو من باب الدِّفاع عن النَّفس في مواجهة الإرهاب الفلسطيني، كما يزعم نتنياهو. وقد فشلت الحركة القوميَّة العربيَّة في حشد الهمم لتحرير فلسطين، حيث اقتصر تأثيرها على رفْع الشِّعارات الرَّنَّانة المنذِّدة بالاحتلال الإسرائيلي، والمهدِّدة بمحوه من الوجود، حتَّى ثبت زيف تلك الشِّعارات بفعل الهزيمة المنكرة للجيوش العربيَّة في حرب الأيَّام السِّتَّة.

وبعد انهيار الحركة القوميَّة، تبنَّت الأصوليَّة الإسلاميَّة مهمَّة السَّعي لتحرير الأرض المقدَّسة، مشترطةً لتحقيق ذلك إسقاط كافَّة الأنظمة الحاكمة في الدُّول الإسلاميَّة، الَّتي لا تطبِّق الشَّريعة الإسلاميَّة؛ وهو ما أشعل صراعًا بين تلك الأنظمة والأصوليين الإسلاميين، الَّذين تعرَّضوا للاعتقال والإعدام وأشدِّ ألوان التَّنكيل. ويزعم نتنياهو أنَّ الأصوليين، الَّذين يقسِّمون العالم إلى دار الإسلام ودار الحرب، يتَّخذون من العقائد الإسلاميَّة وسيلة لفرض سيطرة كاملة على العالم، معلنين حربًا مستمرَّة على كافَّة الأنظمة الكافرة وفق عقيدتهم. وبما أنَّ

[١٨٨] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص١٧٧.

المسلمين، بوجه عام، يرون أنفسهم أرفع مكانة من الأمم "الكافرة"، كان من الطَّبيعي حدوث صدام بين أبناء المنطقة العربيَّة، ذات الأغلبيَّة المسلمة، وبين دولة الاحتلال الإسرائيلي، الَّتي أسَّست حضارة مدنيَّة في قلب المنطقة، الَّتي يرزح غالبيَّة أبنائها تحت وطأة الفقر والعوز:

> وعلى هذه الخلفيَّة فقط، يمكن أن نفهم رفض العالم العربي لوجود إسرائيل. فطيلة مئات السِّنين، عانى اليهود من الإذلال والمطاردة، على أيدي العرب، وكانوا يقتلون أحيانًا كما كان يحدث لأقليَّات أخرى تعيش في إطار المجتمع الاسلامي. ولكن الشَّعب اليهودي، كان هو الوحيد، من بين كل هذ الأقليَّات في العالم العربي، الَّذي نجح في التَّغلُّب على هذا القمع، وتحقيق استقلاله. علاوة على ذلك، استطاع اليهود تأسيس حضارة "أجنبيَّة" في قلب المنطقة العربيَّة، وفصلوا بين جزأيها الشَّرقي والغربي. والأسوأ من ذلك كله: هو أنَّ الشَّعب الَّذي أحدث هذا التَّحدي الكبير، لم يكن عربيًّا ولا مسلمًا. لذا فعداء العرب الحالي لإسرائيل، تعود جذوره لعداء سابق، قديم جدا وأساسي، وأن قيام دولة إسرائيل، عزَّز هذا العداء فقط[١٨٩].

بحديثه عن معاناة اليهود عبر القرون من الاضطهاد والإذلال على يد العرب، يغضُّ نتنياهو، نجل المؤرِّخ المتخصِّص في تاريخ اليهود في شبه الجزيرة

[١٨٩] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص١٩٠.

الإيبيريَّة، الطَّرف عن حقيقة أنَّ اليهود عاشوا في ظلِّ الحُكم العربي الإسلامي للأندلس أزهى عصورهم على الإطلاق، وهو ما يُعرف بالعصر الذَّهبي للثَّقافة اليهوديَّة في شبه الجزيرة الإيبيريَّة[١٩٠]. وقد تمتَّع اليهود بقوَّة اقتصاديَّة واجتماعيَّة هائلة في الأندلس، حيث نشطوا في مجالات الصَّيرفة وضرْب النُّقود، وبرعوا في تحقيق الرِّبح السَّريع؛ وهو ما جعلهم يتنعَّمون بثروات طائلة ونفوذ واسع[١٩١].

غير أنَّ ذلك الحال تبدَّل مع انتهاء الحُكم العربي لشبه الجزيرة الإيبيريَّة، بعد وصول فرديناند وإيزابيلا إلى الحُكم عام ١٤٩٢م، وتأسيس ما عُرف بمحاكم التَّفتيش، الَّتي أجربت الجميع على اعتناق المسيحيَّة[١٩٢]؛ وهو ما دفع اليهود للتَّظاهر بالارتداد عن ديانتهم، وعُرف هؤلاء بيهود المارانوس. وقد طُرد من شبه الجزيرة الإيبيريَّة ما يقرب من ٣٠٠ ألف يهودي، وقد وجد كثيرٌ من هؤلاء الأمن على أرواحهم وأموالهم في الدَّولة العثمانيَّة، الَّتي استقبلتهم ومنحتهم حريَّة الاعتقاد، حتَّى السُّلطان بايزيد الثَّاني قال "لا تعيدوا يهود إسبانيا، واستقبلوهم بترحاب كبير، ومن يفعل عكس ذلك ويعامل هؤلاء المهاجرين معاملة سيئةً أو يتسبب لهم بأيِّ ضرر سيكون عقابه الموت[١٩٣]".

ويتبنَّى نتنياهو رأي المستشرق اليهودي الأمريكي الهالك، برنارد لويس، في كتابه **أين يكمن الخطأ**[١٩٤]، بشأن فشل المسلمين في اللِّحاق بركب الحضارة

---

[١٩٠] العصر الذَّهبي للثَّقافة اليهوديَّة في شبه الجزيرة الإيبيريَّة: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

[١٩١] هدى درويش: أسرار اليهود المتنصِّرين في الأندلس: دراسة عن اليهود المارانوس، عين للدِّراسات والبحوث الإنسانيَّة، طبعة ١، مصر، ٢٠٠٨م، ص٢٥.

[١٩٢] المصدر السَّابق: ص٤٠.

[١٩٣] محمَّد عبد المحسن: ﴿ليسوؤوا وجوهكم﴾ القبَّالة في ميزان القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، مكتبة نور الإلكترونيَّة، ٢٠١٩م، ص٤٥٦.

[194] Lewis, B. (2002). *What went wrong?* : *Western impact and Middle Eastern response*. Oxford University Press.

الغربيَّة، وتراجُعهم عن مركز القيادة في العالم، بعد قرون طويلة من السِّيادة، حتَّى سقوط الدَّولة العثمانيَّة، آخر دولة جامعة للمسلمين تحت لواء الخلافة. فالسِّياسي اليهودي الماكر يرى أنَّ سبب عداء العرب تجاه دولة الاحتلال الإسرائيلي يكمن في كونها تجسيدًا حيًّا للحضارة الغربيَّة المسيحيَّة، الَّتي نجحت في غزو دار الإسلام، وأخضعت العرب لسلطانها:

> إنَّ الهزيمة الساحقة التي مني بها العرب، على أيدي أكبر أعداء الاسلام، أحدثت أزمة ثقة وهوية، لازالت تترك بصماتها على أفكار العرب إلى يومنا هذا، وحتى بعد أن حصلت الدُّول العربيَّة على استقلالها. وبدأ يلمس لدى العرب الشُّعور بالإحباط والخوف الدَّائم من ظهور عجزهم امام الغرب، مرة اخرى، في مجابهة جديدة معه. والأخطر من هذا، أنَّ الغرب تغلغل داخل المجتمع العربي والإسلامي، ولوَّثه بسلوكيَّاته وافكاره، – في الفلسفة، في العلوم، في النَّظريَّة القانونيَّة، والأيديولوجيَّة الاجتماعيَّة الغربيَّة. وبدا أن الغرب حقق انتصارًا مطلقًا ونهائيًّا[١٩٥].

اتِّهام العرب بقلب الحقائق لصالح الفلسطينيين

يصرُّ نتنياهو على أنَّ العرب وظَّفوا الآلة الإعلاميَّة في التَّرويج لبشاعة العنف الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين، مدَّعيًا أنَّ الأصوليين الإسلاميين يعتزمون شنَّ حرب إبادة ضدَّ اليهود، بدفع من العقائد الإسلاميَّة. في حين يعترف الغرب بأن

[١٩٥] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص١٩٤.

دولة الاحتلال الإسرائيلي تعمل على استخدام الإسلاموفوبيا، أو رُهاب الإسلام، في تبرير بطشها بالفلسطينيين[١٩٦]. وقد كشف مقال تحت عنوان "دور الحكومة الإسرائيليَّة في نشْر الإسلاموفوبيا دوليًّا[١٩٧]" عن استغلال حكومة الاحتلال رُهاب الإسلام في " إجازة وتبرير التَّطهير العرقي للفلسطينيين في الأراضي الواقعة تحت الاحتلال الإسرائيلي، وكذلك في دعم العدوان الإسرائيلي على معظم البلدان المسلمة في المنطقة. يساعد تعزيز الإسلاموفوبيا وتشجيعها دولًّيا في تعظيم الدعم الدولي لمشروع الإبادة الصُّهيوني".

ويواصل رئيس حكومة الاحتلال طرْح مزاعمه بشأن استغلال العرب للقضيَّة الفلسطينيَّة في تبرير كافَّة مشكلات المنطقة العربيَّة، بزعم أنَّ إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربيَّة سيكفل إعادة الهدوء والاستقرار إلى المنطقة. فيما يرى نتنياهو أنَّ الصِّراعات القائمة داخل أروقة الحُكم في الدُّول العربيَّة والإسلاميَّة، سواءً بسبب الخلافات بين تلك الأنظمة أو بسبب سعيها للاحتفاظ بالسُّلطة في مواجهة التَّهديدات الدَّاخليَّة، هي موطن الخلل. وإصرارًا منه على الزَّعم بأنَّ العرب يقلبون الحقائق لصالح القضيَّة الفلسطينيَّة، يدَّعى نتنياهو أن الإعلام العربي استغلَّ اندلاع الانتفاضة الفلسطينيَّة، سواءً الأولى في ٨ ديسمبر ١٩٨٧م أو الثَّانية في ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠م، في شنِّ حملة هجوم مكثَّفة على اليهود، معتبرًا أنَّ الانتفاضة جاءت "كهديَّة من السَّماء" لمنظَّمة

---

[١٩٦] ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ المسيانيَّة في صراع المفسدين على ميراث التَّقوى، مكتبة نور الإلكترونيَّة، ٢٠٢٠م، ص١٧١.

[197] Larudee, P. (2018, May 9). The Israeli Government Role in Promoting Islamophobia Internationally, *Dissent Voice*.

التَّحرير الفلسطينيَّة للتَّرويج لأجندتها وكسْب التَّأييد الشَّعبي[١٩٨]. أمَّا ما يحدث في حقيقة الأمر في رأيه، هو أنَّ مستوطني دولة الاحتلال يطالبون بحقِّهم في العيش في كافَّة مناطق إسرائيل الانتدابيَّة، بموجب قرارات معاهدة فرساي، بما يشمل القُدس ونابلس والخليل؛ وهو ما يسفر عن الصِّدام مع الفلسطينيين المعارضين لذلك:

> إذا كانت قرارات فرساي اعترفت بحق اليهود بالعيش في مناطق "يهودا والسامرة وغزَّة"، وإذا لم يكن هذا الحق موضع خلاف عندما أقيمت في هذه المناطق مستوطنات يهوديَّة قبل قيام الدَّولة، فإنه يحقُّ لنا طرح السَّؤال التَّالي: متى فقد اليهود حقَّهم بالعيش في هذه المناطق؟ من أجل الحقيقة أقول إنَّ اليهود لم يسبق أن فقدوا حقَّهم بالعيش في مناطق الضَّفَّة الغربيَّة وغزَّة. إنَّما فقدوا القدرة على تطبيق هذا الحق فعليًّا. لقد تم تجميد هذا الحقّ مؤقَّتًا، عام ١٩٤٨ بعد حرب الاستقلال[١٩٩].

في تكذيب لحقيقة تعمُّد الاحتلال الإسرائيلي تهجير أهالي الضفَّة الغربيَّة للتَّوسُّع في بناء المستوطنات، يدَّعي نتنياهو عدم تهجير الأهالي من منازلهم بشكل قسري لبناء مستوطنات جديدة، زاعمًا أنَّ الضفَّة الغربيَّة لا تكتظُّ بالسُّكَّان. في حين أشار تقرير للأمم المتَّحدة إلى استعداد الاحتلال لبناء نحو ٣٥٠٠ وحدة سكنية جديدة للمستوطنين في معاليه أدوميم وإفرات وكيدار في

[١٩٨] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص٢٣٩.
[١٩٩] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، صـ٢٤٩-٢٥٠.

الضفَّة الغربيَّة، وهو ما اعتبره مفوض الأمم المتَّحدة السَّامي لحقوق الإنسان متعارضًا مع القانون الدُّولي، قائلًا إنَّ "إنشاء المستوطنات وتوسيعها المستمر يرقيان إلى نقل إسرائيل لسكانها المدنيين إلى الأراضي الَّتي تحتلها، وهو ما يرقى بدوره إلى جريمة حرب حسب القانون الدولي[٢٠٠]". جدير بالذِّكر أنَّ وزير الخارجيَّة الأمريكي في عهد دونالد ترامب، مايك بومبيو، أعلن في ١٨ نوفمبر ٢٠١٩م اعتراف الإدارة الأمريكيَّة بشرعيَّة مستوطنات الضَّفَّة الغربيَّة، موضحًا أنَّ "الولايات المتحَّدة لم تعد تعتبر أنَّ المستوطنات الإسرائيليَّة بالضَّفَّة الغربيَّة مخالفة للقانون الدُّولي[٢٠١]". هذا، ويخطِّط نتنياهو لتهجير أهالي الضَّفَّة الغربيَّة نهائيًّا:

محلِّلون: نتنياهو قرر ابتلاع الضَّفَّة والحل بيد السُّلطة والدَّول العربيَّة

يقول محلِّلون إنَّ إسرائيل بدأت عملية تهجير نهائيَّة لسكَّان الضَّفَّة الغربيَّة، مستفيدة من الضعف الفلسطيني والتَّواطؤ الغربي والتَّخاذل العربي، مؤكِّدين أنَّ ما يجري حاليًا سيمتد ليس فقط إلى فلسطينيي الدَّاخل وإنَّما لدول المنطقة أيضًا.

فقد بدأت قوات الاحتلال عملية في الضَّفَّة هي الأكبر منذ عقدين بزعم تدمير بنية تحتية للمقاومة، في حين دعا وزير

[٢٠٠] تقرير أممي حول توسيع المستوطنات الإسرائيليَّة غير القانونيَّة بالضَّفَّة الغربيَّة المحتلَّة، موقع الأمم المتَّحدة، ٨ مارس ٢٠٢٤م.
[٢٠١] بعد شرعنة ترامب لمستوطنات إسرائيل: كيف تتوقعَّون الرَّدَّ العربي؟ بي بي سي نيوز عربي، ١٩ نوفمبر ٢٠١٩م.

الخارجيَّة الإسرائيلي يسرائيل كاتس لتنفيذ سيناريو قطاع غزَّة بالضَّفَّة[٢٠٢].

ويسوق السِّياسي اليهودي أدلَّة تاريخيَّة تثبت أحقيَّة بني قومه في كافَّة أراضي فلسطين التَّاريخيَّة، مدَّعيًا أنَّ العرب لم يعمِّروا كافَّة أراضي الضَّفَّة الغربيَّة، ومشيرًا إلى انتصار جيش الاحتلال في حرب الأيَّام السِّتَّة عام ١٩٦٧م هو الَّذي أتاح للمستوطنين العودة إلى البلدة القديمة في القدس الشَّرقيَّة، وبيت لحم، والخليل، ونابلس، وأريحا، وبيت إيل. ويذكِّر نتنياهو بكلمة ألقاها السِّياسي والقائد العسكري الإسرائيلي البارز، موشيه دايان، على جبل الزَّيتون في القُدس، بعد انتصار قوَّات الاحتلال على الجيوش العربيَّة عام ١٩٤٨م، جاء فيها "إخواننا، الَّذين سقطتم في حرب التَّحرير: لم نتخلَّ عن حلمكم، ولم ننسَ دوركم. عدنا إلى الجبل، إلى مهد تاريخ شعبنا، إلى تركة آبائنا، أرض القضاة، ومعقل مملكات آل داوود. عدنا إلى الخليل ونابلس وبيت لحم، وعنتوت، وأريحا ونهر الأردن[٢٠٣]". ويشدِّد نتنياهو على أحقيَّة اليهود في كامل أراضي فلسطين التَّاريخيَّة، الَّتي طالما كانت جزءًا من الماضي اليهودي، بينما يدَّعي العرب أحقيَّتهم في حيازة أراضيها مستندين إلى أدلَّة زائفة، كما يزعم!

سُبُل إحلال السَّلام في المنطقة العربيَّة

يطرح بنيامين نتنياهو تصوُّره عن كيفيَّة إحلال السَّلام بين دولة الاحتلال الإسرائيلي والعرب، الَّذين يتَّهمهم بالعنف وحمْل مشاعر الكراهية تجاه اليهود.

[٢٠٢] محلِّلون: نتنياهو قرر ابتلاع الضَّفَّة والحل بيد السُّلطة والدَّول العربيَّة، الجزيرة نت، ٢٨ أغسطس ٢٠٢٤م.
[٢٠٣] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص٢٥٧.

ويصف نتنياهو منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، الَّتي أبرمت اتِّفاقيَّة أوسلو مع حكومة الاحتلال عام ١٩٩٣م، بحصان طروادة، معتبرًا أنَّ سعيها للسَّلام مجرَّد خدعة أرادت بها إلهاء الغرب عن سعيها لتدمير دولة الاحتلال وإبادة اليهود. ويقسِّم نتنياهو السَّلام إلى نوعين: سلام بين دول ديموقراطيَّة، وسلام مع دول ديكتاتوريَّة. أمَّا النَّوع الأوَّل، فهو شبيه للعلاقة بين الدول الغربيَّة، القائمة على فتْح الحدود والتَّعاون الشَّامل في كافَّة المجالات. وأمَّا عن النَّوع الثَّاني، فهو سلام حذِر، يشوبه الشُّعور بالخوف من تقلُّبات الأنظمة الدِّيكتاتوريَّة، الَّتي تعتمد على العنف في إخضاع شعوبها. وصار العرب الآن يعون، بعد هزائمهم المتتالية في حروبها الَّتي خاضوها مع الاحتلال الإسرائيلي، أنَّ السَّلام معه هو الحلّ لإنهاء الصِّراع في المنطقة؛ وهو ما يتطلَّب إحداث تحوُّل ديموقراطي شامل لضمان نجاح عمليَّة السَّلام تلك:

> على الرغم من ادِّعاءات العرب الكاذبة، فيما يتعلَّق بعدوانيَّة اسرائيل، قدَّمت الولايات المتَّحدة لإسرائيل مساعدات عسكريَّة سخيَّة، منذ حرب الأيَّام السِّتَّة. وقد ساعدت هذه المساعدات الأمريكيَّة كثيرًا في مسيرة المصالحة بين العرب واسرائيل، لأنَّها أقنعت قسمًا كبيرًا من العرب، بأنَّهم لن يتمكَّنوا من القضاء على اسرائيل. وإن تعزيز هذه النَّظرة وتعميقها لدى الأنظمة والمنظَّمات العربيَّة، الَّتي لم تستوعبها جيِّدًا بعد، هي الطريق الوحيدة الحقيقيَّة، لتحقيق سلام دائم بين اسرائيل والعرب[٢٠٤].

[٢٠٤] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص٣٤٤.

ويضيف نتنياهو أنَّ قدرة دولة الاحتلال الإسرائيلي على ردْع محيطها العربي لها الفضل الأوَّل في منْع شنِّ هجوم عربي موسَّع عليها، وليس خفوت شعور الكراهية لدى العرب تجاه دولة الاحتلال. من هنا؛ يرى السِّياسي اليهودي أنَّ السَّلام بين دولة الاحتلال والعرب لا بدَّ أن يكون سلام ردْع، يستند إلى قوَّة الرَّدع الدَّائمة للاحتلال، الآخذة في التَّعاظم، ودون تنازلات كبيرة من جانبه. وتعتمد قوَّة الرَّدع للاحتلال على ٣ عناصر، هي القوَّة العسكريَّة، والقدرة على الإنذار المبكِّر، والحد الأدنى للمساحة المطلوبة لنشْر قوَّات جيش الاحتلال[٢٠٥]. ويوجب التفوُّق العربي في القوَّة العسكريَّة، خاصَّةً مع تنامي القدرات العسكريَّة للجيوش العربيَّة من حيث العدد والعتاد، تركيز جيش الاحتلال على العنصرين الآخرين. ويوجز نتنياهو رأيه عن السَّلام الممكن بين العرب والاحتلال الإسرائيلي، بقوله:

> إنَّ السَّلام الحقيقي، يجب أن يأخذ بعين الاعتبار طبيعة المنطقة الحقيقيَّة، وحالات العداء الخاصَّة والدَّائمة فيها. وعليه أن يعرض حلولاً واقعيَّة للنِّزاع الجوهري القائم والدَّائم بين العالم العربي وبين دولة اليهود. إنَّ النِّزاع، ينبع من وجود كيان يهودي مستقل بالذات، وليس له علاقة بالأرض بشكل خاص، إنَّ كل ما شاهدناه حتَّى الآن، يدل على أنَّ معارضة العرب لوجود اسرائيل، كانت وما زالت، العقبة الرَّئيسة، الَّتي تحول دول تحقيق السَّلام[٢٠٦].

[٢٠٥] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص٣٥٥.
[٢٠٦] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص٤٢٣.

يعني ذلك أنَّ إحلال السَّلام في المنطقة العربيَّة ينبغي أن يسبقه اعترافًا عربيًّا كاملًا بدولة الاحتلال، دون قيد أو شرط، وإنهاء كامل لكافَّة مساعي القضاء على دولة الاحتلال واجتثاثها من جذورها. فشل العرب في حروبهم الخمس على دولة الاحتلال في القضاء عليها، بل إنَّ هزيمتهم فيها أدَّت إلى اتِّساع نفوذ دولة الاحتلال وازديادها قوَّة. وكذلك فشل الرَّادع الاقتصادي، بحظر تصدير النَّفط إبَّان حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م، في استمالة الغرب لصالح الجانب العربي. ولم ينجح الإرهاب الدُّولي، وقلْب الحقائق، ونشْر دعاية سلبيَّة عن دولة الاحتلال في هزِّ مكانتها غربيًّا. على ذلك؛ يجب على العرب التَّخلِّي عن مواقفهم السَّابقة تجاه الاحتلال الإسرائيلي، واعتماد سياسة جديدة تجاهه، تقوم على التَّعاون المثمر وإنهاء الخصومة، كما يرى نتنياهو.

مبرِّر معارضة نتنياهو فكرة تأسيس دولة فلسطينيَّة كاملة السِّيادة

بشأن شرط بعض دولة المنطقة العربيَّة للتَّطبيع مع دولة الاحتلال، وهو تأسيس دولة فلسطينيَّة على حدود ٥ يونيو ١٩٦٧م، الشَّرط الَّذي تصرُّ عليه السَّعوديَّة إلى اليوم، كما أكَّد وليُّ عهدها، الأمير محمَّد بن سلمان، لدى افتتاحه أعمال السنة الأولى من الدورة التاسعة لمجلس الشورى في سبتمبر ٢٠٢٤م[٢٠٧]، فيرى نتنياهو أنَّ في ذلك خطرًا وجوديًّا يهدد أمن دولة الاحتلال. فالدولة الفلسطينيَّة المفترض تأسيسها تقوم على تقسيم القُدس ومحاذاة تل أبيب؛ وهو ما يعني تهديد الوجود العربي المعادي للاحتلال استقرار دولته. ويعيد السِّياسي اليهودي

[٢٠٧] الأمير محمد بن سلمان يؤكد رفض السَّعوديَّة تطبيع العلاقات مع إسرائيل دون قيام دولة فلسطينيَّة، فرانس ٢٤، ١٨ سبتمبر ٢٠٢٤م.

اللَّعب على وتر تفضيل السَّلام على الحرب مع دولة الاحتلال، حتَّى مع استمرار مشاعر العرب العدائيَّة تجاهها:

> فالحرب الحديثة، تنطوي على دمار مزدوج: دمار عسكري، ودمار اقتصادي. وبعد حرب الخليج، لا شكَّ في أنَّه يجب على الزُّعماء العرب، أن يأخذوا بالحسبان، أنَّ إسرائيل لن تقف مكتوفة الأيدي فيما لو تعرَّضت لهجوم آخر، وإذا واجهت خطرًا يهدِّد وجودها، فسترد بقوة هائلة. وأنَّ أيَّ إنسان عاقل، عربيًّا كان أم يهوديًّا، لا يمكن أن يرضى عن مثل هذا التُّطوُّر. كلما ارتفع ثمن الحرب، ازدادت الفائدة من الامتناع عن الحرب، واحلال السَّلام، فلا سلام لا يحول دون الدَّمار والخراب وهدْر طاقات وموارد هائلة فحسبن بل يوفر إمكانيَّة استغلال البنية الاقتصاديَّة القائمة في الدَّولة، من اجل تحقيق النمو الاقتصادي. كما يمكَّن السَّلام الدَّولة من التَّعاون مع جيرانها بشكل يعود بالفائدة على الطَّرفين، وربما هنا، تكمن الفائدة الكبرى للسَّلام[٢٠٨].

ويعترف نتنياهو بأنَّ تحقيق السَّلام الشَّامل بين العرب والاحتلال الإسرائيلي سيتبعه تنازُل من الطَّرفين عن بعض الحقوق، مشيرًا إلى تنازُل اليهود عن أحقيَّته في مياه نهر اللِّيطاني، مصدر المياه الرَّئيس لوطنهم القومي، عام ١٩١٩م؛ وإلى تنازلهم عن ٨٠ بالمائة من أراضي إسرائيل الانتدابيَّة لصالح تأسيس إمارة شرق الأردن عام ١٩٢٢م؛ وكذلك إلى تخلِّيهم عن شبه جزيرة سيناء، بموجب اتِّفاقيَّات كامب ديفيد عام ١٩٧٨م، بالإضافة إلى قطاع غزة

[٢٠٨] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص٤٣٠.

ورأس الجسر في أريحا عام ١٩٩٤م، وهو التَّنازل الأخطر في رأيه. وفي استشراف لحملة الاحتلال على قطاع غزَّة والضَّفَّة الغربيَّة منذ أكتوبر ٢٠٢٣م، يشدِّد رئيس حكومة الاحتلال على ضرورة محاربة الخطر الكامن هناك:

> إنَّ الشَّرط الَّذي لا بدَّ منه، لإبعاد خطر الارهاب القادم من غزَّة، ومن أماكن أخرى في البلاد، هو إعادة منح حريَّة العمل للجيش الاسرائيلي وقوَّات الامن، بحيث تشمل إمكانيَّات غير محدودة للعمل الوقائي، والمطاردة والاستخبارات الَّتي بدونها لا يمكن محاربة الإرهاب. كذلك، يجب الإسراع في تنفيذ استثمارات اقتصاديَّة من قِبل دول مختلفة في غزَّة نفسها، تحت إشراف حريص لضمان عدم انتقال هذه الأموال إلى خدمة أهداف معادية لإسرائيل، أو لمنافع شخصيَّة. اذ ان مثل هذه الاستثمارات، ستوفِّر أماكن عمل في غزَّة وتقلل من حاجة مواطني القطاع، للبحث عن مصادر عمل في اسرائيل. ولكن، على الرَّغم من أهميَّة محاربة الإرهاب القادم من غزَّة، يجب الاعتراف بالأهميَّة البالغة للأخطار الَّتي تهدِّد وجود اسرائيل بالذَّات، والكامنة في تخلِّي اسرائيل عن مناطق الجولان والضَّفَّة الغربيَّة[٢٠٩].

وبرغم اعتماد الجمعيَّة العامَّة التَّابعة لمنظَّمة الأمم المتَّحدة قرارًا يدعم مطالبة فلسطين بعضويَّة كاملة، بتأييد من ١٤٣ دولة في مقابل

[٢٠٩] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص٤٥٢.

معارضة ٢٥ دولة أخرى[٢١٠]، يصرُّ نتنياهو على رفْض ذلك، مشدِّدًا على ضرورة احتفاظ حكومة الاحتلال بالمسؤوليَّة الأمنيَّة، مع منْح حُكمًا ذاتيًّا للفلسطينيين بوصفهم أقليَّة داخل دولة الاحتلال. ويتعارض تأسيس دولة فلسطينيَّة كاملة السِّيادة مع تلبية المتطلَّبات الأمنيَّة لدولة الاحتلال، الَّتي تقتضي تأسيس منشآت عسكريَّة في الضَّفَّة الغربيَّة، وهو ما سيتعذَّر في حال تأسيس دولة فلسطينيَّة في الضَّفَّة. علاوة على ذلك، يتعيَّن على دولة الاحتلال السَّيطرة على مصادر المياه في الضَّفَّة الغربيَّة، إلى جانب مراقبة الأوضاع السُّكَّانيَّة هناك، منعًا لعودة اللَّاجئين الفلسطينيين المقيمين في الخارج إلى حدود دولة الاحتلال. ويوجز نتنياهو رأيه بشأن تأسيس دولة فلسطينيَّة، بقوله:

> إنَّ إصرار العرب على إعادة اسرائيل إلى حدود حرب عام ١٩٦٧ لا يمكن ان يلاقي ردًّا إيجابيًّا من جانب كلِّ من يرغب في تحقيق سلام حقيقي. يجب أن نقول للعرب، إنَّه لن يحلَّ السَّلام دون أمن، ولسنا على استعداد للمغامرة بوجودنا، من أجل تلبية مطالبهم. وإذا لم يوافق العرب، اليوم، على هذا، يجب أن نتحلَّى بالصَّبر، على أمل ان يوافقوا عليه غدا. وعلى أيَّة حال، لا يجوز أبدًا أن نتأثر بتصريحاتهم بأنَّهم لن

[٢١٠] الجمعيَّة العامَّة تعتمد قرارا يدعم طلب عضويَّة فلسطين ويمنحها امتيازات إضافيَّة، موقع الأمم المتَّحدة، ١٠ مايو ٢٠٢٤م.

يوقِّعوا على معاهدات السَّلام معنا، إذا لم نوافق على انسحاب من شأنه وضعنا في حالة خطر دائم[٢١١].

وفي الختام، يشدِّد نتنياهو على محوريَّة قوَّة الشَّعب اليهودي في مواجهة التِّحدِّيات الَّتي تهدِّد وجوده، وعلى رأسها الأصوليَّة الإسلاميَّة، متمثِّلةً في العداء الإيراني وما يرتبط به من تهديد نووي، مبرزًا أهميَّة القوَّة العسكريَّة لجيش الاحتلال في ردْع التَّهديد الخارجي للكيانات المعادية، الَّتي ترى أنَّ مصير دولة الاحتلال هو الزَّوال، آجلًا أم عاجلًا، وأنَّ قوَّتها المفرطة حاليًا ليست سوى انحراف عن مسار التَّاريخ الثَّابت. غير أنَّ دولة الاحتلال تستمدُّ ثقتها في مستقبلها المزهر من النُّبوءات الكتابيَّة المبشِّرة بسيادتها المُطلقة والأبديَّة على سائر الأمم[٢١٢]، وإن كان هناك من النُّبوءات ما يشير إلى خلاف ذلك[٢١٣]!

---

[٢١١] بنيامين نتنياهو: المصدر السَّابق، ص٤٦٥.

[٢١٢] "لاَ يُسْمَعُ بَعْدُ ظُلْمٌ فِي أَرْضِكِ، وَلاَ خَرَابٌ أَوْ سَحْقٌ فِي تُخُومِكِ، بَلْ تُسَمِّينَ أَسْوَارَكِ: خَلاَصًا وَأَبْوَابَكِ: تَسْبِيحًا. لاَ تَكُونُ لَكِ بَعْدُ الشَّمْسُ نُورًا فِي النَّهَارِ، وَلاَ الْقَمَرُ يُنِيرُ لَكِ مُضِيئًا، بَلِ الرَّبُّ يَكُونُ لَكِ نُورًا أَبَدِيًّا وَإِلهُكِ زِينَتَكِ. لاَ تَغِيبُ بَعْدُ شَمْسُكِ، وَقَمَرُكِ لاَ يَنْقُصُ، لأَنَّ الرَّبَّ يَكُونُ لَكِ نُورًا أَبَدِيًّا، وَتُكْمَلُ أَيَّامُ نَوْحِكِ. وَشَعْبُكِ كُلُّهُمْ أَبْرَارٌ. إِلَى الأَبَدِ يَرِثُونَ الأَرْضَ، غُصْنُ غَرْسِي عَمَلُ يَدَيَّ لأَتَمَجَّدَ" (سفر اشعياء: إصحاح ٦٠، آيات ١٨-٢١).

[٢١٣] "الرَّجُل جِبْرَائِيلَ" ليبشِّره فيها بعودة بني إسرائيل من السبي البابلي "بَعْدَ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ أُسْبُوعًا يُقْطَعُ الْمَسِيحُ وَلَيْسَ لَهُ، وَشَعْبُ رَئِيسٍ آتٍ يُخْرِبُ الْمَدِينَةَ وَالْقُدْسَ، وَانْتِهَاؤُهُ بِغَمَارَةٍ، وَإِلَى النِّهَايَةِ حَرْبٌ وَخِرَبٌ قُضِيَ بِهَا. وَيُثَبِّتُ عَهْدًا مَعَ كَثِيرِينَ فِي أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ، وَفِي وَسَطِ الأُسْبُوعِ يُبَطِّلُ الذَّبِيحَةَ وَالتَّقْدِمَةَ، وَعَلَى جَنَاحِ الأَرْجَاسِ مُخَرِّبٌ حَتَّى يَتِمَّ وَيُصَبَّ الْمَقْضِيُّ عَلَى الْمُخَرِّبِ" (سفر دانيال: إصحاح ٩، آيتان ٢٦-٢٧).

الفصل الثَّالث

طوفان الأقصى

ودوره في تأجيج الصِّراع العربي الإسرائيلي

ربَّما بات من المسلَّمات أنَّ الصِّراع الدَّائر بين الكيانين الصُّهيوني والصَّفوي لم ولن يتجاوز حدود الحرب الكلاميَّة، بإطلاق كلٍّ من الطَّرفين تهديدات بمحو الطَّرف الآخر من الوجود. وقد تناوَل الكاتب السُّويدي، إيراني الأصل، تريتا بارسي، أبعاد "التَّحالف الغادر" بين إيران من ناحية والولايات المتَّحدة الأمريكيَّة ودولة الاحتلال الإسرائيلي من ناحية أخرى[٢١٤]، مؤكِّدًا تضافُر مصالح الطَّرفين في المنطقة العربيَّة، ووجود تنسيقات بينهما فيما يتعلَّق بسير الأحداث في المنطقة. ولن ننسى أنَّ أصحاب العقائد الباطنيَّة، كما ينطبق على الشِّيعة الرَّوافض من حكَّام إيران، طالما كانوا خنجرًا مسمومًا في خصر الأمَّة الإسلاميَّة، حيث أظهروا الإسلام من باب التَّقيَّة، وضمروا الحقد على المسلمين، ساعين بكافَّة السُّبل الممكنة إلى تقويض دولة الإسلام منذ نشأتها[٢١٥].

---

[214] Parsi, T. (2007). *Treacherous alliance: the secret dealings of Israel, Iran, and the United States.* Yale University Press.

[٢١٥] عبد الله محمَّد الغريب: وجاء دور المجوس: الأبعاد التَّاريخيَّة والعقائديَّة والسّياسيَّة للثَّورة الإيرانيَّة، مكتبة الرِّضوان، مصر، ٢٠٠٥م.

صورة ٣,١–من اليسار، الرَّئيس الإيراني الأسبق محمَّد خاتمي مع أحد حاخامات اليهود

لن ننسى تأثير اليهوديَّة على عقيدة ملالي الشِّيعة الرَّوافض[٢١٦]، الَّتي أسَّسها اليهودي عبد الله بن سبأ بهدف تحريف رسالة الإسلام عن مسارها السَّليم زمن الخلافة الرَّاشدة[٢١٧]. ومن المفارقات أنَّ بعد سقوط نظام الشَّاه رضا بهلوي في إيران، ثاني نظام حاكم في المنطقة العربيَّة يبادر بالاعتراف بدولة الاحتلال الإسرائيلي عند إعلانها عام ١٩٤٨م ويكوِّن علاقات وثيقة معها، عام ١٩٧٩م، وما أتبع ذلك من صعود لنظام ملالي الرَّافضة، بزعامة الهالك روح الله الخميني، نجح النِّظام الجديد في إيران، الَّذي خلع على نفسه صبغة إسلاميَّة وسعى إلى تصدير الثَّورة الخمينيَّة إلى كافَّة دول المنطقة، في استقطاب حركات المقاومة العربيَّة، وعلى رأسها منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، وحركتا حماس والجهاد الإسلامي، إلى جانب نظام حزب البعث في سوريا وحزب الله اللُّبناني.

---

[٢١٦] محمَّد عبد المحسن: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ المؤامرة الصَّفويَّة-الصُّهيونيَّة لإخضاع العالم الإسلامي جزء ١، دار أنهار للنَّشر، بيروت، لبنان، ٢٠٢٢م، ص٢٨٧.

[٢١٧] المصدر السَّابق: ص٢١٠.

صورة ٣,٢–من يمين وسط الصُورة، ياسر عرفات ممسكًا بيد الخميني

ويتعجَّب الكاتب عبد الله الغريب من انخداع قادة منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، وغيرهم من زعماء المقاومة الفلسطينيَّة، بوعود نظام ملالي الرَّافضة بمحو دولة الاحتلال الإسرائيلي من الوجود، حتَّى قال ياسر عرفات، زعيم منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، عند نجاح الثَّورة الخمينيَّة "إنَّ ثورة إيران ليست ملكًا للشَّعب الإيراني فقط...إنَّها ثورتنا أيضًا فنحن نعتبر الإمام الخميني ثائرنا ومرشدنا الأوَّل[٢١٨]". ويتساءل الغريب:

> ترى هل نسي قادة المنظَّمة دور الرَّافضي الباطني حافظ الأسد وكيف وقف مع الموارنة ضدَّ الفلسطينيين واللبنانيين المسلمين؟! أم نسوا غدْر الصَّدر بهم عندما انضمَّ إلى الجيش النُّصيري عند دخوله لبنان، وأمَر منظَّمته أمل وعساكره الَّتي تعمل في لبنان العربي الانضمام إلى الجيش النُّصيري[٢١٩]؟!

[٢١٨] عبد الله محمَّد الغريب: وجاء دور المجوس ٢: "أمل" والمخيَّمات الفلسطينيَّة، مكتبة الرِّضوان، طبعة ١، مصر، ص٢٩.
[٢١٩] المصدر السَّابق: ص٣٠.

ويحذِّر المفكِّر والأديب الكبير، الأستاذ الدُّكتور عزَّت السَّيِّد أحمد، من الانخداع بمساندة نظام ملالي الرَّافضة لما يُسمَّى بمحور المقاومة والممانعة، مشيرًا إلى أنَّ تلك المساندة تدخل في إطار مخطَّط بسْط النُّفوذ الإيراني في كامل أرجاء العالم العربي، إحياءً للإمبراطوريَّة الفارسيَّة الَّتي أسقطها جيش الفتح العربي الإسلامي بالكامل عام ٣٣هـ/٦٥٤م:

> الحقيقة يجب أن تكون واضحة أمام الجميع أنَّ الواقع لا يمكن أن يُفهم من دون الماضي، وكلُّ مَن يفهم الواقع بعيدًا الماضي لا يمكن أن يفهم الواقع، ولا يمكن أن يصل إلى استنتاج، أو قراءة صحيحة، أو مصادفة. والحقيقة الَّتي ترتبط بهذا السّياق هي أنَّ إيران لديها طموحات إمبراطوريَّة وتمدُّد أعلنتها صبيحة انتصار الثَّورة الخمينيَّة عام ١٩٧٩م. ولم تتوقف هذه الطُّموحات في يوم من الأيَّام ولن تتوقَّف. بل إنَّ هذا الطُّموح ليس مرتبطًا بالخميني بقدر ما هو مرتبط بإرث فارسي يعود إلى صبيحة سقوط الإمبراطوريَّة الفارسيَّة في معركة القادسيَّة، تجلَّى في كثير من المراحل بأشكال وأنماط مختلفة عبر التَّاريخ إلى حين أعلن الخميني عن تصدير ثورته إلى الدُّول العربيَّة[٢٢٠].

وفي خضمِّ تناوُله لطبيعة العلاقات بين الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة وإيران، ونفيه لوجود ثمَّة عداء بينهما، يؤكِّد السَّيِّد أحمد أنَّ إيران، ومنذ

[٢٢٠] عزَّت السَّيِّد أحمد: آفاق التَّمدُّد الفارسي: قراءة تاريخيَّة وسياسيَّة، العالم العربي للنَّشر، طبعة ١، عمَّان، الأردن، ٢٠١٥م، ص١٧٧.

تحوُّلها إلى المذهب الشِّيعي على يد الشَّاه إسماعيل الصَّفوي، في القرن السادس عشر للميلاد، صارت "عدوٍّ صريح ومباشر وغير مباشر للإسلام بالمجمل والعرب بالخصوص"، و "مفتاح بل بوَّابة لأعداء الإسلام وأعداء العرب من الغزاة والمحتلَّين[٢٢١]". على ذلك؛ فليس من المتوقَّع من إيران الشِّيعيَّة أن تحمل الخير للأمَّة الإسلاميَّة؛ بل المنتظَر منها هو أن تكون معول هدْم ومصدر تهديد، وتاريخها القديم والحديث يشهد بذلك:

> بعد ارتباط الشّيعة بإيران وتحوُّل إيران إلى معقل الشّيعة العالمي، اجتمع الشَّرَّان المحيقان بالعرب معًا في بوتقة واحدة تضاعف فعلها فاعليَّتها وتأثيرها. ولا غرابة بعد ذلك ن تكون هذه القوَّة الجديدة منصَّة مستقلَّة باطنيَّة في شنّ الحروب على الإسلام والعرب من جهة أولى، ومنصَّة سرّيَّة لأعداء الإسلام المباشرين من غزاة ومحتلِّين[٢٢٢].

هل طوفان الأقصى هو "مبادرة طهران"

الَّتي ستشعل حرباً إقليميَّة في المنطقة العربيَّة؟

في عام ٢٠١٢م، طرح المبشِّر الأصولي الإنجيلي، يهودي الأصل، جويل روزنبرغ رؤيته بشأن السِّيناريوهات المحتملة لاشتعال حرب

---

[٢٢١] عزَّت السَّيِّد أحمد: النَّأخي الأمريكي الإيراني: حقيقة العلاقات الأمريكيَّة الإيرانيَّة، ياراتجيليك دنياسي ياپانلاري، قبرص، ٢٠٢٠م، ص٨.

[٢٢٢] المصدر السَّابق: ص٩.

إقليميَّة في المنطقة العربيَّة بفعل الصِّراع الصُّهيوني–الصَّفوي[٢٢٣]. وقد استعرض روزنبرغ ٣ سيناريوهات مختلفة في ثلاثيَّة روائيَّة تحمل اسم الرُّواية الأولى في الثُّلاثيَّة، وهي **الإمام الثَّاني عشر**[٢٢٤]، في إشارة إلى محمَّد بن الحسن العسكري، الإمام الغائب الَّذي يؤمن الرَّوافض بخروجه في آخر الزَّمان لتأسيس دولة عالميَّة للخلافة، باتِّباع شريعة آل داود، وسحْق أهل السُّنَّة. ويقدِّم المبشِّر الأصولي في الجزء الثَّاني في الثُّلاثيَّة، **مبادرة طهران**[٢٢٥]، تصوُّرًا لإمكانيَّة اشتعال حرب واسعة النِّطاق في المنطقة العربيَّة؛ من جرَّاء عمل استفزازي تبادر به إيران ضدَّ الولايات المتَّحدة، الشَّيطان الأكبر والدَّاعم السِّياسي والعسكري الأبرز لدولة الاحتلال الإسرائيلي.

بالتَّزامن مع تكثيف جماعات الهيكل اليهوديَّة المتطرِّفة اقتحاماتها للمسجد الأقصى المبارك احتفالًا بعيد الغفران اليهودي يومي ٢٤ و٢٥ سبتمبر ٢٠٢٣م[٢٢٦]، ودعوتها لتأسيس الهيكل الثَّالث في موقع المسجد بعد الاستعداد لإقامة طقس ذبْح بقرة حمراء وتحضير ماء التَّطهُّر، تمهيدًا لبناء الهيكل[٢٢٧]، بادرت كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام، الجناح العسكري لحركة حماس، بشنِّ عمليَّة طوفان الأقصى في مستوطنات

---

223 Rosenberg, J. C. (2012). *Israel at war: Inside the nuclear showdown with Iran.* Tyndale House Publishers, Inc, p54.

224 Rosenberg, J. C. (2010). *The Twelfth Imam*. Tyndale House Publishers, Inc.

225 Rosenberg, J. C. (2011). *The Tehran Initiative*. Tyndale House Publishers, Inc.

٢٢٦ جماعات الهيكل تُعلن عن اقتحام مركزي للأقصى بعيد الغفران غدًا والاثنين، المركز الفلسطيني للإعلام، ٢٣ سبتمبر ٢٠٢٣م

٢٢٧ محمَّد عبد المحسن: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: بناء الهيكل الثَّالث برماد البقرة الحمراء على أنقاض الْمَسْجِد الْأَقْصَى: النُّبوءات الكتابيَّة في مواجهة الوعد القرآني، دار حدوس وإشراقات للنشر، عمَّان، ٢٠٢٣م، ص١٢٧.

غلاف قطاع غزَّة، عبر هجوم صاروخي واسع النِّطاق، في السَّاعات الأولى من يوم ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م. وقد أفاد القائِد العام لكتائب القسَّام، محمَّد الضيف، أنَّ العملية جاءت ردًّا على "الانتهاكات الإسرائيليَّة في باحات المَسْجِدِ الأقصى واعتداء المُستوطنين الإسرائيليين على المُواطنين الفلسطينيين في القُدس والضّفّة والدّاخل المُحتَل[٢٢٨]". وقد أدَّت العمليَّة إلى سقوط ١٢٠٠ من مستوطني الاحتلال الإسرائيلي، ما بين عسكريين ومدنيين، من بينهم ٢٦٠ شخصًا من المشاركين في مهرجان رعيم الموسيقي، وإصابة ٣٠٠٠ آخرين، مع وقوع ١٣٠ في الأسر[٢٢٩].

من جانبها، ردَّت دولة الاحتلال الإسرائيلي بإطلاق عمليَّة مضادَّة بزعم الدِّفاع عن أراضيها ومواطنيها، منحتها اسم عمليَّة السُّيوف الحديديَّة، لتشنَّ هجوما موسَّعًا على قطاع غزَّة وصفته شبكة PBS التِّلفزيونيَّة الأمريكيَّة بأنَّه الأكثر دمويَّة وتدميرًا في التَّاريخ الحديث[٢٣٠]. فقد خلَّفت العمليَّة، الَّتي دخلت عامها الثَّاني، عشرات الآلاف من الشُّهداء، ومئات الآلاف من المصابين والمفقودين تحت أنقاض المباني المدمَّرة، كما أسفرت عن نزوح كافَّة مواطني قطاع غزَّة، البالغ عددهم ٢,٣ مليون

[٢٢٨] كتائب القسَّام تعلن عن "طوفان الأقصى" وإطلاق ٥ آلاف صاروخ باتِّجاه إسرائيل، الجزيرة نت، ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م.

[٢٢٩] عملية "طوفان الأقصى": انهيار الاستراتيجيَّة الإسرائيليَّة تجاه غزَّة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السِّياسات، ١٢ أكتوبر ٢٠٢٣م.

[230] Israel's military campaign in Gaza is among the most destructive in history, experts say, PBS News, December 21, 2023.

نسمة، داخليًّا[٢٣١]. هذا، وقد أرادت حكومة الاحتلال الإسرائيلي منْح العمليَّة الَّتي شنَّتها بزعم الرَّدّ على عمليَّة طوفان الأقصى سمة دينيَّة؛ فعقدت لجنة حكوميَّة نهاية ديسمبر ٢٠٢٣م اجتماعًا للمفاضلة بين ٣ أسماء تحمل طابعًا دينيًّا لتلك العمليَّة، هي حرب التَّكوين، على اعتبار أنَّ سفر التَّكوين هو أوَّل أسفار التَّوراة؛ وحرب فرحة التَّوراة؛ وحرب مُجري الرِّياح، وهو اسم وارد في الكتاب المقدَّس[٢٣٢].

صورة ٣,٣-خارطة الوضع الميداني في قطاع غزَّة

وتكشف ليلى أبو المجد، أستاذ الدِّراسات اليهوديَّة والأدب العبري بجامعة عين شمس المصريَّة، عن سبب تغيير اسم العمليَّة إلى حرب التَّكوين، موضحةً أن الاسم مناسب لحالة الخراب الَّتي صار عليها

[٢٣١] الحرب الفلسطينيَّة الإسرائيليَّة ٢٠٢٣: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.
[٢٣٢] اجتماع إسرائيلي لتغيير اسم الحرب.. و٣ بدائل للسُّيوف الحديديَّة، سكاي نيوز عربيَّة، ٢١ ديسمبر ٢٠٢٣م.

قطاع غزَّة جرَّاء العدوان الغاشم[٢٣٣]. وأضافت أبو المجد أنَّ نتنياهو صار في مأزق، وأراد الخروج منه باللُّجوء إلى مسمَّى توراتي للعمليَّة الوحشيَّة الَّتي يشنُّها على قطاع غزَّة، بعد أن حوَّل أرض غزَّة إلى أرض "خربة وخالية"، في مضاهاة للوصف التَّوراتي لحالة الأرض بعد عمليَّة خلْقها[٢٣٤]. وترى الباحثة أنَّ في ذلك ما يتماشى مع مخطَّط الفوضى الخلَّاقة الَّذي أعلنت عنه إدارة جورج دابليو بوش عند تدشين مشروع الشَّرق الأوسط الكبير عام ٢٠٠٤م، في إشارة إلى إعادة تشكيل المنطقة العربيَّة بعد تدميرها وإفراغها من البشر والعمران. وفي الذِّكرى الأولى لطوفان الأقصى، قرَّر بنيامين نتنياهو تغيير اسم العمليَّة الانتقاميَّة إلى حرب القيامة[٢٣٥].

وتأكيدًا على استناد حكومة الاحتلال إلى العقائد اليهوديَّة في توجيه آلة الحرب في عمليَّتها في غزَّة، وصَف وزير الدِّفاع، يوآف غالانت، مواطني القطاع بالحيوانات البشريَّة، وهو وصْف مستقى من الاعتقاد اليهودي بأن الأمميين، أو الأغيار، لا ينطبق عليهم تحريم القتل، المنصوص عليه كتابيًّا بالنِّسبة لليهود. ويُذكر في هذا السِّياق أنَّ الحاخام يتسحاق جينسبورج، المنتمي إلى حركة حباد الحسيديَّة الأرثوذكسيَّة، قد دافع عن مرتكب مجزرة الحرم الإبراهيمي، الَّتي ارتُكبت بالتَّزامن مع عيد البوريم اليهودي في ٢٥ فبراير ١٩٩٤م، مبرِّرًا

---

[٢٣٣] د. ليلى أبو المجد استاذة الأدب العبري: نتنياهو في مأزق وهذا هو سبب تغيير اسم الحرب لـ حرب التكوين، قناة TeN TV، موقع يوتيوب، ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٣م.

[٢٣٤] "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ" (سفر التَّكوين: إصحاح ١، آيتان ١-٢).

[٢٣٥] نتنياهو يطلب تغيير اسم الحرب إلى "حرب القيامة"، موقع روسيا اليوم، ٧ أكتوبر ٢٠٢٤م.

المجزرة بأنَّها ارتُكبت ثأرًا لليهود الَّذي قُتلوا على يد العرب في الحروب السابقة[٢٣٦]. وأعلن غالانت فرْض حصار خانق على قطاع غزَّة، بمنع وصول المياه والطَّعام والكهرباء والوقود إلى القطاع:

وزير الدِّفاع الإسرائيلي: نحارب حيوانات بشريَّة.. لا كهرباء ولا طعام إلى قطاع غزَّة

أعلن وزير الدِّفاع الإسرائيلي يوآف غالانت أنَّه أمر بفرض حصار كامل على قطاع غزة، قائلا: "نحن نحارب حيوانات بشريَّة".

وفي تصريح خلال اجتماع في القيادة الجنوبيَّة للجيش الإسرائيلي، قال غالانت: "لقد أمرت بفرض حصار كامل على غزَّة. لن يكون هناك كهرباء ولا طعام. نحن نقاتل الحيوانات البشريَّة ونتصرَّف وفقًا لذلك".

وفي وقت سابق من اليوم، علق المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي، العميد دانيال هغاري، على الوضع في قطاع غزة قائلا: "المعابر مغلقة في القطاع، لا يوجد كهرباء، لا أحد

[236] Ginzburg, Y. (1995). Baruch Is the Man. In M. Ben Horin (Ed.). Baruch Is the Man: A Memorial Book for the Holy Dr. Baruch Goldstein, May God Avenge His Blood (19–47). Jerusalem: Medinat Yehuda. P41.

يدخل أو يخرج.. غزة تحت الحصار"، معلنا أنَّ "هناك المئات مدفونين تحت المباني في هجماتنا." وادَّعى بأنَّ الجيش الإسرائيلي "لا يهاجم مناطق لا يوجد فيها إرهابيون"، مشددا على أنه "سيتم مهاجمة كلِّ موقع استخباراتي، وكلِّ مقر رئيسي.. الجيش الإسرائيلي في حالة هجوم"[٢٣٧].

هل يفضي طوفان الأقصى إلى تكرار حرب الأيَّام السِّتَّة؟

صورة ٣,٤-احتفال أهالي غزَّة باصطياد المقاومة دبابة للاحتلال الإسرائيلي

برَّرت حكومة الاحتلال الإسرائيلي حملتها المستعرة على قطاع غزَّة بأنَّها جاءت بمثابة ردٍّ رادع لكافَّة حركات المقاومة الموالية لإيران، مؤكِّدةً استمرارها حتَّى تحقيق كافَّة أهدافها، وعلى رأسها اجتثاث حركات المقاومة الفلسطينيَّة، وفي مقدِّمتها حركتا حماس والجهاد الإسلامي. غير أنَّ الرَّدَّ الإسرائيلي لم يتسلَّط على حركات المقاومة وحدها، إنَّما هو بمثابة حرب إبادة جماعيَّة لأهالي

[٢٣٧] وزير الدِّفاع الإسرائيلي: نحارب حيوانات بشريَّة.. لا كهرباء ولا طعام إلى قطاع غزَّة، روسيا اليوم، ٩ أكتوبر ٢٠٢٣م.

القطاع المنكوب، الَّذي يتعرَّض لعمليَّة تخريبيَّة ممنهجة، باعتراف زعماء العالم العربي[٢٣٨]. هذا، وقد أقرَّ الرَّئيس الأمريكي، جو بايدن (يناير ٢٠٢١-يناير ٢٠٢٥م)، بأنَّ الرَّدَّ الإسرائيلي على عمليَّة طوفان الأقصى تجاوز كافَّة الحدود المعقولة، مشيرًا إلى تعرَّض مئات الآلاف من المدنيين "الأبرياء" من أبناء غزَّة للجوع والتَّشريد:

عربية sky news

بايدن: الرَّدُّ العسكري الإسرائيلي في غزة "جاوز الحد"

قال الرَّئيس الأميركي، يوم الخميس، إنّ الردّ العسكري الإسرائيلي في قطاع غزة على الهجوم الَّذي شنّته حركة حماس ضدَّ إسرائيل "جاوز الحد."

وفي إفادة صحفيَّة في البيت الأبيض، قال بايدن، في واحدة من أشدِّ انتقاداته حتَّى الآن لحكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو: "أنا أرى، كما تعلمون، أنَّ سلوك الرد في قطاع غزة جاوز الحدَّ."

وأضاف أنَّه يضغط من أجل زيادة المساعدات الإنسانية للمدنيين الفلسطينيين، والتوصل إلى وقف للقتال يتيح إطلاق سراح الرهائن الَّذين تحتجزهم حركة حماس.

[٢٣٨] دعا لوقف العدوان على لبنان.. أمير دولة قطر: ما يجري في غزَّة إبادة جماعيَّة، موقع العربي، ٣ أكتوبر ٢٠٢٣م.

وقال بايدن "إنّني أضغط بشدة الآن من أجل وقف إطلاق النار هذا المرتبط بالرَّهائن (...) هناك الكثير من الأبرياء الَّذين يتضوَّرون جوعا، والكثير من الأبرياء الذين يعيشون في كرب ويموتون، ويجب أن يتوقَّف ذلك"[٢٣٩].

يتَّضح من تلك الاعترافات أنَّ الاحتلال الإسرائيلي اتَّخذ من عمليَّة طوفان الأقصى ذريعة لشنَّ هجوم تدميري على قطاع غزَّة، قد يشمل لاحقًا الضَّفَّة الغربيَّة ولبنان وسوريا، تنفيذًا لمخطَّط دولة إسرائيل الكبرى، بزعم حماية أمنها في مواجهة تهديدات إيران وأذرعها في المنطقة العربيَّة. ويذكِّرنا ذلك بما أورده المؤرِّخ والسِّياسي الإسرائيلي، أمريكي الأصل، مايكل أورين، في كتابه **ستَّة أيَّام من الحرب: يونيو ١٩٦٧ وصناعة الشَّرق الأوسط الجديد**[٢٤٠]، عن ملابسات اندلاع حرب الأيَّام السِّتَّة، في ٥ يونيو/حزيران ١٩٦٧م، حيث زعم أنَّ دولة الاحتلال اضطرَّت لشنِّ الهجوم على محيطها العربي ردًّا على الأعمال العدائيَّة للمقاومة الفلسطينيَّة، بمساعدة نظام حزب البعث العلوي في سوريا، متنبِّئًا باحتماليَّة تكرار اشتعال الحرب، مع استمرار الأجواء العدائيَّة تجاه دولة الاحتلال من محيطها العربي.

يوضح أورين أنَّ الشَّرارة الأولى لحرب الأيَّام السِّتَّة قُدحت في نوفمبر من عام ١٩٦٤م، بشنِّ قوَّات المقاومة التَّابعة لمنظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، بقيادة ياسر

[٢٣٩] بايدن: الرَّدُّ العسكري الإسرائيلي في غزة "جاوز الحد"، موقع سكاي نيوز عربيَّة، ٩ فبراير ٢٠٢٤م.
[240] Oren, M. B. (2002). *Six days of war: June 1967 and the making of the modern Middle East*. Presidio Press.

عرفات، هجمات من هضبة الجولان على أراضٍ تحتلُّها دولة الاحتلال، بهدف منْع زراعتها، وذلك بمساعدة قائد القوَّات الجويَّة ولاحقًا وزير الدِّفاع السُّوري، حافظ الأسد، العلوي صاحب التَّاريخ الأسود في تقتيل أهل السُّنَّة والتَّنكيل بهم. ومع دخول الأردن خطَّ المواجهة، بدأت دولة الاحتلال في وضْع "خطَّة دفاعيَّة لصدِّ الهجمات على جميع الجبهات[٢٤١]"، في تأكيد على أنَّ دولة الاحتلال الإسرائيلي شنَّت الحرب ليس إلَّا لأسباب دفاعيَّة، وليس لأهداف توسُّعيَّة. وازدادت الأمور تعقيدًا بعد أن صرَّح رئيس الحكومة السُّوريَّة، يوسف زعيِّن، بقوله "لم نأتِ لنكبح الثَّورة الفلسطينيَّة...بل سوف نشعل المنطقة نارًا وأي حركة تقوم بها إسرائيل ستؤدِّي إلى قبرها"[٢٤٢]. وبعد احتدام حالة التَّوتُّر، وضَع الحليفان المصري والسُّوري مخطَّطًا لشنِّ حرب على الاحتلال:

> وبموجب الخطَّة الَّتي أُعطيت اسمًا رمزيًّا هو "رشيد"، تقوم الدَّولتان بهجوم متزامن على إسرائيل: سوريا تضرب الشَّمال ومصر تضرب الجنوب والوسط، ثمَّ تتقدَّم القوَّات السُّوريَّة عبر الجليل إلى حيفا. وهنا، في معرض الأنشطة الأرضيَّة، رسم المصريون خطًّا. إذا قال صدقي محمود لعبد النَّاصر لدى عودته: "كلُّ ما قلته للسُّوريين هو أنَّه في حال قيام إسرائيل بحشد قوَّات على حدودهم، فإنّي سأرفع جاهزيَّة الطَّيران ومستوى نشاطه في سيناء وجنوب إسرائيل لتقييد حريَّة الجزء

[٢٤١] مايكل أورين: ستَّة أيَّام من الحرب...حزيران ١٩٦٧م وصناعة شرق أوسط جديد، ترجمة إبراهيم الشَّهابي، مكتبة العبيكان طبعة ١، السَّعوديَّة، الرِّياض، ٢٠٠٥م، ص٦٨.
[٢٤٢] المصدر السَّابق: ص٧٦.

الأكبر من سلاح الجو الإسرائيلي...لم نتحدَّث أبدًا عن تحريك قوَّات مصريَّة إلى داخل سيناء"[٢٤٣].

وبعد إرسال النِّظام السُّوري إلى القاهرة رسالة مفادها "لقد علمنا من مصدر موثوق أنَّ أوَّلًا: إسرائيل قد حشدت معظم احتياطيها. وثانيًا: ركَّزت معظم قوَّاتها على الحدود السُّوريَّة، وتُقدَّر بـ ١٥ لواء. وثالثًا: يخطّط الإسرائيليون بهجوم واسع النّطاق على سورية، بما في ذلك إنزال مظلّي، وذلك فيما بين ١٥ و٢٢ مايو (أيار)"[٢٤٤]، أراد النِّظام المصري التَّأكُّد من صحَّة ما جاء في الرِّسالة. فأرسل الرَّئيس المصري، جمال عبد النَّاصر، رئيس هيئة الأركان العامَّة، الفريق محمَّد فوزي، للتَّحليق فوق الحدود السُّوريَّة لتفقُّد الأوضاع هناك. والمفاجأة أنَّ رئيس هيئة الأركان العامَّة المصري لم يجد ما يؤكِّد صحَّة المزاعم السُّوريَّة، كما اعترف في مذكِّراته، ونقل عنه أورين:

> هناك أمر واحد يجده فوزي هو دليل على تحرُّكات غير عاديَّة للجيش الإسرائيلي. التقى مع رئيس الأركان السُّوري أحمد سويداني ودرسا بصورة دقيقة الصُّور الجويَّة الَّتي التُقطت لمنطقة الحدود في اليوم السَّابق. ثمَّ قام بمسح المنطقة بنفسه على متن طائرة خاصَّة. لم يشاهد ما يدلُّ على وجود حشود لجيش الدّفاع الإسرائيلي في أيّ مكان، حتَّى إنَّ الجيش السُّوري لم يكن مستنفرًا[٢٤٥].

---

[٢٤٣] محمَّد حسنين هيكل: الانفجار ١٩٦٧: حرب الثَّلاثين سنة، دار الشُّروق، مصر، ١٩٨٩م، ص٤٣٤.
[٢٤٤] المصدر السَّابق: ص١١٩.
[٢٤٥] المصدر السَّابق: ص١٣٤.

وبـرغم ذلـك، وبـرغم عـدم جهوزيَّـة القـوَّات العربيَّـة لمواجهـة العـدو الإسـرائيلي، اسـتمرَّت الاسـتعدادات المصـريَّة للحـرب؛ وهـو مـا دفـع دولـة الاحـتلال حينهـا للاسـتنفار لمواجهـة الخطـر المحتمـل، كمـا يـزعم المـؤرِّخ اليهـودي، فـي محاولـة للتَّأكيـد علـى طرْحـه السَّـابق وأنَّ دولـة الاحـتلال أُجبـرت علـى شـنِّ حـرب الأيَّـام السِّتَّة دفاعًـا عـن أراضـيها. ومـن المفارقـات أنَّ بـرغم الـدَّعم الغربـي المفـرط لدولـة الاحـتلال منـذ نشـأتها، يـدَّعي أوريـن أن رئـيس أركـان جـيش الاحـتلال حينهـا، إسـحق رابـين، كـان متأسِّـفًا لتقـاعُس القـوى العظمـى فـي العـالم عـن نُصـرة الكيـان الغاصـب. وأعلـن عبـد النَّاصـر، خـلال فـي قاعـدة أبـو سـوير الجويَّـة، فـي ٢٢ مـايو ١٩٦٧م، منْـع السُّـفن التـي تحمـل العلـم الإسـرائيلي مـن المـرور فـي خلـيج العقبـة، وهـو مـا اعتبرتـه دولـة الاحـتلال إعـلان حـرب عليهـا، وقـال عبـد النَّاصـر "هـدَّد اليهـود بـالحرب، ونحـن نقـول لهـم أهـلًا وسـهلًا، نحـن مسـتعدُّون للحـرب"[٢٤٦]. وقوبـل قـرار الـرَّئيس المصـري بحالـة مـن الابتهـاج، تـذكِّرنا بحالـة النَّشـوة الَّتـي غمـرت العـالم العربـي والإسـلامي فـور شـنِّ حركة حماس عمليَّة طوفان الأقصى:

> سـاد الابتهـاج الـوطن العـرب كلَّـه حيـث تـردد عبـارة "أهـلًا وسـهلًا". غمـرت شـوارع القُـدس والخليـل وبغـداد وطـرابلس مظـاهرات جماهيريَّـة مهللـة لعمـل مصـر. وفُعلَّـت القـوَّات المسـلَّحة فـي كـلّ مـن لبنـان والكويـت والسَّـعوديَّة. وذكـر

[٢٤٦] المصدر السَّابق: ص١٦٧.

أنَّ أرتـالًا عراقيَّـة مسـلَّحة تحرَّكـت نحـو الحـدود السُّـوريَّة والأردنيَّـة "لتشـارك فـي معركـة الشَّـرق". لـبس الملـك حسـين زيًّـا عسـكريًّا واسـتعرض وحـدات الفيلـق العربـي مـن بينهـا دبَّابـات أمريكيَّـة، مـن المفتـرض أن تعبـر نهـر الأردن، وهي تشير في اتّجاه الضَّفَّة الغربيَّة[٢٤٧].

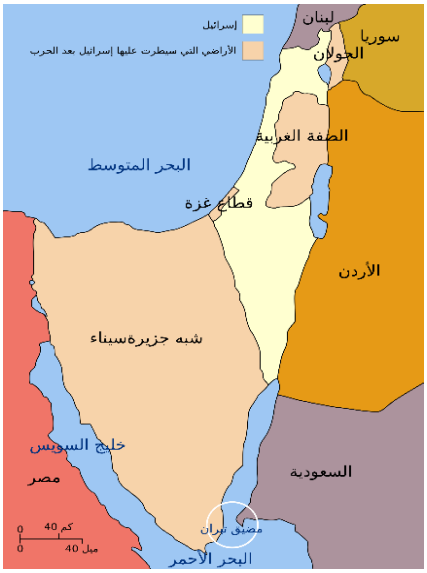

صورة ٣,٥–الأراضي الَّتي استحوذ عليها الاحتلال الإسرائيلي في حرب الأيَّام السِّتَّة

وبالفعل، اندلعت الحرب صباح الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧م، وسُحقت القوَّات العربيَّة على يد قوَّات جيش الاحتلال الإسرائيلي، الَّذي استحوذ على أراضي شبه جزيرة سيناء المصريَّة، وقطاع غزَّة، وهضبة الجولان، والضَّفَّة الغربيَّة، واستولى على ٤٢٠٠٠ ميل مربَّع، وأصبح مساحة دولة الاحتلال ثلاثة

[٢٤٧] المصدر السَّابق: ص١٦٨.

أضعاف ونصف ما كانت عليه قبل الحرب. أمَّا عن الخسائر البشريَّة والمادِّيَّة للجيوش العربيَّة فيرصدها أورين كما يلي:

> في تلك الفترة القصيرة خسر المصريون ما بين ١٠٠٠٠ و١٥٠٠٠ رجل، من بينهم ٥٠٠٠ سُجّلوا مفقودين؛ وقُتل ٧٠٠ جندي أردني، وجُرح أو فُقد أكثر من ٦٠٠٠. أمَّا خسائر سوريَّة فقُدّرت بـ ٤٥٠ قتيلًا، وأربعة أضعاف هذه العدد جرحى. اعترفت إسرائيل بمقتل ٦٧٩ وجرح ٢٥٦٣، رغم أنَّ أرقام جيش الدّفاع الإسرائيلي فيما بعد ارتفعت إلى ٨٠٠ قتيل...
>
> والفجوة الأوسع، لم تكن من البشر، بل في البنود الماديَّة. دُمّرت جميع المعدَّات الحربيَّة المصريَّة ما خلا ١٥% فقط، وبلغت كلفتها ٢ بليون دولار، إضافة إلى مخزون كبير أصبح غنيمة لإسرائيل–٣٢٠ دبَّابة، و٤٨٠ مدفعًا، وبطَّاريتي صواريخ سام، و١٠٠٠٠ مركبة. وكانت القائمة الأردنيَّة طويلة ومؤلمة كذلك: ١٧٩ دبَّابة، و٥٣ APC، و١٠٦٢ مدفعًا، و٣١٦٦ مركبة، و٢٠٠٠٠ قطعة سلاح منوَّعة. خرج السُّوريون من الحرب بأقلّ خسائر من بقيَّة الجيوش العربيَّة، فقد خسروا ٤٧٠ مدفعًا، و١١٨ دبَّابة، و١٢٠٠ مركبة، بالإضافة إلى أربعين دبَّابة سُلّمت للإسرائيليين[٢٤٨].

[٢٤٨] المصدر السَّابق: صـ٥٥٣-٥٥٤.

تاريخ الصِّراع بين الاحتلال الإسرائيلي وحركة حماس

لم تتوقف المناوشات بين قوَّات الاحتلال الإسرائيلي وحركات المقاومة الإسلاميَّة في قطاع غزَّة، وفي مقدِّمتها حركة حماس، منذ انسحاب الاحتلال من القطاع عام ٢٠٠٥م، بموجب خطَّة فكِّ الارتباط أحاديَّة الجانب، وهو ما يرصده خبير الأمن القومي الإسرائيلي، إيهود عيلام، في كتابه **إسرائيل والعرب وإيران: العلاقات الدُّوليَّة والوضع الرَّاهن ٢٠١١-٢٠١٦**[٢٤٩]. يشير عيلام إلى تجدُّد الصِّراعات المسلَّحة بين الاحتلال وحركة حماس، بحدوث عدَّة مواجهات بين الطَّرفين، على رأسها جولة ديسمبر ٢٠٠٨-يناير ٢٠٠٩م، وجولة نوفمبر ٢٠١٢م، ثمَّ جولة يوليو وأغسطس ٢٠١٤م. وينقل عيلام عن مؤسَّسة بروكينغز البحثيَّة الأمريكيَّة ما اقترحه الباحث ناثان ساتش، خلال ندوة انعقدت لمناقشة مآل الصِّراع في قطاع غزَّة بين الاحتلال الإسرائيلي والمقاومة الإسلاميَّة، حيث رأى ساتش أنَّ الاحتلال أمامه "ثلاثة خيارات سيِّئة للغاية"، وهي اجتياح قطاع غزَّة، أو "إتاحة الفرصة لحماس لإعادة التَّسلُّح، ورفْع كافَّة العقوبات، والطُّموح إلى الأفضل"، أو "قبول وضع راهن محبط وغير مرضٍ بالمرَّة"[٢٥٠].

وقد وجد الخيار الأوَّل، أي اجتياح قطاع غزَّة، تأييدًا واسعًا من صنَّاع القرار في حكومة الاحتلال، واقترح الجنرال الإسرائيلي، المستشار

[249] Eilam, E. (2018). *Israel, the Arabs and Iran: International Relations and Status Quo, 2011-2016*. Routledge.

[250] Brookings, August 5, 2014. www.brookings.edu/blogs/brookings-now/posts/2014/08/
5-points-from-a-brookings-event-on-israel-hamas-conflict-in-gaza.

السَّابق للأمن القومي، يعقوب عميدور، شنَّ عمليَّة في غزَّة تستمرُّ عامًا كاملًا حتَّى تدمير البنية التَّحتيَّة للمقاومة الإسلاميَّة، بقيادة حركة حماس[٢٥١]. غير أنَّ ذلك الاقتراح وجد معارضة؛ على اعتبار أنَّه إذا كان اجتياح القطاع سيحتاج إلى أيَّام قليلة، فإنَّ نزْع سلاح المقاومة سيستغرق سنوات طويلة، وهو ما سيحمِّل حكومة الاحتلال نفقات باهظة. ويمكن إيجاز أسباب تراجُع حكومة الاحتلال عن اجتياح قطاع غزَّة قبل سنوات من عمليَّة حرب القيامة على النَّحو التَّالي:

> لا تتوقَّف صعوبة المهمَّة العسكريَّة في غزَّة على صعوبة التَّنبُّؤ بعدد الصَّواريخ والقذائف ومصادرها وأماكن تخزينها، إنَّما كذلك على اتّساع مساحة الأنفاق الَّتي حفرتها قوَّات حماس، حتَّى أنَّ مساحة الأنفاق المحفورة في عام ٢٠١٤م وحده تُقدَّر بـ ٢٠٠ كيلومتر. ويشير عيلام إلى وجود ٣ أنواع من الأنفاق: نوع يربط غزَّة بسيناء، ويستهدف نقْل الأفراد والمستلزمات، بما فيها العسكريَّة؛ ونوع للاختباء وإخفاء الأسلحة وقيادات حماس وذويهم؛ ونوع يستهدف التَّسلُّل إلى إسرائيل لتنفيذ شتَّى العمليَّات ضدَّ المدنيين. ولا تمتلك إسرائيل نظامًا لاكتشاف الأنفاق، وترجع مساعي إيجاد حلّ لتلك المشكلة إلى التّسعينات، وقد قُدّم ما بين عامي ٢٠٠٧ و٢٠١٤م حوالي

[251] Eilam: Ibid, P.18.

٧٠٠ مشروع وآلاف التَّجارب الَّتي تستهدف مواجهة تهديد الأنفاق[٢٥٢].

وباللَّعب على وتر اضطرار الاحتلال الإسرائيلي لشنِّ هجماته على خصومه العرب بهدف حماية أراضيه من التَّهديدات والاعتداءات المتكرِّرة، يدَّعي عيلام أنَّ الاحتلال شنَّ هجومه على قطاع غزَّة في ١٨ يوليو ٢٠١٤م لردْع حماس عن استهداف الاحتلال بالقذائف. هذا، وقد تنبَّأ عيلام بتجدُّد الصِّراع بين الاحتلال وحماس، بعد انتهاء جولة عام ٢٠١٤م، مشدِّدًا على أهميَّة تدمير أنفاق حماس، ومقترحًا أحد سيناريوهات كيفيَّة التَّصدِّي لهجمات الحركات، ومؤكِّدًا محوريَّة الهجوم الإسرائيلي المستقبلي على حماس في ردْع كافَّة الأعداء الإقليميين:

> في هذه الحالة، قد يبقى السكان الإسرائيليون في الملاجئ، وتعترض القبة الحديديَّة الصَّواريخ، وتنتشر القوات الإسرائيليَّة على الحدود لمنع التَّوغُّلات. وفي هذه الحالة، قد تكون الخسائر الإسرائيليَّة أقلَّ من الخسائر في الجولات السَّابقة...
>
> إذا لم تشنَّ إسرائيل عمليَّات هجوميَّة واكتفت بتدابير الدِّفاع فقط، فقد تنهار قدرتها على الرَّدع. وسوف يعتقد الفلسطينيون أنَّ إسرائيل نمر من ورق، تخشى مواجهة عدوها، على الرَّغم من قوَّتها العسكريَّة. وسوف تستمر حماس في إضافة التَّوتُّر،

[٢٥٢] محمَّد عبد المحسن: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ المؤامرة الصَّفويَّة-الصُّهيونيَّة لإخضاع العالم الإسلامي جزء ٣، دار أنهار للنَّشر، بيروت، لبنان، ٢٠٢٢م، صـ١٩٥-١٩٦.

وإطلاق النار على إسرائيل للضَّغط عليها، معتقدةً أنَّ عدوها على وشك الانهيار، وتقبل شروط حماس، مثل إنهاء الحصار المفروض على قطاع غزة[٢٥٣].

وتأكيدًا لما تنبَّأ به إيهود عيلام عن تجدُّد الاشتباك المسلَّح بين الاحتلال الإسرائيلي وحركة حماس، أكَّد غيث العمري وغرانت روملي، الباحثان التَّابعان لمعهد واشنطن لسياسة الشَّرق الأدنى، "حتميَّة" حدوث مواجهة جديدة بين الطَّرفين، وإن تأجَّلت نتيجة حالة الاستقرار النِّسبي في قطاع غزَّة[٢٥٤]. وبالفعل، وقعت مناوشات حدوديَّة بين الاحتلال الإسرائيلي والمقاومة في قطاع غزَّة في مايو ٢٠١٩م، واتُّهمت المقاومة كالعادة باستفزاز الاحتلال، بإطلاق ٢٥٠ صاروخًا على مستوطنات للاحتلال على حدود القطاع[٢٥٥]، وهو ما أجبر الاحتلال على الرَّدِّ، الَّذي ألحق بعض الخسائر بغزَّة[٢٥٦].

تقييم موضوعي لنتائج عمليَّة طوفان الأقصى

دون أدنى تشكيك في نوايا عناصر المقاومة الإسلاميَّة في قطاع غزَّة، ودون أيِّ تقزيم للتَّضحيات الهائلة الَّتي قدَّموها دفاعًا عن الأراضي العربيَّة في مواجهة الاحتلال الغاشم، لا يمكن تجاهُل حقيقة أنَّ المستفيد الأكبر من عمليَّة طوفان الأقصى هو دولة الاحتلال الإسرائيلي، الَّتي ترفض وقف إطلاق النَّار،

---

253 Eilam: Ibid, PP.56-57.

٢٥٤ غيث العمري وغرانت روملي: هل الحرب في غزَّة حتميَّة؟، معهد واشنطن لسياسة الشَّرق الأدنى، ٢٢ أغسطس ٢٠١٧م.

٢٥٥ تصاعد العنف عبر الحدود بين غزَّة وإسرائيل لليوم الثَّالث مع تبادل القصف الجوي والصَّاروخي، فرانس ٢٤، ٥ مايو ٢٠١٩م.

٢٥٦ 31 شهيدا و٨٣٠ وحدة سكنية متضرّرة... غزَّة تحصي خسائرها بعد توقُّف العدوان، الجزيرة نت، ٦ مايو ٢٠١٩م.

وتصرُّ على استكمال حرب الإبادة على القطاع المنكوب، الَّذي انسحبت منه عام ٢٠٠٥م، بموجب خطَّة فكِّ الارتباط أحاديَّة الجانب. ولم يعد رئيس حكومة الاحتلال، بنيامين نتنياهو، حرجًا في إخفاء نواياه لإعادة احتلال غزَّة:

نتنياهو يتمسَّك بفيلادلفيا ويشرعن إعادة احتلال غزة

اعتبر رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو أن حركة المقاومة الإسلاميَّة (حماس) تشن حربا نفسية على مواطني إسرائيل وحكومته وتضغط عليهم بنشرها صور الأسرى، مؤكِّدًا التزامه بإعادة ما تبقَّى من أسرى لكن دون الخروج من محور فيلادلفيا، كما قال إنَّه بعد ٧ أكتوبر/تشرين الأوَّل أصبح لدى إسرائيل الشَّرعيَّة المحليَّة والدُّوليَّة لإعادة احتلال قطاع غزَّة.

وشدد نتنياهو أكثر من مرة في كلمته خلال مؤتمر صحفي اليوم على أن الجيش الإسرائيلي لن يغادر محور فيلادلفيا، وقال إذا خرجنا منه فلن نتمكن من العودة إليه.

وزعم أنَّ فيلادلفيا أصبح عند خروج الجيش الإسرائيلي من غزَّة عام ٢٠٠٥ مجالا لتهريب الأسلحة المقدَّمة من إيران، معتبرا أن مصر لم تنجح في منع تهريب الأسلحة إلى قطاع غزَّة عبر المحور، على حدِّ تعبيره[٢٥٧].

[٢٥٧] نتنياهو يتمسَّك بفيلادلفيا ويشرعن إعادة احتلال غزة، موقع الجزيرة نت، ٤ سبتمبر ٢٠٢٤م.

ويتَّضح من تصريح نتنياهو بأنَّ عمليَّة طوفان الأقصى منحت الاحتلال "الشَّرعيَّة المحليَّة والدُّوليَّة لإعادة احتلال قطاع غزَّة" أنَّ على رأس النَّتائج الملموسة لتلك العمليَّة منْح الاحتلال مبرِّرًا قويًّا لشنِّ حربه على القطاع، وتهجير سكَّانه إلى مصر[٢٥٨]، كما يُشاع منذ الأيام الأولى لعمليَّة السُّيوف الحديديَّة، أو حرب القيامة، الانتقاميَّة. وبما أنَّ شبه جزيرة سيناء كانت من المستعمرات الإسرائيليَّة، الَّتي اضطرَّ الاحتلال إلى التَّخلِّي عنها، بموجب اتِّفاقيَّات كامب ديفيد لعام ١٩٧٨م، فليس من المنتظر أن تكون سيناء الوطن المستقبلي الدَّائم لأهالي غزَّة. فبموجب عقيدة أرض إسرائيل، وهي إحدى عقائد الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة، ليس من الممكن التَّخلِّي عن جزءٍ من أرض إسرائيل، الَّتي تشكِّل كيانًا موحَّدًا مع الشَّعب اليهودي، الَّذي يجب سيطرته على أرضه كاملة، وإن اضطرَّ مؤقَّتًا للتَّخلِّي عنها استجابة لضغوط سياسيَّة مرحليَّة:

> أرض إسرائيل هي وحدة واحدة، كيان عضوي كامل مشبَّع بإرادته وقداسته. وهذا الكيان مرتبط ومتَّحد مع الشَّعب اليهودي بأكمله –في الحاضر والماضي والمستقبل–بحيث يكون الشَّعب والأرض في وحدة كاملة. ولذلك، لا يحقُّ لأحد أن يتنازل عن أي جزءٍ من الأرض؛ لأنَّها لا تنتمي إلى فئة دون أخرى[٢٥٩].

[٢٥٨] خبير عسكري مصري يعلق على فكرة "تهجير أهالي غزة" إلى سيناء، ١٠ أكتوبر ٢٠٢٣م.

[259] Kook, Z. J. B. A. I. (1991). *Torat Eretz Yisrael: The Teachings of HaRav Tzvi Yehuda HaCohen Kook*. Torat Eretz Yisrael Publications.

ويقدِّم محمَّد حسين مِرجان، الباحث في قسم الدِّراسات السِّياسيَّة بجامعة مرمرة التُّركيَّة، رؤيته عن النَّتائج المباشرة لعمليَّة طوفان الأقصى، في دراسة تحت عنوان "عمليَّة طوفان الأقصى: شرخ في تاريخ المقاومة الفلسطينيَّة وتداعياته"[٢٦٠]. ويرى مِرجان أنَّ عمليَّة طوفان الأقصى أدَّت إلى انقسام نفسي ومعرفي في الصِّراع الفلسطيني الإسرائيلي وسياسات الشَّرق الأوسط، حيث شكلت العملية تحوُّلًا نموذجيًّا في فلسفة المقاومة، معتبرًا أنَّ في نجاح حركة حماس في اختراق دولة الاحتلال برًّا وبحرًا وجوًّا ما يؤكِّد تغيُّر استراتيجيَّة المقاومة، واكتسابها قدرات غير مسبوقة على زعزعة استقرار الاحتلال، ومشيرًا إلى أنَّ تداعيات تلك العمليَّة ستغيِّر التَّوازن السِّياسي في المنطقة العربيَّة[٢٦١].

في رأي مِرجان، نجحت حركة حماس في خداع الاحتلال باتِّباع العديد من الاستراتيجيَّات، بفضل تقدُّمها الملحوظ في مجال الاستخبارات السيبرانيَّة؛ وفي ذلك ما أدَّى إلى عجْز القبَّة الحديديَّة عن التَّصدِّي لهجوم حماس. ويرى الباحث أنَّ انتهاج الاحتلال سياسة قمعيَّة غير مسبوقة تجاه المقاومة الفلسطينيَّة في قطاع غزَّة يرجع إلى حالة الصَّدمة النَّفسيَّة الَّتي لحقت به، بعد تكبُّده خسائر لم يعتد عليها من قبل:

> وبعد أن تكبَّدت إسرائيل خسائر بشريَّة وماديَّة كبيرة لأوَّل مرَّة في مواجهة المقاومة الفلسطينيَّة، بدأت تظهر مستوى من العدوان لا يُقارن بما كانت عليه في

[260] Mercan, M. H. (2023). Operation al-Aqsa Flood: A rupture in the history of the Palestinian resistance and Its implications. *Insight Turkey 2023, 25*(4), pp.79-90.
[261] Ibid: Abstract.

الماضي، وذلك بسبب الدَّمار النَّفسي الَّذي لحق بها. والواقع أنَّ سياسة العدوان غير المسبوقة الَّتي انتهجها صنَّاع القرار الإسرائيليون ضد غزة، والَّذين شعروا بالخوف من الهزيمة للمرَّة الأولى، تنبع من اللاعقلانيَّة الَّتي تسبَّب فيها هذا الخوف. كما أنَّ الدَّمار النَّفسي الَّذي واجهته إسرائيل بعمليَّة حماس كان بمثابة مكسب نفسي للمقاومة الفلسطينيَّة[٢٦٢].

ونجحت عمليَّة طوفان الأقصى، في رأي مِرجان، في إعادة الثِّقة لدى حركات المقاومة المسلَّحة في إمكانيَّة الانتصار على الاحتلال الإسرائيلي، الَّذي طالما نجح في السَّابق في كسْر شوكة المقاومة؛ ولذلك، فمن المتوقَّع أن تثمر العمليَّة عن إرث جديد من المقاومة خلال السَّنوات المقبلة. ويُلاحظ أنَّ خطاب ساسة الاحتلال الإسرائيلي، وعلى رأسهم بنيامين نتنياهو، قد اكتسب طابعًا دينيًّا متنافرًا مع الخطاب العلماني السَّابق؛ وهو ما يعني أنَّ العمليَّة أثمرت عن تحوُّل الاحتلال إلى السِّياسة اللَّاهوتيَّة[٢٦٣].

فقد أشار نتنياهو، في خطاب ألقاه في ٢٥ أكتوبر ٢٠٢٣م، إلى نبوءة إشعياء في العهد القديم[٢٦٤]، عن مستقبل دولة بني إسرائيل الواعد، مستعيرًا عبارتي "أبناء النُّور" و "أبناء الظَّلام" من إحدى مخطوطات

---

[262] Ibid: P.82.

[263] Ibid: P.85.

[٢٦٤] "هكَذَا يَقُولُ اللهُ الرَّبُّ، خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَنَاشِرُهَا، بَاسِطُ الأَرْضِ وَنَتَائِجِهَا، مُعْطِي الشَّعْبِ عَلَيْهَا نَسَمَةً، وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا رُوحًا. أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ، فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلأُمَمِ. لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ، لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ، مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ" (سفر إشعياء: إصحاح ٤٢، آيات ٥-٧).

البحـر الميِّـت[٢٦٥]، فـي الإشـارة إلـى اليهـود وخصـومهم الموعـودين بـالهلاك بعد ظهور المخلِّص:

TRT عربي

نبوءة إشعياء... حلم يهودي يسعى نتنياهو لتحقيقه

تسبَّبت تصريحات لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في استياء مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي، في حديثه أعرب نتنياهو عن رغبته في تحقيق "نبوءة إشعياء"، والَّتي تتحدث عن رؤية النَّبي اليهودي إشعياء بشأن بني إسرائيل.

بنيامين نتنياهو، وصف الفلسطينيين بأنَّهم "أبناء الظلام"، بينما وصف الإسرائيليين بأنَّهم "أبناء النور". وأكَّد أنَّه سيحقق نبوءة إشعياء وسيجلب المجد لشعبه وسينتصر في الحرب.

ووجَّه نتنياهو رسالته إلى الإسرائيليين قائلًا: "سنحقِّق نبوءة إشعياء، لن تسمعوا بعد الآن عن الخراب في أرضكم، سنكون سببًا في تكريم شعبكم، سنقاتل معًا وسنحقِّق النصر"[٢٦٦].

ويضيف مِرجان أنَّ لجوء ساسة الاحتلال الإسرائيلي إلى الخطاب الدِّيني يؤكِّد سعي الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة إلى تحقيق أهدافها، حيث كشف هؤلاء عن تأثير النُّبوءات الكتابيَّة في توجيه السِّياسات الإسرائيليَّة. ومن المتوقَّع خلال الفترة

[٢٦٥] سفر قانون الحرب (ق١م).
[٢٦٦] نبوءة إشعياء... حلم يهودي يسعى نتنياهو لتحقيقه، موقع TRT عربي، ٢٩ أكتوبر ٢٠٢٣م.

المقبلة أن تتسارع وتيرة صعود الخطاب الدِّيني في السِّياسة العالميَّة. بوجه عام، تعتبر عمليَّة طوفان الأقصى نقطة مفصليَّة في تاريخ الصِّراع الفلسطيني الإسرائيلي، بما أحدثته من تدمير للأسطورة الأمنيَّة لدولة الاحتلال. ويوجز الباحث رأيه في طوفان الأقصى بقوله:

> بفضل عمليَّة طوفان الأقصى، بدأت عمليَّة يمكنها إحداث تغيير جذري في سياسة الشَّرق الأوسط. وسوف تؤثِّر السِّياسات الفلسطينيَّة والإسرائيليَّة الَّتي تنتهجها الأطراف العالميَّة والإقليميَّة بشكل خطير على التَّوازن السِّياسي في المنطقة. وعلاوة على ذلك، فإنَّ هذه العمليَّة، الَّتي تستخدم فيها الإشارات الدِّينية أكثر من الماضي، تعني أنَّ المناهج الأخرويَّة (eschatological approaches) للدِّيانات الإبراهيميَّة سوف تحظى بمكانة أكثر أهميَّة في المعادلة السِّياسيَّة المستقبليَّة في الشَّرق الأوسط[٢٦٧].

في تقييمه لعمليَّة طوفان الأقصى، يرى مؤرِّخ الحركات السِّرِّيَّة وخبير العقائد الباطنيَّة النَّابه، الدُّكتور بهاء الأمير، أنَّها جاءت ردًّا على الحصار الخانق الَّذي يفرضه الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزَّة منذ عقود طويلة[٢٦٨]. يرفض الأمير الرَّأي القائل إنَّ إطلاق طوفان الأقصى جاء لتبرير شنِّ الاحتلال حرب إبادة لتطويع المنطقة العربيَّة بكاملها لسُلطانه، موضحًا أن المخطَّط الصُّهيوني

---

[267] Mercan: Ibid, P.89.

[٢٦٨] بهاء الأمير: "طوفان الأقصى"، موقع أرشيف، ٢٠٢٣م.

في المنطقة يجري تنفيذه بدافع من العقائد والنُّبوءات الكتابيَّة، دون الحاجة إلى مبرِّر:

> مواجهة سيناريو اليهود والمرحلة التَّالية من مخطَّطهم لتمديد الدَّولة البني إسرائيليَّة لا يكون بالتَّسليم لهم ومنْحهم ما يريدون طواعيةً، بذريعة أنَّ مقاومتهم وإنزال الخسائر بهم تُقدِّم لهم ذرائع شنِّ الحروب وتحقيق ما يريدون؛ لأنَّ ما يريدونه راسخ في عقيدتهم واستراتيجيَّهم، ولن يتغيَّر، وسوف يسعون إلى تحقيقه بكلِّ الوسائل، وسواءً واجهوا مقاومة وأو لم يواجهوا[٢٦٩].

ولا يمانع الأمير وجود تنسيق وتعاوُن بين حركات المقاومة السُّنِّيَّة في غزَّة وإيران ووكلائها من الحركات الشِّيعيَّة، مثل حزب الله اللُّبناني، وجماعة الحوثيين اليمنيَّة، والحشد الشَّعبي العراقي، خاصَّةً في ظلِّ الموقف العربي المتخاذل، في رأيه، تجاه الحرب على غزَّة. فمع اكتفاء الدول العربيَّة بإصدار بيانات التأييد للمقاومة في غزَّة والتَّنديد بانتهاكات الاحتلال في حق أهالي القطاع، لا حرجَ على حركات المقاومة في الاستعانة بإيران ووكلائها، طالما أنَّ ذلك يخدم مصلحة التَّصدِّي للاحتلال.

تداعيات سلبيَّة لعمليَّة طوفان الأقصى

يتطرَّق نبيل نجم الدِّين، الباحث المتخصِّص في العلاقات الدُّوليَّة، إلى التَّداعيات الإقليميَّة والدُّوليَّة لعمليَّة طوفان الأقصى، الَّتي يرى أنَّها ستغيِّر

[٢٦٩] المصدر السَّابق: ص١٤.

المعادلة السِّياسيَّة في المنطقة العربيَّة لعقود قادمة[٢٧٠]. يستهلُّ الباحث طرْحه بالإشارة إلى أنَّ عمليَّة طوفان الأقصى هي الأولى من نوعها لتُحدث تغييرًا فارقًا في معادلة القوَّة في الصِّراع العربي الإسرائيلي، منذ حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣م، أو حرب يوم الغفران كما يطلق عليها اليهود، معتبرًا أنَّها مناورة استراتيجيَّة غير مسبوقة استطاعت خداع الاحتلال، وأخذته على حين غرَّة في يوم السَّبت، وهو يوم العبادة الأسبوعي:

> إنَّ عمليَّة "طوفان الأقصى" الَّتي شنَّتها حماس ضدَّ إسرائيل ستغيِّر مسارات سياسات المنطقة برمَّتها لعقود قادمة، كما أنَّ جراح إسرائيل الَّتي سببَّتها العمليَّة لن تلتئم بسرعة أو بسهولة، لعدَّة أسباب أهمُّها: شعور الإهانة القوميَّة الَّذي خلقته عمليَّة "طوفان الأقصى،" وعدد الجنود والمدنيين الإسرائيليين الَّذين قُتلوا وجُرحوا، وعدد الإسرائيليين وغير الإسرائيليين الَّذين أخذتهم حماس كرهائن وأسرى، وضرب إسرائيل بصواريخ حماس التي وصلت تل أبيب ومطار بن غوريون[٢٧١].

ويضيف نجم الدِّين أنَّ عمليَّة طوفان الأقصى أحدثت انقسامات واسعة في المشهد السِّياسي الدُّولي، بخروج مظاهرات حاشدة تؤيِّد الفلسطينيين وتندِّد بالانتهاكات الإسرائيليَّة في حقِّ أهل قطاع غزَّة؛ وهو ما أفضى إلى ارتفاع

---

[٢٧٠] نبيل نجم الدِّين: طوفان الأقصى وتداعيات إسرائيليَّة وإقليميَّة ودوليَّة، آفاق استراتيجيَّة، العدد ٨، ديسمبر ٢٠٢٣م، صـ٢٧-٣٢.

[٢٧١] المصدر السَّابق: ص٢٨.

معدَّلات معاداة دولة الاحتلال، وفي ذلك ما يؤثِّر على شرعيَّتها الدُّوليَّة. وفي مقابل ما اكتسبته حركة حماس من حفاوة وتأييد على المستويين الدَّاخلي والخارجي، فقد أدَّت العمليَّة إلى تفاقُم عزلة السُّلطة الفلسطينيَّة، المنتمية إلى منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، في رام الله، بعد أن صارت حماس رمزًا للمقاومة.

مع ذلك، يعترف الباحث بوجود تداعيات سلبيَّة للعمليَّة، وعلى رأسها الاضطراب الاقتصادي، مشيرًا إلى تحذير البنك الدولي في الثلاثين من أكتوبر ٢٠٢٣م من حدوث صدمة اقتصادية عالمية، قد تفضي إلى ارتفاع كبير في أسعار النَّفط، وفي أسعار الموادِّ الغذائيَّة؛ وهو ما قد يفضي إلى حدوث مجاعة عالميَّة[٢٧٢]. غير أنَّ الخطر في رأي نجم الدِّين هو اتِّساع رقعة الحرب في المنطقة العربيَّة، وهو ما حذَّر منه وزير الخارجيَّة الأمريكي، أنتوني بلينكن، في الأسابيع الأولى لعمليَّة حرب القيامة الانتقاميَّة، مشيرًا إلى أنَّ إيران ووكلاءها الإقليميين هم مصدر التَّهديد:

> نحن قلقون بشأن احتمال تصعيد وكلاء إيران لهجماتهم ضدَّ أفرادنا وشعبنا...نتخذ كل الإجراءات للتَّأكُّد من أنَّنا قادرون على الدِّفاع عنهم، وإذا لزم الأمر، سيكون الرَّدُّ بشكل حاسم، وهو ليس على الإطلاق ما نبحث عنه، وليس على الإطلاق ما نريده، لكنَّنا سنكون مستعدين إذا كان هذا هو ما اختاروا القيام به[٢٧٣].

---

[٢٧٢] المصدر السَّابق: صـ٢٩-٣٠.

[٢٧٣] حوار أنتوني بلينكن مع شبكة CBS News الأمريكيَّة، ٢٩ أكتوبر ٢٠٢٣م.

أمَّا عن سبيل حلِّ الصِّراع الدَّامي الدَّائر في المنطقة العربيَّة، بين الاحتلال الإسرائيلي ومحيطها العربي، فهو تفعيل حلِّ الدَّولتين، وتأسيس دولة فلسطينيَّة على حدود ٥ يونيو ١٩٦٧م، كما يرى نجم الدِّين. غير أنَّ هذا الحلَّ مرفوض من قِبل ساسة دولة الاحتلال، كما أبان بنيامين نتنياهو[٢٧٤]، موضحًا استحالة الأمر، حفاظًا على أمن حدود دولة الاحتلال. ويوضح الباحث رأيه في سبيل إنهاء الصِّراع العربي الإسرائيلي في ختام دراسته، بقوله:

> في ضوء ما سبق، فإنَّ المخرج الحقيقي الوحيد للوضع القابل للانفجار في المنطقة هو من خلال تطبيق حل سياسي جذري يعترف بحقوق الشَّعب الفلسطيني، وأهمها حقه في إقامة دولته المستقلَّة وعاصمتها القدس الشَّرقيَّة على الأراضي الفلسطينيَّة الَّتي احتلَّتها إسرائيل في حرب الخامس من يونيو من عام ١٩٦٧، كما أن التَّسوية الشَّاملة هي وحدها القادرة على نزْع الورقة الفلسطينيَّة من أيدي إيران وحلفائها، وحلُّ الدَّولتين هو السَّبيل الوحيد نحو الاعتدال الفلسطيني والاعتراف بحق إسرائيل في الوجود، ويمكن لواشنطن أن تحوِّل هذه الحرب المأساة إلى فرصة سلام، كما حدث بعد حرب ١٩٧٣[٢٧٥].

---

[٢٧٤] بنيامين نتنياهو: مكان تحت الشَّمس، ترجمة محمَّد عودة الدُّويري، دار الجليل للنَّشر، طبعة ٣، عمَّان، الأردن، ٢٠١٥م، ص٤٣٠.

[٢٧٥] نبيل نجم الدِّين: المصدر السَّابق، ص٣١.

صورة ٣,٦-جانب من دمار قطاع غزَّة بفعل عمليَّة حرب القيامة للاحتلال الإسرائيلي

ويتَّفق الدُّكتور وليد عبد الحيّ، خبير الدِّارسات المستقبليَّة والاستشرافيَّة وأستاذ العلوم السِّياسيَّة في جامعة اليرموك الأردنيَّة، مع نبيل نجم الدِّين في وجود تداعيات سلبيَّة كبيرة لعمليَّة طوفان الأقصى، دون تجاهُل للنتائج الإيجابيَّة للعمليَّة. يشير عبد الحيّ إلى تدمير الاحتلال الإسرائيلي لمئات الآلاف من المساكن، والمراكز التُّجاريَّة، والمشافي، والمؤسَّسات الحكوميَّة، علاوة على تخريب مساحات كبيرة من الأراضي الزِّراعيَّة؛ وهذا يتطلَّب عشرات المليارات لإعادة إعمار القطاع:

> الهمُّ المباشر والضَّروري سيكون في إعادة الحياة في قطاع غزَّة إلى طبيعتها الَّتي كانت سائدة على أقلِّ تقدير قبل العدوان، وهو ما سيواجه قدرًا من العراقيل متعلِّقة بتوفير الأموال والموادِّ لترميم ومعالجة كل ما ذكرناه، وطبقا لتقديرات أوَّليَّة خلال الشَّهرين الأوَّلين للمعركة فإنَّ المبلغ المطلوب سيتجاوز الخمسين مليار دولار، ولا شكَّ أنَّ استمرار المعركة سيرفع

المبلغ لرقم أعلى، وللحصول على هذا المبلغ سيتطلَّب الأمر مؤتمرات دوليَّة لجمعه[٢٧٦]...

يضع الدُّكتور وليد عبد الحيّ يده على مسألة في غاية الحساسيَّة، وهي تحدِّي جمْع الأموال اللَّازمة لإعادة إعمار قطاع غزَّة، خاصَّةً مع استمرار العدوان الغاشم للاحتلال الإسرائيلي على القطاع لما يزيد على العام، وإلى أجل غير مسمَّى، بزعم العمل على تقويض حركات المقاومة المسلَّحة بالكامل، وهو ما قد يأخذ سنوات. وإلى جانب الأزمة الإنسانيَّة الطَّاحنة الَّتي يعاني منها أهالي القطاع المنكوب، فهناك معضلة أخرى يثيرها الباحث سامي العريان، وهو احتماليَّة تطوُّر الصِّراع في القطاع ودخوله مرحلة جديدة، بتحوُّله إلى حرب إقليميَّة شاملة[٢٧٧].

وقد مرَّ الصِّراع العربي الإسرائيلي بعدَّة مراحل: المرحلة الأولى كانت منذ هجرة اليهود إلى أرض فلسطين التَّاريخيَّة وبدء استيطانها، وحتَّى تأسيس دولة الاحتلال رسميًّا في ١٥ مايو ١٩٤٨م، وقد تخلَّل تلك المرحلة العديد من النِّزاعات المسلَّحة، انتهاءً بحرب فلسطين، الَّتي اندلعت في اليوم التَّالي لإعلان دولة الاحتلال، وأفضت إلى هزيمة الجيوش العربيَّة. أمَّا المرحلة الثَّانية، فهي منذ تأسيس الدولة وحتَّى هزيمة الجيوش العربيَّة مجدَّدًا في حرب الأيَّام السِّتَّة في يونيو ١٩٦٧م، وهي المرحلة الَّتي شهدت تصاعُد الرَّفض العربي لدولة الاحتلال، والدَّعوة إلى اجتثاثها من جذورها.

---

[٢٧٦] وليد عبد الحيّ: سيناريوهات ما بعد طوفان الأقصى، مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات ببيروت، يناير ٢٠٢٤م، ص١١.

[277] Sami Al-Arian (2024). Palestine and the Arab regional order: What changed after operation Al-Aqsa Flood? *Turkey Insight 2024, 26*(8), pp.21-34.

في حين بدأت المرحلة الثَّالثة في الصِّراع العربي الإسرائيلي منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧م وحتَّى حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وقد شهدت تلك المرحلة قبولًا للوجود الإسرائيلي في المنطقة العربيَّة، شريطة انسحابه من الأراضي العربيَّة الَّتي احتلَّها خلال حرب الأيَّام السِّتَّة، وذلك بعد اختفاء الشَّعارات الَّتي أطلقتها الحركة القوميَّة العربيَّة، والَّتي نادت باستخدام القوَّة في سبيل استعادة الأراضي المحتَّلة. وقد دُشِّنت المرحلة في الصِّراع مع استمرار مفاوضات السَّلام مع الاحتلال، وأفضت إلى إبرام معاهدات التَّطبيع، بدءًا باتِّفاقيَّات كامب ديفيد مع مصر عام ١٩٧٨م، ومرورًا باتِّفاقيَّة أوسلو مع السُّلطة الفلسطينيَّة عام ١٩٩٣م واتِّفاقيَّة وادي عربة مع الأردن عام ١٩٩٤م، ووصولًا إلى اتِّفاقيَّات أبراهام مع الإمارات والبحرين والمغرب والسُّودان عام ٢٠٢٠م.

وبعد أيَّام قليلة من تصريح وليِّ العهد السَّعودي، الأمير محمَّد بن سلمان[٢٧٨]، باستعداد بلاده للانضمام إلى اتِّفاقيَّات أبراهام، شريطة تأسيس دولة فلسطينيَّة مستقلَّة على حدود ٥ يونيو ١٩٦٧م، تنفيذًا لبنود المبادرة العربيَّة لعام ٢٠٠٢م، جاءت عمليَّة طوفان الأقصى وعمليَّة حرب القيامة للرَّدِّ عليها لتعرقلا مساعي الولايات المتَّحدة لإدماج دولة الاحتلال في المنطقة العربيَّة، وفق رأي سامي العناني. أرادت إدارة الرَّئيس جو بايدن إتمام صفقة تطبيع السَّعوديَّة مع دولة الاحتلال قبل الانتخابات الأمريكيَّة في نوفمبر ٢٠٢٤م، وهو ما تعذَّر تحقيقه. والأسوأ من ذلك أنَّ استمرار الحرب على غزَّة تنذر بدخول الصِّراع العربي

[278] Fox News (2023, September 20). Bret Baier interviews Saudi Prince: Israel peace, 9/11 ties, Iran nuke fears: 'Cannot see another Hiroshima'

الإسرائيلي إلى مرحلة خامسة قد تشهد حربًا عالميَّة واسعة النِّطاق، وليس مجرَّد حرب إقليميَّة:

> وأخيرا، وفي ضوء التَّغيُّرات الإستراتيجيَّة الَّتي تجري على السَّاحة العالميَّة نتيجة لعملية طوفان الأقصى والحرب الإسرائيليَّة على غزَّة الَّتي تلتها، فإنَّ الصِّراع يدخل مرحلته الخامسة، والَّتي لا تتسم بأنَّها صراع إقليمي، بل بحركة عالميَّة جديدة تجتاح العالم. في جوهر الأمر، أصبحت فلسطين المفتاح والرَّمز والبوصلة لنضال عالمي، من شأنه أن يدفع العديد من القوى الاجتماعيَّة نحو تعزيز التَّغيير الإيجابي، في عالم لا يتَّسم بالحروب المدمِّرة والإبادة الجماعيَّة والتطهير العرقي والفصل العنصري والاحتلال، بل بالحقيقة والحريَّة والعدالة والمساواة في الحقوق وقوة الشَّعب والإنسانيَّة[٢٧٩].

[279] Al-Arian: Ibid, p.33.

الفصل الرَّابع

تداعيات دخول وكلاء إيران الإقليميين على خطِّ المواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي

يحذِّر الباحث سامي العريان من احتماليَّة تطوُّر حالة التَّصعيد الَّتي تشهدها المنطقة العربيَّة، منذ إطلاق حركة حماس عمليَّة طوفان الأقصى في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م، بدخول الصِّراع العربي الإسرائيلي إلى المرحلة الخامسة، المتوقَّع أن تفضي إلى اشتعال حرب عالميَّة ذات تداعيات كارثيَّة على كافَّة أهل الأرض، وليس مجرَّد حرب إقليميَّة تقتصر ويلاتها على العرب[٢٨٠]. ولا شكَّ في أنَّ مشاركة أذرع إيران في المنطقة العربيَّة، من الميليشيات الشِّيعيَّة المسلَّحة، وعلى رأسها حزب الله اللُّبناني وجماعة أنصار الله، أو الحوثيين، اليمنيَّة والحشد الشَّعبي العراقي، كان له تأثيره الجليّ في تأجيج الصِّراع، باستفزاز الاحتلال الإسرائيلي بهجمات أضرَّت بمصالحه، وتبرِّر له توسيع نطاق العدوان، بفتح جبهات جديدة، يأتي جنوب لبنان في مقدِّمتها[٢٨١].

---

[280] Sami Al-Arian (2024). Palestine and the Arab regional order: What changed after operation Al-Aqsa Flood? *Turkey Insight 2024, 26*(8), p33.

[٢٨١] الجيش الإسرائيلي يطلب إخلاء مناطق بجنوب لبنان وأنباء عن بدء توغُّل برّي، موقع الجزيرة نت، ٣٠ سبتمبر ٢٠٢٤م.

بادَر حزب الله اللُّبناني بإصدار بيان لتأييد عمليَّة طوفان الأقصى، نشرته قناة المنار المتحدِّثة باسمه، جاء فيه:

هذه العمليَّة المظفَّرة هي ردٌّ حاسم على جرائم الاحتلال المتمادية والتَّعدِّي المتواصل على المقدَّسات والأعراض والكرامات وتأكيد جديد على أنَّ إرادة الشَّعب الفلسطيني وبندقيَّة المقاومة هي الخيار الوحيد في مواجهة العدوان والاحتلال ورسالة إلى العالم العربي والإسلامي والمجتمع الدُّولي بأسره، وخاصة أولئك السَّاعين إلى التَّطبيع مع هذا العدوِّ، أنَّ قضية فلسطين قضيَّة حيَّة لا تموت حتَّى النَّصر والتَّحرير...

قيادة المقاومة الإسلاميَّة في لبنان تواكب التَّطوُّرات الهامَّة على السَّاحة الفلسطينيَّة عن كثب وتتابع الأوضاع الميدانية باهتمام بالغ وهي على اتصال مباشر مع قيادة المقاومة الفلسطينيَّة في الدَّاخل والخارج وتجري معها تقييمًا متواصلًا للأحداث وسير العمليات؛ ولذا ندعو حكومة العدو الصُّهيوني إلى قراءة العبر والدُّروس الهامَّة الَّتي كرَّستها المقاومة الفلسطينيَّة في الميدان وساحات المواجهة والقتال[٢٨٢].

[٢٨٢] حزب الله يعقّب على عمليَّة "طوفان الأقصى" لحماس في إسرائيل، سي إن إن بالعربيَّة، ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م.

لم يتأخَّر حزب الله عن التَّضامن مع حركات المقاومة الفلسطينيَّة في قطاع غزَّة، بشنِّ هجمات صاروخيَّة على المناطق الحدوديَّة مع الاحتلال الإسرائيلي[٢٨٣]. وبعد قرابة شهر من بداية الأحداث، خرج الأمين العام للحزب حينها، حسن نصر الله، الَّذي اغتاله الاحتلال الإسرائيلي في ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٤م في غارة على مقرِّ القيادة المركزيَّة للحزب في الضَّاحية الجنوبيَّة لبيروت بقرابة ٨٠ قنبلة[٢٨٤]، تنصَّل فيه من وجود مسؤوليَّة للحزب عن عمليَّة طوفان الأقصى، مشيرًا إلى أنَّ كافَّة الخيارات ممكنة، إذا ما اقتضت الحاجة دخول الحزب في صراع مباشر مع الاحتلال:

البيت الأبيض وإسرائيل تابعا خطاب حسن نصر الله عن كثب

بينما كان الآلاف من أنصار حزب الله في بيروت يعلقون على كل كلمة يقولها زعيم الحزب حسن نصر الله، كان الخطاب يحظى بمتابعة دقيقة في إسرائيل والولايات المتَّحدة.

وبعد إراقة الدماء خلال الشهر الماضي، بات الشَّرق الأوسط الآن قابلا للاشتعال، وهناك مخاوف من اندلاع حرب إقليميَّة أوسع نطاقا.

وفي بيانه المدروس بعناية، قال زعيم حزب الله إنَّ مثل هذه الحرب محتملة، وحذر من أنَّ "العدوَّ يجب أن يضع ذلك في

[٢٨٣] اشتباكات حزب الله وإسرائيل (٢٠٢٣-الآن): موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.
[٢٨٤] تقرير: هكذا خطَّطت ونفَّذت إسرائيل اغتيال نصر الله، موقع سكاي نيوز عربيَّة، ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٣م.

الاعتبار". وقال إنَّ الوضع قد يتصاعد عسكريًّا "في أي وقت"، اعتمادًا على التَّطوُّرات في غزَّة، والتَّوجُّه الإسرائيلي تجاه لبنان. ويبدو من الواضح أنَّ حزب الله سيواصل هجماته عبر الحدود ليجذب أكبر عدد ممكن من القوات الإسرائيليَّة، لكنَّه في الوقت الحالي سيترك القتال داخل غزَّة لحماس[٢٨٥].

هذا، وبعد ١١ شهرًا من المناوشات الحدوديَّة بين الاحتلال الإسرائيلي وحزب الله اللُّبناني، شهد شهر سبتمبر ٢٠٢٤م تطوُّر الصِّراع إلى مرحلة غير مسبوقة من التَّصعيد، بعد واقعة تفجير أجهزة نداء، أو أجهزة بيجر، مفخَّخة تايوانيَّة الصُّنع كان الحزب قد استوردها من الخارج[٢٨٦]؛ وهو ما أدَّى إلى وقوع انفجارات في أماكن مختلفة في لبنان، بعد انفجار أجهزة النِّداء في أيدي عناصر حزب الله، جرَّاء زرْع جهاز الاستخبارات التَّابع للاحتلال الإسرائيلي، الموساد، موادَّ متفجِّرة في ٥ آلاف جهاز كان الحزب قد اقتناها قبل أشهر، وهي تُستخدم في التَّواصل بين عناصر الحزب، تفاديًا للاختراقات الأمنيَّة التي يجريها الاحتلال الإسرائيلي[٢٨٧]. وقد أعلن جيش الاحتلال، مطلع أكتوبر ٢٠٢٤م، استعداده لشنِّ عمليَّة اجتياح برِّيٍّ في جنوب لبنان ادَّعى أنَّها

[٢٨٥] البيت الأبيض وإسرائيل تابعا خطاب حسن نصر الله عن كثب، بي بي سي نيوز عربي، ٣ نوفمبر ٢٠٢٣م.

[٢٨٦] انفجارات أجهزة النِّداء في لبنان: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

[٢٨٧] حزب الله يتعهَّد بمواصلة هجماته على إسرائيل بعد تفجيرات البيجر، موقع سكاي نيوز عربيَّة، ١٨ سبتمبر ٢٠٢٤م.

ستكون محدودة، بينما يرى مراقبون أنَّها ستكون واسعة النِّطاق للاستحواذ على أراضٍ عربيَّة جديدة، بما يخدم مخطَّط دولة الاحتلال الكبرى[٢٨٨].

صورة ٤,١ –تفجيرات البيجر في لبنان

تبيان لحقيقة حزب الله بعد "سقوط القناع" عنه

في محاولة لكشْف حقيقة حزب الله اللُّبناني، بعيدًا عن شعاراته الرَّنَّانة المعادية للاحتلال الإسرائيلي والمتوعِّدة بمحوه من الوجود في خضمِّ انخراطه في سفْك دماء الأبرياء من أهل السُّنَّة في سوريا، منذ مساندته نظام الأسد الطَّائفي في قمْع المعارضين ودحْر الثَّورة الشَّعبيَّة في مايو ٢٠١١م[٢٨٩]، يرصد أحمد فهمي، الباحث بمركز الدِّراسات والأبحاث التَّابع لمجلَّة البيان الإسلاميَّة، حقيقة الحزب الموالي لإيران[٢٩٠]. يذكِّر فهمي بالتَّاريخ الدَّموي للحزب المسلَّح، وبمشاركته في تنفيذ المخطَّط الإيراني التَّوسُّعي في المنطقة العربيَّة، وكذلك باعتناقه الفكر

[٢٨٨] اجتياح لبنان عمليَّة بريَّة غير محدودة وأطماع جديدة لنتنياهو، موقع الجزيرة نت، ١ أكتوبر ٢٠٢٤م.
[٢٨٩] تدخُّل حزب الله في الحرب الأهليَّة السُّوريَّة: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.
[٢٩٠] أحمد فهمي: حزب الله...وسقط القناع، مجلَّة البيان الإسلاميَّة، طبعة ١، المملكة المتَّحدة، ٢٠٠٧م.

السِّياسي الشِّيعي لنظام ملالي الرَّافضة في إيران، الَّتي يُعتبر الحزب نموذجًا مصغَّرًا منها، حيث يرى فهمي أنَّ حزب الله أُسِّس ليكون "إيران الصُّغرى"[٢٩١].

يستهلُّ فهمي حديثه بالإشارة إلى اعتناق حزب الله عقيدة ولاية الفقيه، الَّتي طوَّرها روح الله الخميني، معلنًا نفسه نائبًا عامًّا عن الإمام الثَّاني عشر الغائب الَّذي يؤمن به الرَّوافض، وهو محمَّد بن الحسن العسكري. بموجب تلك العقيدة، يحقُّ للوليِّ الفقيه ممارسة سلطة مُطلقة على النَّاس، وقد عبَّر حسن نصر الله بإيمانه المُطلق بتلك العقيدة، في كلمة ألقاها ليلة ٩ محرَّم ١٤٢٤هـ، جاء فيها:

> الرُّوايات الشِّيعيَّة تقول بأنَّ المهدي وُلد، وهو حيٌّ يرزق وهو غائب...هو موجود في المدن وفي القرى وفي بلاد المسلمين وفي موسم الحجّ وفي موقف عرفة ويتحمَّل الكثير من المسؤوليَّات[٢٩٢].

واعتبر نصر الله الوليَّ الفقيه وليَّ أمر المسلمين في زمن غيبة الإمام المهدي، وهو في رأيه يتمتَّع بعصمة الأنبياء، وطاعته واجبة، تمامًا مثل طاعة أهل البيت[٢٩٣]. ومن المفارقات أنَّ الخميني عند خروجه بنظريَّة ولاية الفقيه، الَّتي ادَّعى أنَّها ممتدَّة حتَّى ظهور الإمام المهدي بين يدي السَّاعة، لم يجد تأييدًا واسعًا من ملالي الرَّافضة في قُم، حيث عارضوا فكرة الولاية المُطلقة لنائب

---

[٢٩١] المصدر السَّابق: ص٩.
[٢٩٢] محمَّد حسين بزّي: هكذا تكلَّم نصر الله، جزء١، دار الأمير للثَّقافة والعلوم، ٢٠٠٤م، ص١٧٠.
[٢٩٣] مسعود أسد اللهي: الاسلاميون في مجتمع تعددي: حزب الله في لبنان نموذجا، الدَّار العربيَّة للعلوم، ٢٠٠٤م، ص٢١.

المهدي، كما حصروا سلطاته في الإفتاء والقضاء[٢٩٤]. وقد أفاد صبحي الطُّفيلي، المرجع الشِّيعي اللبناني وأحد مؤسّسي حزب الله، في حوار له في برنامج "زيارة خاصَّة" على قناة الجزيرة القطريَّة، بأن ولاية الفقيه نظريَّة "لا أساس فقهي لها من القرآن ولا من غيره"، متسائلًا "فكيف يمكن أن تسمّيه اجتهادًا[٢٩٥]"؛ ويرى مواطنه المرجع الشِّيعي محمَّد حسين فضل الله أنَّه "لا توجد أدلَّة علميَّة فقهيَّة على الولاية العامَّة للفقيه[٢٩٦]". ومع ذلك، تمسَّك حسن نصر الله بعقيدة ولاية الفقيه، معلنًا ولاءه غير المشروط للمرشد الأعلى للثَّورة الإيرانيَّة، عليّ خامنئي:

> سيبقى وليّ الأمر آية الله الخامنئي قائدنا وإمامنا وقدوتنا في الجهاد والصَّبر والعزيمة...وسيبقى هذا العصر، عصر انتصار المستضعفين على المستكبرين، عصر الخميني الكبير، ولو كره الكافرون والطَّواغيت[٢٩٧].

ومن الواضح أنَّ حزب الله اللُّبناني أُسِّس من أجل توجيه المشهد السِّياسي في لبنان لما يخدم مصالح نظام ملالي الرَّافضة في إيران، تسهيلًا لإخضاع البلاد لسُلطة الوليّ الفقيه. وقد تطلَّب ذلك نشْر فكر الثَّورة الخمينيَّة في لبنان، وتبرير العمل المسلَّح لإحداث التَّغيير، سعيًا إلى تصدير الثَّورة الخمينيَّة إلى كافَّة أنحاء العالم الإسلامي، بزعم العمل على تحرير فلسطين من الاحتلال

---

[٢٩٤] محمَّد عبد المحسن: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ المؤامرة الصَّفويَّة-الصُّهيونيَّة لإخضاع العالم الإسلامي جزء ٣، دار أنهار للنَّشر، بيروت، لبنان، ٢٠٢٢م، صـ١١٩-١٢٠.

[٢٩٥] أحمد فهمي: المصدر السَّابق، ص٢٩.

[٢٩٦] المصدر السَّابق: ص٢٩.

[٢٩٧] محمَّد حسين بزّي: هكذا تكلَّم نصر الله، جزء١، دار الأمير للثَّقافة والعلوم، ٢٠٠٤م، صـ٦٩-٧٠.

الصُّهيوني. غير أنَّ دفاع حزب الله عن القضيَّة الفلسطينيَّة كان لخدمة أهداف سياسيَّة، تمامًا مثل توظيف إيران القضيَّة لخدمة مصالحها، دون لعْب دور فعَّال لنُصرة فلسطين[٢٩٨]. وتأكيدًا على أنَّ نُصرة حزب الله لفلسطين دعائيَّة أكثر منها حقيقيَّة، يقول الباحث أحمد فهمي:

> ويقع كثيرون في لَبْسٍ عندما يعتقدون أنَّ مقاومة حزب الله تخفِّف الضَّغط على المقاومة الفلسطينيَّة، والعكس هو الصَّحيح، حزب الله استغلَّ انتفاضة الأقصى لتخفيف الضَّغط على الجنوب اللبناني، وأعطى إسرائيل الأمان تمامًا على الجبهة اللبنانيَّة بحيث تفرَّغت بالكامل لمواجهة فصائل المقاومة الفلسطينيَّة، وكانت أسخن أعوام الانتفاضة هي أكثرها هدوءً على الجنوب اللبناني، بل إنَّ الحزب كان وقتها يُشرف على مشروع مياه نهر الوزاني وهو مشروع مكلف ويحتاج إلى جبهة هادئة لتنفيذه والحفاظ عليه[٢٩٩].

برغم التَّعاون غير المشروط الَّذي قدَّمه حزب الله لنظام الأسد العلوي، منذ مايو ٢٠١١م في قمْع ثورة الشَّعب السُّوري والتَّنكيل بمعارضي النِّظام، فإنَّ العلاقات بين الطَّرفين لم تكن وديَّة، على الأقل أيَّام حُكم حافظ الأسد (١٩٧١-٢٠٠٠م)، بل اتَّسمت بالعداء والنِّدِّيَّة عند تأسيس الحزب عام ١٩٨٢م؛ حيث خشي نظام الأسد حينها من تهديد حزب الله لنفوذه في لبنان. أراد نظام الأسد بقاء لبنان دولة طائفيَّة متعدِّدة الانتماءات الدِّينيَّة، وهو ما أزعج حزب الله،

---

[٢٩٨] أحمد فهمي: المصدر السَّابق، ص١٣١.
[٢٩٩] المصدر السَّابق: ص١٣٤.

الَّذي أراد تطبيق نظام إسلامي. غير أنَّ الحال تبدَّل بوصول بشَّار الأسد إلى الحُكم خلفًا لأبيه. وعن التَّواطؤ بين حزب الله ونظام الأسد، يمكن القول:

> باختصار، يعمل حزب الله الشِّيعي وفق استراتيجيَّة مُحكمة تستهدف تفريغ الدُّولة من الدَّاخل، وتعمل تلك الاستراتيجيَّة على محورين؛ الأوَّل هو إشاعة الفوضى، من خلال اللَّعب على الوتر الهش للتَّوازن الطَّائفي في لبنان؛ والثَّاني، هو توريط لبنان في صراعات مسلَّحة مع إسرائيل، بهدف سحْب أحقيَّة اتّخاذ القرار العسكري من الدُّولة. وبرغم التَّنافس بين حزب الله والنِّظام السُّوري على السَّيطرة على آليَّات الحُكم والإدارة العامَّة، لا يمانع الحزب المسلَّح التَّعاون مع نظام الأسد، إذا كان في ذلك مصلحة للحزب، وبخاصَّة لتعطيل أعمال الحكومات اللبنانيَّة الَّتي يترأَّسها سياسي سُنّي[٣٠٠].

أعلن نظام ملالي الرَّافضة، فور تأسيسه في فبراير ١٩٧٩م، أنَّ لديه مخطَّطًا لتكوين دولة إسلاميَّة موسَّعة تضمُّ كافَّة البلدان المسلمة، وأصبح حزب الله عند تأسيسه عام ١٩٨٢م، من قِبل كوادر من المعمَّمين الشِّيعة الموالين لإيران، أحد أذرع المشروع الصَّفوي لإخضاع دولة المنطقة العربيَّة للنُّفوذ الإيراني. ولن ننسى أنَّ مبادئ الثَّورة الخمينيَّة تتضمَّن تأسيس دولة شيعيَّة عالميَّة يقودها ملالي الرَّافضة في قمّ، أم القرى وفق عقيدة الرَّوافض، والتَّعاون بين الأقليَّات الشِّيعيَّة في نشْر عقيدة الرَّوافض، بالإضافة إلى تصدير الثَّورة الخمينيَّة إلى

[٣٠٠] محمَّد عبد المحسن: المصدر السَّابق، ص١٤٨.

سائر دول المنطقة العربيَّة، وكذلك نشْر التَّشيُّع السِّياسي، بتطبيق سياسات تخدم مصالح إيران. ولعلَّ فيما فعله حزب الله، بتدخُّله في سوريا لصالح نظام الأسد العلوي الطَّائفي، ومن نشْر لعقيدة الرَّوافض في المناطق الَّتي تم تهجير سكَّانها من أهل السُّنَّة[٣٠١]، خير نموذج لتطبيق مبادئ الثَّورة الخمينيَّة.

وقد تولَّى حزب الله مهمَّة تحويل لبنان إلى "إيران الصُّغرى[٣٠٢]"، وساعد على ذلك "قدرته على النّيابة عن إيران في أغلب المهام، في مختلف المجالات: العسكري والسِّياسي والأمني والثَّقافي[٣٠٣]". ومن أهمِّ استراتيجيَّات نشْر التَّشيُّع الطَّعن في عقيدة أهل السُّنَّة، والزَّعم بأنَّ عقيدة الرَّوافض، الموالين لأهل بيت النُّبوَّة، هي العقيدة السَّليمة، ومن منشوراتهم الَّتي تروِّج لذلك قولهم "نحن الشِّيعة أتباع المذهب الصَّحيح، سنصّحح لهذه الأمَّة عقولها وسنجعلها باهية مرضية"[٣٠٤]. وأفاد نصر الله، في حوار له مع برنامج "لقاء خاص"، على قناة الجزيرة الفضائيَّة في ٨ مايو ٢٠٠٣م، بقوله:

> البعض يريدنا أن نكون موجودين في لبنان وفلسطين وفي العراق وفي أفغانستان وفي الشّيشان...هذا الأمر فوق الطَّاقة، الله سبحانه وتعالى لا يكلّف نفسًا إلَّا وسعها، لكن نحن موقفنا نقول يجب دعْم أيّ شعب مظلوم ونُصرة أيّ شعب مظلوم[٣٠٥].

---

[٣٠١] حزب الله ينشر التَّشيُّع في الغوطة عقب تهجير المعارضة، موقع الخليج الجديد، ٢٨ أغسطس ٢٠١٨م.
[٣٠٢] أحمد فهمي: المصدر السَّابق، ص٣٣٧.
[٣٠٣] المصدر السَّابق: ص٣٤٢.
[٣٠٤] صحيفة السّياسة الكويتيَّة، ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٦م.
[٣٠٥] المصدر السَّابق: صـ٣٤٦-٣٤٧.

قراءة موضوعيَّة لـ "التَّاريخ الأسود" لحزب الله اللُّبناني

لا يمكن للعاقل أن يصدِّق أنَّ الغلاة في أهل البيت، والطَّاعنين في شرف أمهات المؤمنين، ولاعني الصَّحابة الكرام (رضوان الله عليهم)، من الممكن أن يكونوا عونًا وسندًا لقضايا الأمَّة الإسلاميَّة، خاصَّة قضيَّة الاحتلال الصُّهيوني للأرض المقدَّسة وتدنيسهم للمسجد الأقصى المبارك؛ ولا يمكن كذلك للفاطن أن ينخدع بالشِّعارات الجوفاء لأذرع المشروع الصُّفوي في المنطقة العربيَّة، كما يرى الدُّكتور سيِّد حسين العفَّاني، في مؤلَّفه للكشف عن التَّاريخ الأسود لحزب الله اللُّبناني[٣٠٦]. انكشفت حقيقة الدَّولة الإسلاميَّة الَّتي زعم الهالك روح الله الخميني تأسيسها، وتبيَّن أنَّها مجرَّد دولة طائفيَّة هدفها تحريف أهل الإسلاميَّة عن عقيدتهم السَّليمة باتِّباع عقيدة الرَّوافض المستقاة من تعاليم اليهود.

يكشف العفَّاني عن ملابسات تأسيس حزب الله اللُّبناني، الَّذي خرج من رحم حركة أمل الشِّيعيَّة، وسُمِّي في البداية "حركة أمل الإسلاميَّة"، ولكن لتفادي السُّمعة البغيضة المرتبطة بحركة أمل بجرائمها الوحشيَّة، تغيَّر الاسم إلى حزب الله، الَّذي كان تأسيسه الرَّسمي عام ١٩٨٥م، بعد ٣ سنوات من وضْع نواته. لن ننسى أنَّ مؤسِّس حركة أمل هو المعمَّم الشِّيعي اللُّبناني إيراني الأصل وتلميذ الخميني، موسى الصَّدر، وطالما كانت عونًا للنِّظام السُّوري العلوي في لبنان ضدَّ أهل السُّنَّة، ولعلَّ من أشهر جرائم الحركة مهاجمة المخيَّمات الفلسطينيَّة في لبنان عام ١٩٨٥م. ويبدو أنَّ إيران أرادت تحسين صورة الميليشيات الشِّيعيَّة في لبنان، بتأسيس حزب الله بكوادر شيعيَّة جديدة لم تتورَّط

[٣٠٦] سيِّد حسين العفَّاني: حزب الله الرَّافضي...تاريخ أسود وافتراءات، دار العفَّاني، طبعة ١، مصر، ٢٠٠٧م.

في أعمال عنف، وعلى رأس هؤلاء محمَّد حسين فضل الله، الملقَّب بـ "خميني لبنان"، وصبحي الطُّفيلي، وعباس الموسوي، ونعيم قاسم، وحسن نصر الله[٣٠٧]. ولم يخفِ حزب الله موالاته لإيران، واتِّباعه لعقيدة الوليّ الفقيه، في بيانه التَّأسيسي، الَّذي جاء فيه:

> إنَّنا أبناء أمَّة حزب الله التي نصر الله طليعتها في إيران، وأسّست من جديد نواة دولة الإسلام المركزيَّة في العالم... نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة عادلة تتمثَّل بالوليّ الفقيه الجامع للشَّرائط، وتتجسَّد حاضراً بالإمام المسدّد آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني دام ظلَّه مفجّر ثورة المسلمين وباعث نهضتهم المجيدة[٣٠٨]...

ويرى العفَّاني أنَّ حزب الله لم يُؤسَّس لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي للبنان، كما زعَم مؤسّسوه، إنَّما لتنفيذ أهداف الثَّورة الخمينيَّة؛ أي ليكون ذراعًا لإيران مهمَّته نشْر عقيدة الرَّوافض، وخدمة المشروع الإيراني في المنطقة العربيَّة لتأسيس منطقة الهلال الخصيب، المطابقة لدولة إسرائيل الكبرى في حدودها الجغرافيَّة[٣٠٩]. ويسعى الحزب، في رأي العفَّاني، إلى جرّ لبنان إلى حرب تسهّل له السَّيطرة على البلاد، وإخضاعها بالكامل للمشروع الإيراني الخبيث. في مقابل زعْم قادة حزب الله سعيهم لمحو دولة الاحتلال الإسرائيلي من الوجود، اعترف الأمين

---

[٣٠٧] المصدر السَّابق: ص١٥.
[٣٠٨] البيان التَّأسيسي لحزب الله اللُّبناني.
[٣٠٩] سيّد حسين العفَّاني: المصدر السَّابق، ص٥٣.

العـام الأسـبق للحـزب وأحـد مؤسِّسـيه والمنشـقّ عـن الحـزب، صـبحي الطُّفيلـي، بـأنَّ "حـزب الله حـارس لحـدود إسـرائيل[٣١٠]". فـي حـين صـرَّح ضابط سابق في جهاز الاستخبارات التَّابع للاحتلال، الموساد، بقوله:

> إنَّ العلاقة بين إسرائيل والسُّكَّان اللُّبنانيين الشِّيعة غير مشروطة بوجود المنطقة الأمنيَّة؛ ولذلك قامت إسرائيل برعاية العناصر الشِّيعيَّة، وخلقت معهم نوعًا من التَّفاهم للقضاء على الوجود الفلسطيني، والَّذي هو امتداد للدَّعم الدَّاخلي لحركتي حماس والجهاد[٣١١].

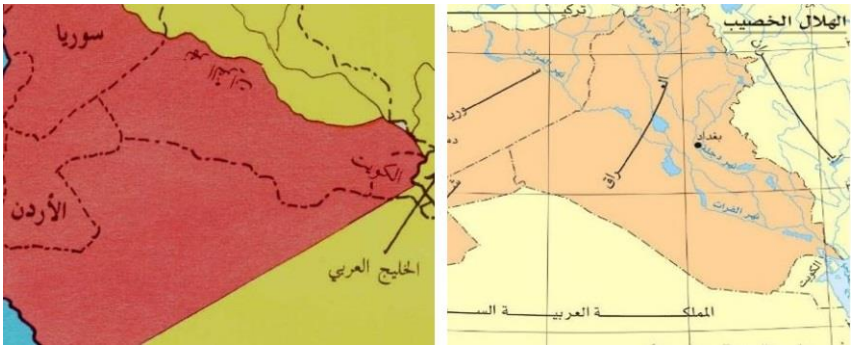

صورة ٤,٢–خارطتا الهلال الخصيب وإسرائيل الكبرى: ما الفرق بينهما؟!

ويتَّفق ذلك مع ما يثيره عبد الله الغريب عن تواطؤ حركة أمل، الَّتي انبثق عنها حزب الله، مع دولة الاحتلال في حماية حدوده الشَّماليَّة من تهديد المقاومة الفلسطينيَّة، حيث يشير إلى أنَّ حركة أمل عُهد إليها بمنع تسلُّل عناصر المقاومة عبر الحدود اللُّبنانيَّة مع الاحتلال، وإحباط أي عمليَّات للمقاومة

[٣١٠] صحيفة الشَّرق الأوسط، ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٣م.
[٣١١] صحيفة معاريف العبريَّة، ٨ سبتمبر ١٩٩٧م.

تستهدف المستوطنات الشَّماليَّة للاحتلال[٣١٢]. وقد صرَّح صبحي الطُّفيلي بأنَّ ما يثبت أنَّ حزب الله طالما كان حاميًا لحدود دولة الاحتلال استحالة قيام عناصر للمقاومة الفلسطينيَّة بأيِّ عمليَّة ضدَّ الاحتلال عبر الحدود، موضحًا أنَّ "كثيرين ذهبوا إلى هناك، والآن هم في السُّجون[٣١٣]". ويمكن إيجاز طبيعة العلاقة بين الاحتلال وحزب الله كما يلي:

من جهتها، فإنَّ إسرائيل لم تكن تسعى إلى القضاء على حزب الله وتدميره ليس لقدراته وقوته، ولكن لأنَّه حزب منضبط على الرَّغم من الإزعاج الذي يسببه في بعض الأحيان، إلا إنَّ زوال حزب الله من جنوب لبنان كفيل بصعود مقاومة سنية بديلة وهو أمر لا تقبله إسرائيل بتاتًا، فالمشروع الشيعي، وإن كان مزعجًا للمشروع الصُّهيوني الأمريكي، إلا إنَّه يبقي مشروعًا منضبطًا لا يرفض التَّعاون والتَّفاوض، بل قد يبادر إلى التَّعاون، مثلما حدث من إيران في أفغانستان والعراق، ومثلما حدث من حزب الله قديمًا عندما عمل على إحباط هجمات المقاومة من جنوب لبنان.

أما المشروع السُّنِّي للمقاومة، فهو مشروع مزعج ولا يقبل التفاوض أو المساومة والوقائع على ذلك كثيرة بدءً من طالبان في أفغانستان، وانتهاءً بالمقاومة الفلسطينيَّة، ومرورًا بالمقاومة

[٣١٢] عبد الله محمَّد الغريب: وجاء دور المجوس ٢: "أمل" والمخيَّمات الفلسطينيَّة، مكتبة الرِّضوان، طبعة ١، مصر، ص٨٣.
[٣١٣] صبحي الطُّفيلي في لقاء مع قناة new TV أواخر عام ٢٠٠٣م.

العراقيَّة، فعلى الرَّغم من المحاولات الأمريكية الكثيرة لفتح بابًا للتفاوض مع المشروع السُّنِّي إلا إنَّ دومًا كان يقوم المشروع السُّنِّي بإغلاق هذا الباب، لذلك فإن المشروع الشِّيعي وإن كان مزعجًا بعض الشيء يبقي أفضل من المشروع السُّنِّي[٣١٤].

ويوضح العفَّاني أنَّ حزب الله يلجأ إلى ممارسة التَّقيَّة في معاملته أهل السُّنَّة في العالم الإسلامي، بما يُطلقه من شعارات رنَّانة ضدَّ الاحتلال الإسرائيلي، مادًّا يد العون لحركات المقاومة الفلسطينيَّة السُّنِّيَّة، وعلى رأسها حماس والجهاد الإسلامي. غير أنَّ الحزب الشِّيعي لا يحمل بداخله سوى المشاعر الطَّائفيَّة المعادية لأهل السُّنَّة؛ لأنَّ ولاءه أوَّلًا وأخيرًا لنظام ملالي الرَّافضة، صاحب المشروع التَّدميري تجاه الدُّول الإسلاميَّة الَّتي تعتنق المذهب السُّنِّي[٣١٥]. ولعلَّ في انتهاكات حزب الله في حقِّ السُّنِّيين من مواطني لبنان خير مثال، ففي مقابل حريَّة الشِّيعة والمنتمين إلى سائر الفرق الضَّالة المنبثقة عن عقيدة الرَّافضة في نشْر عقائدهم، يعاني أهل السُّنَّة من القمع والتَّقييد والاتِّهام بالإرهاب. ويوجز العفَّاني رأيه في ممارسات حزب الله في لبنان بقوله:

هذا هو حزب الله الشِّيعي يقوم بالاستيلاء على مساجد السُّنَّة في لبنان، وللأسف فإنَّ كثيرًا من المغفَّلين من أبناء جلدتنا فرحوا بانتصارات حزب الله المزعومة، واعتبروه فتحًا عظيمًا للإسلام والمسلمين، وما علم هؤلاء المساكين أنَّ هذا الحزب يخدم

[٣١٤] وليد نور: الوعد الصَّادق ينتهي بوهمٍ كاذب... ماذا بعد يا نصر الله؟، المركز الإعلامي الفلسطيني، ٢٤ أغسطس ٢٠٠٦م.
[٣١٥] سيِّد حسين العفَّاني: المصدر السَّابق، ص٧٨.

مخطَّطات إيران الرَّافضيَّة في بلاد المسلمين، وما حزب الله في لبنان إلَّا بوَّابة إيران إلى البلدان العربيَّة، ومن يموِّل حزب الله غير قيادتهم في إيران؟[٣١٦].

عدوان الميليشيات الطَّائفيَّة على المخيَّمات الفلسطينيَّة في لبنان

بعد هزيمة الجيوش العربيَّة في حرب الأيَّام السِّتَّة في يونيو/حزيران ١٩٦٧م، شجَّعت دول المواجهة المنهزمة أمام جيش الاحتلال أعمال المقاومة، الَّتي كانت "الورقة الوحيدة الَّتي يستطيعون استخدامها والمتاجرة بها أمام شعوبهم[٣١٧]". وبالفعل، أُسِّست العديد من حركات المقاومة، الَّتي نشطت في عدد من العواصم العربيَّة، بعيدًا عن الأراضي المحتلَّة، ومن بين تلك الحركات جبهة التَّحرير العربيَّة، والجبهة الشَّعبيَّة لتحرير فلسطين، وكانت ذات توجُّه شيوعي يحمل الفكر النَّاصري.

صورة ٤,٣ –قوَّات فلسطينيَّة على مشارف العاصمة الأردنيَّة، عمَّان، خلال أحداث أيلول الأسود

[٣١٦] المصدر السَّابق: ص٨٢.

[٣١٧] عبد الله محمَّد الغريب: وجاء دور المجوس ٢: "أمل" والمخيَّمات الفلسطينيَّة، مكتبة الرِّضوان، طبعة ١، مصر، ص٣٩.

قويت شوكة حركات المقاومة، وفي مقدِّمتها منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، الَّتي اتَّخذت من العاصمة الأردنيَّة، عمَّان، مقرًّا لها، حتَّى بدأت تطالب بإسقاط الحُكم المَلَكي في الأردن، ومارست العديد من الأعمال الاستفزازيَّة؛ حتَّى دخلت في سبتمبر/أيلول من عام ١٩٧٠م في صراع مع الجيش الأردني، فيما عُرف بأحداث أيلول الأسود[٣١٨]. ومن المفارقات أنَّ قادة حركات المقاومة فرُّوا، تاركين سكَّان المخيَّمات الفلسطينيَّة من اللَّاجئين العزَّل لمصيرهم:

> وفي معارك أيلول، ظهرت بطولات الجيش الأردني، فارتكب أبشع المجازر في مخيَّمات عمَّان وجرش وإربد، وقد اضطرَّ بعض الفلسطينيين إلى الفرار من الأردن إلى الضَّفَّة الغربيَّة، هربًا من بطْش الجيش الأردني. وأسفرت هذه المعارك عن قتْل أعداد كبيرة من الجانبين، تجاوزت عدد الَّذين قُتلوا في حرب ١٩٦٧م، وامتلأت سجون الأردن بالشَّباب والأحرار[٣١٩].

وبعد أحداث أيلول الأسود، اضطرَّ الآلاف من اللَّاجئين الفلسطينيين إلى الهروب إلى لبنان، واستقرَّ بعضهم في مخيَّم تل الزَّعتر، الَّذي أُسِّس شمال شرقي العاصمة اللُّبنانيَّة، بيروت، عام ١٩٤٩م، في أعقاب تهجير الفلسطينيين من أرضهم على يد جيش الاحتلال الإسرائيلي عند تأسيس دولة الاحتلال. وبتكرار قادة حركات المقاومة الفلسطينيَّة أعمالهم الاستفزازيَّة، الَّتي سبق وأن مارسوها في الأردن، في لبنان، بدأت تحدث مناوشات بين الجيش اللُّبناني وعناصر المقاومة الفلسطينيَّة، ومنها المناوشات الدَّامية بين القوَّات اللبنانيَّة

[٣١٨] أيلول الأسود: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.
[٣١٩] عبد الله محمَّد الغريب: المصدر السَّابق، ص٤٠.

المسيحيَّة المارونيَّة والقوَّات الفلسطينيَّة، الَّتي أسفرت عن مجزرة تل الزَّعتر، بعد عثور القوَّات اللبنانيَّة على ٤ جثامين لأعضاء من حزب الكتائب المارونيَّة[٣٢٠].

فرضت القوَّات اللبنانيَّة المسيحيَّة المارونيَّة حصارًا على مخيَّم تل الزَّعتر في يناير ١٩٧٦م، ثمَّ شنَّت هجومًا ضاريًا على المخيَّم، الَّذي كان يضمُّ ٢٠ ألف فلسطيني و١٥ ألف لبناني مسلم لجأوا إلى المخيَّم بسبب قسوة الظُّروف المعيشيَّة إبَّان الحرب الأهليَّة اللُّبنانيَّة (١٩٧٥-١٩٩٠م). وأسقطت القوَّات اللبنانيَّة المسيحيَّة المارونيَّة، بالتَّعاون مع الجيش السُّوري العلوي، الَّذي تدخَّل لصالحها بإرسال ٣٠ ألف جندي إلى لبنان لنُصرتها، وبالتَّنسيق مع جيش الاحتلال الإسرائيلي[٣٢١]، ٣ آلاف قتيلًا من اللَّاجئين الفلسطينيين، خلال المجزرة الَّتي استمرَّت ٥٢ يومًا، وانتهت في ١٤ أغسطس ١٩٧٦م، بسقوك مخيَّم تل الزَّعتر، بعد لاقى سكَّانه أشدَّ ألوان التَّنكيل.

صورة ٤,٤-دمار مخيَّم تل الزَّعتر للفلسطينيين عام ١٩٧٦م

[٣٢٠] مجزرة تل الزَّعتر: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.
[٣٢١] عبد الله محمَّد الغريب: المصدر السَّابق، ص٤٢.

وبدءًا من مايو ١٩٨٥م، تعرَّضت المخيَّمات الفلسطينيَّة في لبنان لحرب جديدة، استمرَّت لأكثر من ٣ سنوات، حيث تشكَّلت جبهة من قوَّات الجيش اللُّبناني، بالتعاون مع قوَّات من الجيش السُّوري وميليشيات أمل الشِّيعيَّة، عصفت بمخيَّمات اللَّاجئين الفلسطينيين في بيروت وجنوب لبنان؛ بهدف منْع منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، بقيادة ياسر عرفات، من تأسيس دويلة فلسطينيَّة في منطقة جبل عامل، جنوبي لبنان[٣٢٢]. انتهت الحرب، المعروفة باسم حرب المخيَّمات، في يوليو ١٩٨٨م، بعد سقوط ٣٧٨١ قتيلًا، منهم قرابة ألفا فلسطيني، وقرابة ٧ آلاف جريح. ومن الممارسات القمعيَّة الَّتي ارتكبتها حركة أمل أن منعت وسائل الإعلام من تغطية مجازرها في حقِّ اللَّاجئين الفلسطينيين، وهو ما كشفت عنه صحيفة صنداي تايمز البريطانيَّة:

> إنَّ من المستحيل نقْل أخبار المجازر بدقَّة؛ لأنَّ حركة أمل تمنع المصوِّرين من دخول المخيَّمات، وبعضهم تلقُّوا التَّهديد بالموت طعنًا بالسِّكِّين. وقال الصَّحفي أيضًا: إنَّه في العادة يجري نشْر أخبار المجازر بشكل واسع في الصَّحافة الدُّوليَّة، ولكنَّ الخوف والتَّهديدات وصلت إلى حدِّ أنَّ المصادر أصبحت تفتقر إلى أخبار المجازر، وقد جرى سحْب العديد من المراسلين خوفًا عليهم من الاختطاف والقتل، ومن بقي منهم في لبنان يجدون صعوبة وخطورة في العمل[٣٢٣].

[٣٢٢] حرب المخيَّمات: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.
[٣٢٣] صحيفة صنداي تايمز، ٣ يونيو ١٩٨٥م.

السفير
١٢ صفحة
٤٠٠ قرش
مذابح في المخيمات
بيروت تحت الاحتلال
أنباء عن سقوط ١٤٠٠ قتيل في مخيمي صبرا وشاتيلا
الغزاة اقتحموا المنازل والمستشفيات وأبادوا من فيها من جرحى ونساء وأطفال ورجال
حملات المداهمة والاعتقال مستمرة ... واقتحام المصارف ومراكز الأحزاب الوطنية

صورة ٤,٥ –لمحة عن مذابح مخيَّمات الفلسطينيين في لبنان –الصَّفحة الأولى لصحيفة السَّفير اللُّبنانية، ١٩سبتمبر ١٩٨٧م

بعدما سبق نقْله عن التَّاريخ المشين لحزب الله اللُّبناني وحركة أمل الشِّيعيَّة الَّتي انبثق عنها في حقِّ القضيَّة الفلسطينيَّة، وتبيان تواطؤهما على الفلسطينيين لصالح الاحتلال الإسرائيلي، لم يعد من الممكن قبول فكرة أنَّ الميليشيات الشِّيعيَّة يمكنها تقديم الدَّعم لحركات المقاومة السُّنِّيَّة، ولو انخدع بشعاراتها الزَّائفة بعض العامَّة من الغافلين عن حقيقتها وطبيعة انتماءاتها. على ذلك؛ لا يمكن تفسير تعقيب حزب الله على عمليَّة طوفان الأقصى، بشنِّ هجمات حدوديَّة على الاحتلال الإسرائيلي، بأنَّه مناصرة للمقاومة الفلسطينيَّة، ومن المؤكِّد أنَّ الهدف الفعلي لذلك يصبُّ في خدمة الاحتلال، بمنحه المبرِّر لاجتياح لبنان.

الفصل الخامس

تجدُّد الاجتياح الإسرائيلي للبنان

هل تتكرَّر مأساة عام ١٩٨٢م؟

أشعل الصِّراع بين حركات المقاومة الفلسطينيَّة، وعلى رأسها منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، والأنظمة الحاكمة في الدُّول الَّتي منحتها حقَّ اللُّجوء وممارسة نشاطها العديد من المعارك، الَّتي استهدفت وضْع حدود لتجاوزات حركات المقاومة الفلسطينيَّة وطردها من دول اللُّجوء. خرجت منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة من الأردن على خلفيَّة أحداث أيلول الأسود عام ١٩٧٠م، ثمَّ من لبنان، الَّذي اتَّخذته مقرًّا لها لاحقا، بعد انتهاء الحرب الأهليَّة اللُّبنانيَّة عام ١٩٩٠م، الَّتي اتِّهمت المنظَّمة بالتَّورُّط فيها بسبب صراعها مع الميليشيات المسيحيَّة المارونيَّة، الَّذي أفضى إلى حدوث عدَّة معارك، من بينها مجزرة تلِّ الزَّعتر عام ١٩٧٦م[٣٢٤]، الَّتي راح ضحيَّتها آلاف اللَّاجئين الفلسطينيين.

مع استمرار منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة في استفزاز الاحتلال الإسرائيلي، بشنِّ هجماتها على المستوطنات الشَّماليَّة للاحتلال، قرَّرت

[٣٢٤] عبد الله محمَّد الغريب: وجاء دور المجوس ٢: "أمل" والمخيَّمات الفلسطينيَّة، مكتبة الرِّضوان، طبعة ١، مصر، ص٤٢.

قـوَّات الاحـتلال اجتيـاح جنـوب لبنـان منتصـف عـام ١٩٨٢م، وإن كـان الـدَّافع الأساسـي حينهـا الـرَّدُّ علـى محاولـة اغتيـال سـفيرها إلـى المملكـة المتحـدة، شـلومو أرجـوف علـى يـد منظَّمـة أبـو نضـال، المنشـقَّة عـن حركـة فـتح، الجنـاح المسـلَّح لمنظَّمـة التَّحريـر الفلسـطينيَّة[٣٢٥]. بـدأ الاحـتلال الإسـرائيلي اجتياحـه للبنـان فـي ٦ يونيـو ١٩٨٢م، وأطلـق علـى العمليَّـة عمليَّـة السَّـلام للجليلوعمليَّـة الصُّـنوبر. وبـرغم انتهـاء الحـرب فعليًّـا عـام ١٩٨٥مـن اسـتمرَّت القـوَّات الإسـرائيليَّة فـي احـتلال جنـوب لبنـان حتَّـى عـام ٢٠٠٠م، وزُعـم أنَّ المقاومـة اللُّبنانيَّـة، وفـي مقـدِّمتها عناصـر حـزب الله المـوالي لإيـران، هـي السَّـبب فـي ذلـك الانسـحاب[٣٢٦]. وفـي الـذِّكرى العشـرين للانسـحاب الإسـرائيلي مـن لبنـان، نشـرت صـحيفة هـآرتس العبريَّـة مقـالًا، أوضـحت فـي أنَّ مـن أسـباب الانسـحاب "صـعوبة إيجـاد منطقـة آمنـة فـي المنطقـة الجنوبيـة للإسـرائيليين، فضـلًا عـن القيـام بعمليـات 'عديمـة الفائـدة'، لافتـة إلـى أن هـذا الانسـحاب لا يـزال 'جرحًـا مفتوحًـا' في نفوس الإسرائيليين[٣٢٧]".

خلفيَّة تاريخيَّة عن أسباب حرب لبنان عام ١٩٨٢م

استقبل لبنان عشرات الآلاف من اللَّاجئين الفلسطينيين، في أعقاب تهجيرهم قسريًّا من قِبل المستوطنين اليهود، بعد تأسيس دولة الاحتلال الإسرائيلي رسميًّا

---

[325] Chomsky, N. (1999). *Fateful Triangle: The United States, Israel, and the Palestinians*. South End Press. P.196.

[٣٢٦] انسحاب إسرائيل من لبنان ٢٠٠٠: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

[٣٢٧] محمَّد اللَّبثي: "جرح غير آمن".. "هآرتس" تكشف أسباب انسحاب الاحتلال من لبنان عام ٢٠٠٠، موقع الوطن، ٢٩ أبريل ٢٠٢٠م.

عام ١٩٤٨م. وعاش هؤلاء اللَّاجئون في مخيَّمات أُسِّست جنوبي لبنان، وإن اندمج بعضهم في المجتمع اللُّبناني وصاروا جزءًا من نسيجه[٣٢٨]. وسَّعت حركات المقاومة الفلسطينيَّة نطاق عملها في جنوب لبنان، وسُمح لها بممارسة نشاطها الفدائي بحريَّة، خاصَّة بعد هزيمة الجيوش العربيَّة في حرب الأيَّام السِّتَّة عام ١٩٦٧م[٣٢٩]. وفي عام ١٩٦٨م، بدأت عناصر المقاومة الفلسطينيَّة في بناء قواعد عسكريَّة في منطقة العرقوب الحدوديَّة مع سوريا، ومنها شرعت في قصف مستوطنات الاحتلال الإسرائيلي[٣٣٠]. وبمرور الوقت، اكتسبت حركات المقاومة الفلسطينيَّة قوَّة ومنعة في لبنان، حتَّى باتت تطرد قوَّات الأمن اللُّبناني من مخيَّمات اللَّاجئين الفلسطينيين[٣٣١]، في خطوة أسفرت لاحقًا عن صراعات مسلَّحة دامية راح ضحيَّتها آلاف اللَّاجئين.

وجاء اتِّفاق القاهرة، الَّذي أُبرم مطلع نوفمبر ١٩٦٩م بين رئيس منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، ياسر عرفات، وقائد الجيش اللُّبناني، إميل البستاني، برعاية مصريَّة، لينظِّم الوجود الفلسطيني في لبنان. ونصَّ الاتِّفاق على منْح اللَّاجئين الفلسطينيين حقَّ العمل والإقامة والتَّنقُّل، والسَّماح لحركات المقاومة الفلسطينيَّة بالكفاح المسلَّح ضدَّ الاحتلال الإسرائيلي، مع تسهيل العمل الفدائي وتأمين القواعد العسكريَّة لحركات

[٣٢٨] حبيبة غيابة: الاجتياح الإسرائيلي للبنان (١٩٨٢-١٩٨٥)، رسالة ماجستير في التَّاريخ، جامعة محمَّد خيضر، بسكرة، الجزائر، ص١٤.

[٣٢٩] تيدور هانف: لبنان تعيش في زمن الحرب من انهيار دولة الى انبعاث أمة، تر: موريس صليبا، مركز الدراسات العربي الأوروبي، باريس، فرنسا، ١٩٩٣م، صـ٢٠٩-٢١٠.

[٣٣٠] فواز طرابلسي: تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتِّفاق الطائف، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ٢٠٠٨م، ص٢٦٤.

[٣٣١] تيدور هانف: المصدر السَّابق، ص٢١١.

المقاومة في منطقة العرقوب[٣٣٢]. ومن أبرز نتائج اتِّفاق القاهرة تكثيف حركات المقاومة الفلسطينيَّة الهجوم على الاحتلال الإسرائيلي، بعد أن اكتسبت حركات المقاومة مزيدًا من الحريَّة في العمل:

> وقد أدَّى اتِّفاق القاهرة إلى التَّصعيد المكثَّف في العمليَّات العسكريَّة ضدَّ إسرائيل، وبالتَّالي إلى زيادة الغارات الانتقاميَّة الإسرائيليَّة، وتحوَّل بذلك جنوب لبنان الى ساحة حرب، وتغيَّرت محاور القوَّة في لبنان حيث ظهرت منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، كقوَّة تحمي اللَّاجئين الفلسطينيين في لبنان، وقد شرَّع هذا الاتِّفاق حريَّة تصرُّف منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة داخل المخيمات وإدارتها، كما أعطى للفلسطينيين قدرة على شنِّ هجومات ضدَّ إسرائيل ولو بشكل بسيط[٣٣٣].

وكان الأردن هو الوجهة الثَّانية للَّاجئين الفلسطينيين، منذ عام ١٩٤٨م، المعروف بعام النَّكبة، وقد ازدادت وتيرة لجوء الفلسطينيين إلى الأردن بعد احتلال الضَّفَّة الغربيَّة عام ١٩٦٧م، وقوي نفوذ منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة هناك، وهو ما تعاملت مع السُّلطات الأردنيَّة بحذر شديد، وإن اضطرَّت أحيانًا لاستخدام القمع لكبح نفوذ المنظَّمة[٣٣٤]. عملت السُّلطات الأردنيَّة على نزْع سلاح المقاومة الفلسطينيَّة في بعض الأحيان، تفاديًا لمزيد من التَّصعيد مع

---

[٣٣٢] سامر عبد المنعم أبو رجيلة: العلاقات الفلسطينيَّة اللُّبنانيَّة وأثرها على الوجود الفلسطيني في لبنان (١٩٦٩-١٩٨٢)، مذكِّرة مقدَّمة لنيل درجة الماجستير في دراسات الشرق الأوسط، قسم التاريخ جامعة الأزهر بغزة، فلسطين، ٢٠٠٧، ص٤٧.

[٣٣٣] حبيبة غيابة: المصدر السَّابق، ص١٧.

[٣٣٤] يزيد صايغ: الأردن والفلسطينيون، رياض الريس للكتب والنشر، لبنان، ١٩٨٧م، ص٣٢.

الاحتلال الإسرائيلي، وإن تعاوَن الطَّرفان في مواجهة الاحتلال في معركة الكرامة[٣٣٥]، الَّتي وقعت في ٢١ مارس ١٩٦٨م.

وبلغ الصِّراع بين المقاومة الفلسطينيَّة والسُّلطات الأردنيَّة ذروته في سبتمبر ١٩٧٠م، فيما عُرف بأحداث أيلول الأسود، بعد تمادي منظَّمة التَّحرير في فرْض نفوذها داخل الأردن، لدرجة المطالبة بإسقاط الحُكم المَلَكي[٣٣٦]. وبدأت الأحداث بمهاجمة القوَّات الأردنيَّة المخيَّمات الفلسطينيَّة في عمَّان[٣٣٧]، وسقط خلال الصِّراع الدَّامي ما بين ٣٥٠٠ و٥٠٠٠ من الجنود والمدنيين وعناصر المقاومة، ولم يتوقَّف القتال إلَّا بعد انعقاد القمَّة العربيَّة في القاهرة، نهاية سبتمبر ١٩٧٠م، وتمَّ الاتِّفاق حينها على خروج عناصر المقاومة من المدن الأردنيَّة الكبيرة[٣٣٨]. وخرجت حركات المقاومة الفلسطينيَّة من الأردن في يوليو ١٩٧١م، متَّجهة إلى لبنان، لتبدأ مرحلة جديدة من الصِّراع، بعد معارضة القوى اللُّبنانيَّة الرَّافضة للوجود الفلسطيني تلك الخطوة[٣٣٩].

بحلول عام ١٩٧٥م، تصاعدت الأزمة في لبنان، لتندلع الحرب الأهليَّة، بعد انقسمت البلاد إلى فرقتين: فرقة مسيحيَّة تضمَّ حزب الكتائب اللُّبنانيَّة، والحزب الوطني اللِّيبرالي، والرُّهبان الموارنة؛ وفرقة مسلمة، كانت تضمُّ ميليشيات الحزب التَّقدُّمي الاشتراكي، بزعامة كمال جنبلاط، والمليشيات النَّاصريَّة السُّنِّيَّة،

---

[٣٣٥] عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، جزء ٧، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٩٤م، صـ٣٨١-٣٨٣.

[٣٣٦] أيلول الأسود: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

[٣٣٧] أحمد شاهين: "منظمة التحرير الفلسطينية من الوصاية إلى الاستقلال ١٩٦٤-١٩٧٤"، مجلة الشؤون الفلسطينية، العدد ١٤٢-١٤٣، ١٩٨٥م، ص٦٠-٦١.

[٣٣٨] سامر عبد المنعم أبو رجيلة: المصدر السَّابق، ص٥٤.

[٣٣٩] المصدر السَّابق: ص٥٦.

ومنظَّمات اليسار (الشُّيوعيين)، بالإضافة إلى حركات المقاومة الفلسطينيَّة[٣٤٠]، الَّتي أُلقي عليها القدر الأكبر من المسؤوليَّة عن الحرب الأهليَّة، الَّتي لم تنتهِ عام ١٩٩٠م إلَّا بعد اتِّخاذ قرار بخروج حركات المقاومة من لبنان. وعمل الجانب الإسرائيلي على دعْم الفرقة المسيحيَّة في الصِّراع؛ لضمان هزيمة حركات المقاومة، وانكسار شوكتها، وانشغالها عن استهداف المستوطنات الشَّماليَّة للاحتلال[٣٤١].

أطماع الاحتلال الإسرائيلي في لبنان من دوافع الاجتياح

أورد مؤسِّس الحركة الصُّهيونيَّة السِّياسيَّة الحديثة وأوَّل رئيس للمنظَّمة الصُّهيونيَّة، تيودور هرتزل، في روايته الطُّوباويَّة **الأرض الجديدة القديمة**[٣٤٢]، أنَّ الوطن الموعود لليهود لا بدَّ وأن يضمَّ مناطق غنيَّة بالمياه العذبة، كما أنَّ وطن اليهود لا بدَّ وأن يتوافق مع وعْد الرَّبِّ لأبراهام العبراني، بمُلك أبدي لذرِّيَّته على الأرض الممتدَّة ما بين نهري النِّيل والفرات[٣٤٣]، وبالطَّبع يدخل لبنان في حدود تلك الأرض. وقد طالبت المنظَّمة الصُّهيونيَّة، برئاسة حاييم وايزمان، الأب الثَّاني للصُّهيونيَّة بعد هلاك هرتزل، المجلس الأعلى لمؤتمر الصُّلح في باريس عام ١٩١٩م بضمان حقِّ سكَّان مناطق جنوب نهر اللِّيطاني، الواقع في لبنان، في مياه النَّهر، حيث قالت المنظَّمة في طلبها:

---

[٣٤٠] هنري لورنس: اللعبة الكبرى الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية، ترجمة محمد مخلوف، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، قبرص، ١٩٩٢م، ص٣٠٣.

[٣٤١] سامي منصور: مذبحة لبنان الكبرى حرب الاستنزاف العربية الجديدة، المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة، مصر، ١٩٨١م، صـ١٨٥-١٨٦.

[٣٤٢] الأرض الجديدة القديمة: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

[٣٤٣] "لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ" (سفر التَّكوين: إصحاح ١٥، آية ١٨).

يجب وضع ترتيبات دولية لحماية حقوق المياه للسُّكَّان الَّذين يعيشون إلى الجنوب من نهر اللِّيطاني، وإذا ما لقيت هذه المنابع عناية كافية فمن الممكن استخدامها لتنمية لبنان، وكذلك لتنمية فلسطين[٣٤٤].

صورة ٥,١–نهر اللِّيطاني في لبنان

ويتَّضح ممَّا سبق أن السَّيطرة على نهر اللِّيطاني، أهمِّ أنهار لبنان الَّذي تعتمد عليه الحياة الزِّراعيَّة هناك بشكل أساسي[٣٤٥]، من الأهداف الاستراتيجيَّة للاحتلال الإسرائيلي؛ لضمان تمتُّعه بمصادر دائمة للمياه العذبة. وقد اعتبر ديفيد بن غوريون، السِّياسي اليهودي البارز وأوَّل رئيس لحكومة الاحتلال، أنَّ متصرِّفيَّة جبل لبنان، في إشارة إلى المسمَّى الَّذي أطلقته الدَّولة العثمانيَّة على منطقة جبل لبنان الَّتي كانت منفصلة في الحُكم عن باقي أجزاء الشَّام وتحت

[٣٤٤] فادي أحمد أبو حسان: لبنان في دائرة المشروع الإستراتيجي الإسرائيلي، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، ٢٠٠٥، ص٤٩.

[٣٤٥] نهر الليطاني.. شريان حياة الزراعة في لبنان، موقع الجزيرة الوثائقيَّة، ٢٨ فبراير ٢٠٢٤م.

تصرُّف حاكم عثماني مسيحي[٣٤٦]، هي الحدود الشَّماليَّة لوطن اليهود[٣٤٧]. وقد أرسل بن غوريون إلى الخارجيَّة البريطانيَّة مذكِّرة يطالب فيها بأن تشمل حدود دولة الاحتلال مياه نهري الأردن واللِّيطاني:

> علينا أن نتذكر أنه من أجل قدرة الدولة اليهودية على البقاء... لا بدَّ أن نكون من جهة جيرانا للبنان المسيحي، ومن جهة اخرى يجب أن تكون أراضي النقب القاحلة وكذلك مياه الأردن والليطاني مشمولة داخل حدودنا[٣٤٨].

جدير بالذِّكر أن قوَّات الاحتلال الإسرائيلي احتلَّت أجزاءً من الأراضي اللُّبنانيَّة عام ١٩٤٨م، ودمَّرت بعض القرى اللُّبنانيَّة، لكنَّها اضطرَّت للانسحاب منها لاحقًا، بموجب اتِّفاق الهدنة المبرم في مارس ١٩٤٩م، برعاية الأمم المتَّحدة. وفي عام ١٩٦٧م، احتلَّت قوَّات الاحتلال الإسرائيلي مزارع شبعا اللُّبنانيَّة، بزعم أنَّها تمثِّل خطرًا على أمنها لاستغلال المقاومة لها في استهداف مستوطنات الاحتلال[٣٤٩].

ملابسات الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م

سبق عمليَّة الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م عمليَّة اجتياح أخرى وقعت في ١٥ مارس ١٩٧٨م، جاءت ردًّا على عمليَّة فدائيَّة للمقاومة الفلسطينيَّة في

---

[٣٤٦] متصرّفيَّة جبل لبنان: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

[٣٤٧] حبيبة غيابة: المصدر السَّابق، ص٢٨.

[٣٤٨] عدنان السيد حسين: التوسع في الإستراتيجية الإسرائيلية، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م، ص١٢٦.

[٣٤٩] سامية محمد جابر: قضايا العالم العربي، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م، صـ٢٢٢-٢٢٣.

١١ مارس من العام ذاته، عُرفت باسم عمليَّة كمال عدوان، سقط فيها ٣٥ من مستوطني الاحتلال، بعد اعتراض حافلتهم على الطَّريق العام شمالي تل أبيب[٣٥٠]. وجاء ردُّ الاحتلال باجتياح جنوب لبنان حتَّى ضفَّة نهر اللِّيطاني، واحتلَّ حوالي ١١٠٠ كم مربَّع[٣٥١]. إذا كان المبرِّر المُعلن للاحتلال هو إبعاد المقاومة المسلَّحة عن حدوده الشَّماليَّة، والقضاء على المقاومة بالكامل، فإنَّ الهدف غير المُعلن هو حيازة أراضي لبنان، لتصير جزءًا من دولة الاحتلال، عملًا بالنُّبوءة الكتابيَّة الَّتي توضح حدود دولة اليهود الموعودة لتكون بين نهري النِّيل والفرات. علاوة على ذلك، فإنَّ الرَّد الإسرائيلي كان سيحقِّق للاحتلال حُلم السَّيطرة على نهر اللِّيطاني، الَّذي يعتبره حيويًّا لتوفير مصدر دائم للمياه[٣٥٢].

بعد انتهاء المناوشات الحدوديَّة بين الاحتلال الإسرائيلي والمقاومة الفلسطينيَّة في جنوب لبنان عام ١٩٧٨م، استعادت المقاومة، وبخاصَّة منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، نفوذها في المنطقة الحدوديَّة. أصبح لبنان مطلع ثمانينات القرن العشرين ساحة لتنازُع النُّفوذ بين الفلسطينيين والسُّوريين والاحتلال الإسرائيلي، خاصَّة بعد التَّصعيد المتواصل، بشنِّ المقاومة هجمات مكثَّفة على مستوطنات الاحتلال، وهو ما استوجب رد الاحتلال بتكثف هجماته الانتقاميَّة. وشهد عام ١٩٨١م، العام السَّابق للاجتياح الإسرائيلي للبنان، تغييُّرات سياسيَّة هامَّة في المنطقة العربيَّة مهَّدت للاجتياح، كما توضح الباحثة حبيبة غيابة:

---

[٣٥٠] مرة سليم حبيب: "السيد أحمد حسين فضل الله حياته ومواقفه من القضية اللبنانية"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد ٤، العدد ٣، العراق، ص١٧٣.

[٣٥١] لينا حسن الصفا: الحماية الدبلوماسية والدولية ومسؤولية الدولة أثناء النزاعات المسلحة (نموذج النزاع المسلح في لبنان ١٩٧٥-١٩٩٠)، رشاد برس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م، ص١٣٥.

[٣٥٢] حبيبة غيابة: المصدر السَّابق، ص٣١.

لم تكن الأوضاع الإقليميَّة بمعزل عن الوضع في لبنان، حيث شهدت فترة ما قبل الاجتياح الإسرائيلي للعاصمة بيروت العديد من الأحداث، سواءً الدُّوليَّة أو الإقليميَّة. فعلى المستوى الدُّولي، عرفت بمجيء الرَّئيس الأمريكي رونالد ريغن، الَّذي قرَّر خوض صراع مع الاتِّحاد السُّوفييتي وحلفائه في المنطقة العربيَّة، من السُّوريين والفلسطينيين. وتصاعدت عام ١٩٨١ سلسلة من الأزمات والتَّوتُّرات في العالم العربي، وخاصة في سوريا والعراق، حيث عرف العرب انقسامًا بسبب الحرب العراقيَّة–الإيرانيَّة الَّتي بدأت في سبتمبر ١٩٨٠، عندما هاجمت القوَّات العراقيَّة مقاطعات ايرانية حدوديَّة، للحدِّ من تهديدات إيران الَّتي تزعمها الإمام آية الله الخميني، وهو زعيم الثَّورة ومؤسِّس الجمهوريَّة الإسلاميَّة في إيران، والَّذي رفع شعار تصدير الثَّورة لدول الجوار[٣٥٣].

بحلول عام ١٩٨٢م، كانت حالة التَّوتُّر الحدودي بين الاحتلال الإسرائيلي ومنطقة جنوب لبنان، الخاضعة حينها لسيطرة منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، وكانت ذريعة الاجتياح الإسرائيلي للبنان محاولة اغتيال سفير الاحتلال في لندن على يد جماعة أبو نضال، المنشقَّة عن منظَّمة التَّحرير، كما سبق القول. اتَّخذت حكومة الاحتلال، بقيادة مناحيم بيغن، وأرئيل شارون، وإسحق شامير،

[٣٥٣] حبيبة غيابة: المصدر السَّابق، ص٣٨.

قرار اجتياح لبنان، يوم السَّبت ٥ يونيو ١٩٨٢م، ليبدأ القصف في اليوم التَّالي[٣٥٤]. وأصدرت حكومة الاحتلال بيانًا يقول:

> لقد كّلفت حكومة دولة إسرائيل جيش الدفاع بوضع كل مستوطنات الجليل خارج مدى مدفعيَّة الفلسطينيين الَّذين حشدوا في لبنان مراكز قيادتهم وقواعدهم. إنَّ الاسم الرمزي للعمليَّة هو (سلام الجليل). وخلال هذه العملية العسكرية لن نهاجم الجيش السُّوري إلَّا إذا هاجم قوَّاتنا. وستحاول إسرائيل توقيع معاهدة سلام مع لبنان المستقل، القادر على صيانة سلامة أراضيه[٣٥٥].

وادَّعت حكومة الاحتلال أنَّ هدفها الأساسي من وراء عمليَّة اجتياح لبنان، الَّتي منحتها اسم عمليَّة سلام الجليل، هو تأمين منطقة الجليل الأعلى وكافَّة مستوطناتها الشَّماليَّة من هجمات المقاومة الفلسطينيَّة، وكذلك إبرام معاهدة سلام مع لبنان تضمن سلامة الأراضي المحتلَّة. غير أنَّ الأهداف الفعليَّة للاحتلال الإسرائيلي من اجتياح لبنان كانت متنوِّعة، على رأسها تنفيذ المخطَّط التَّوسُّعي للاحتلال في المنطقة العربيَّة، على حساب دول الجوار، وكسْر الإرادة العربيَّة. ومن الأهداف السِّياسيَّة للاجتياح القضاء على المقاومة الفلسطينيَّة، وإجبار الفلسطينيين المقيمين في لبنان، مع أهالي الضَّفَّة الغربيَّة، على النُّزوح

---

[٣٥٤] سمير جبور ورضى سليمان وآخرون: يوميات الحرب الإسرائيلية في لبنان (حزيران/ يونيو كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٢)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م، ص١٣-١٤.

[٣٥٥] مازن محمود العبد: الاجتياح الإسرائيلي وتداعياته على مدينة صيدا، رسالة ماجستير في التَّاريخ، الجامعة اللُّبنانيَّة، ٢٠٢٣م، ص٣٣.

إلى الأردن؛ لتسهيل ضمِّ الضفَّة الغربيَّة وقطاع غزَّة إلى دولة الاحتلال، وتأسيس دويلة فلسطينيَّة في الأردن[٣٥٦].

ومن الأهداف السِّياسيَّة كذلك تقسيم لبنان إلى دويلات طائفيَّة متناحرة، وهو مخطَّط وضَعه ديفيد بن غوريون، كما كشف موشيه شاريت، ثاني رئيس لحكومة الاحتلال بعد بن غوريون، في مذكَّراته عام ١٩٥٤م[٣٥٧]. ويُضاف إلى ما سبق هدف اقتصادي في غاية الأهميَّة، وهو سيطرة الاحتلال الإسرائيلي على نهر اللِّيطاني، الَّذي سبق الحديث عن أهميَّته بالنِّسبة للاحتلال. وفي عام ١٩٨١م، صرَّح وزير دفاع الاحتلال آنذاك، أرئيل شارون، صرَّح بأنَّ:

> مشكلة المياه في إسرائيل لا يمكن حلُّها بشكل كامل إلَّا في نطاق الحل الإقليمي، ذلك أنَّ ثلث مصادر المياه توجد في لبنان وهضبة الجولان، وثلث الآخر في الضَّفَّة الغربيَّة[٣٥٨].

أهم نتائج الاجتياح الإسرائيلي للبنان

لعلَّ من أبرز نتائج عمليَّة السَّلام للجليل نجاح الاحتلال الإسرائيلي في تدمير البنية التَّحتيَّة لمنظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، الَّتي تعرَّضت لقدر هائل من السَّخط الشَّعبي اللُّبناني، بعد اتِّهامها بالتَّسبُّب في الاجتياح الإسرائيلي، الَّذي وصل إلى العاصمة، بيروت، وفرض عليها حصارًا خانقًا، وألحق بأهلها خسائر فادحة.

---

[٣٥٦] محمد الأطرش: "السياسة الأمريكية تجاه الغزو الإسرائيلي للبنان"، مجلة المستقبل العربي، العدد ٥٥، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان)، سبتمبر ١٩٨٣، ص٢٧.

[٣٥٧] عدنان السيد حسين: المصدر السَّابق، صـ٩٦-٩٧.

[٣٥٨] عدنان السيد حسين: المصدر السَّابق، ص١٣١.

اعتُبرت منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة منظَّمة إرهابيَّة معزولة عن الشَّعب اللُّبناني، ومهَّد ذلك لخروجها بالكامل من الأراضي اللُّبنانيَّة، مع انتهاء الحرب الأهليَّة عام ١٩٩٠م.

ارتكبت قوَّات الاحتلال الإسرائيلي خلال اجتياح لبنان عددًا كبيرًا من المجازر، راح ضحيَّتها أعداد لا تُحصى من اللَّاجئين الفلسطينيين واللُّبنانيين والسُّوريين، الَّذين تشير أقرب التقديرات إلى أن عددهم يتراوح ما بين ١٧,٠٠٠ و١٩,٠٠٠[٣٥٩]. وقد تكون مجزرة صبرا وشاتيلا، الَّتي وقعت في مخيمي صبرا وشاتيلا للَّاجئين الفلسطينيين على مدار ٣ أيَّام بدءًا من ١٦سبتمبر ١٩٨٢م، أشدَّ مجازر الاحتلال بشاعة، ليس فقط لما خلَّفته من ضحايا، إنَّما كذلك لما ارتكبته قوَّات الاحتلال من انتهاكات صارخة في حقِّ سكَّان المخيمين، من تقتيل، وبقْر لبطون الحوامل، واغتصاب للنِّساء[٣٦٠]. ولم تزل ذكرى تلك المذبحة البشعة عالقة في الأذهان برغم مرور أكثر من ٤ عقود:

صبرا وشاتيلا.. جرح نازف في ذاكرة الفلسطينيين

مجزرة صبرا وشاتيلا ارتكبها الجيش الإسرائيلي وجيش لبنان الجنوبي والقوَّات اللُّبنانيَّة (الجناح العسكري لحزب

[٣٥٩] حرب لبنان ١٩٨٢...إخفاق لمنظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة ولـ "خطَّة إسرائيل الكبرى"، الموسوعة التَّفاعليَّة للقضيَّة الفلسطينيَّة.

[٣٦٠] الناجون من مذبحة صبرا وشاتيلا لن يذرفوا الدمع على شارون، رويترز، ١٢ يناير ٢٠١٤م.

الكتائب) ضد اللاجئين الفلسطينيين في مخيم صبرا وشاتيلا، واستمرَّت بين ١٦ و١٨ سبتمبر/أيلول ١٩٨٢.

لم تكن مجزرة صبرا وشاتيلا أولى مجازر الاحتلال بحقِّ الفلسطينيين ولا الأخيرة، فقد سبقتها مجازر الطَّنطورة وقبية ودير ياسين، وأعقبتها مذبحة مخيم جنين ومجازر منسيَّة أخرى في غزَّة والضَّفَّة الغربيَّة، لكنَّ بشاعة مجزرة صبرا وشاتيلا وطبيعة ظروفها جعلتاها علامة فارقة في الضَّمير الجمعي الفلسطيني.

ولا تزال الصُّور التي وثقت مشاهد عشرات الجثث المتناثرة في أزقَّة مخيم صبرا وشاتيلا للَّاجئين في لبنان والمنازل المدمَّرة، وأشلاء الفتيات الممزوجة بالطين والغبار، وبركة الدماء الَّتي تطفو فوقها أطراف طفل مبتورة؛ حاضرة بكامل تفاصيلها الدَّقيقة في ذاكرة الفلسطينيين والمناصرين لقضيَّتهم[٣٦١].

كان أرئيل شارون، وزير دفاع الاحتلال حينها، هو مَن أصدر قرار الهجوم على مخيمي صبرا وشاتيلا، الواقعين بالقرب من بيروت، وتمَّت المجزرة بالتَّعاون مع قوَّات حزب الكتائب اللُّبناني وجيش لبنان الجنوبي المسيحيَّة. وبرغم أنَّ العدد الموثَّق لضحايا المجزرة لا يتجاوز ١٣٩٠ قتيلًا، فهناك مصادر تؤكِّد أنَّ العدد الفعلي للضَّحايا يتراوح ما بين

[٣٦١] صبرا وشاتيلا.. جرح نازف في ذاكرة الفلسطينيين، الجزيرة نت، ١٥ سبتمبر ٢٠٢٢م.

٢٠٠٠ و٣٥٠٠ قتيل. وقد كتبت صحيفة العهد اللُّبنانيَّة، الناطقة باسم حزب الله "الإسرائيليون خطَّطوا، الكتائبيون نفَّذوا... المسلمون ذُبحوا، ولم تنفع الهويَّة اللُّبنانيَّة في إنقاذ الناس مات شخص، وقتل شخص وهو يحمل الهوية اللُّبنانيَّة[٣٦٢]".

صورة ٥,٢-عدد من ضحايا مجزرة صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢م

ومن نتائج الاجتياح الإسرائيلي للبنان تعميق حالة الاحتقان بين الطَّوائف اللُّبنانيَّة، وتعزيز الانقسام بين أفراد الشَّعب[٣٦٣]، خاصَّةً مع محاولة الاحتلال نفوذ شوكة الطَّائفة المارونيَّة لتكون بمثابة واجهة له يتحكَّم في لبنان من خلالها. غير أنَّ الاحتلال فشل في تثبيت حُكم الطَّائفة المارونيَّة، بل إنَّ المسيحيين خسروا الكثير من قراهم، وتحوَّل الكثير منهم إلى لاجئين بعد تدمير مساكنهم[٣٦٤]. فشل الاحتلال كذلك في فرْض واقع جديد في لبنان، بفضل

---

[٣٦٢] ناظم خليل عبد العمري: الحرب الأهلية في لبنان (١٩٧٥-١٩٨٢)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية التربية، جامعة بابل، العراق، ٢٠١١م، ص١٥١.

[٣٦٣] جمال سعد نوفان، "الاجتياح الإسرائيلي للبنان ١٩٨٢"، مجلة آداب الفراهيدي، العدد ١٣، ٢٠١٢م، ص١٣٥.

[٣٦٤] زئيف شيف وأهود يعاري: الحرب المضلّلة، حرب إس ارئيل في لبنان، تر: حسان يوسف، دار المروج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م، ص١٥٣.

تكاتُف المقاومة اللُّبنانيَّة مع المقاومة الفلسطينيَّة والقوَّات السُّوريَّة في مواجهة العدوان، الَّذي طال نصف الأراضي اللُّبنانيَّة، بما يشمل العاصمة، بيروت. ويرجع الفضل الأكبر في إتمام الانسحاب الإسرائيلي من لبنان في مايو ٢٠٠٠م، في رأي حبيبة غيابة، في المقام الأوَّل، إلى:

> التَّمسُّك بالكفاح المسلَّح أسلوب أثبت مصداقيَّته في مواجهة النِّظام الإسرائيلي، الَّذي يخاف من الخسائر البشريَّة في صفوفه أكثر مما يخاف من الشَّرعيَّة الدُّوليَّة وقراراتها الَّتي لم تنفذ، فليس بمقدور الدُّول أو الشُّعوب الصَّغيرة كلبنان، وفلسطين الرُّكون إلى اتِّفاقيَّات غير متكافئة مع دولة محتلَّة كإسرائيل لا تفهم إلَّا لغة القوَّة[٣٦٥].

وكان من النَّتائج الإيجابيَّة للاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م تراجُع نفوذ منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، وانسحابها من العديد من المناطق الَّتي كانت تسيطر عليها؛ وهو ما أثمر عن استعادة الحكومة اللُّبنانيَّة سيادتها على تلك المناطق. غير أنَّ العدوان الإسرائيلي الغاشم ترك أثرًا بالغ السُّوء على الاقتصاد اللُّبناني، مع تكبُّد الاقتصاد اللُّبناني خسائر بالمليارات، ودمار عشرات الآلاف من المساكن، وتخريب مساحات واسعة من الأراضي الزِّراعيَّة. ومع عودة شبح العدوان الإسرائيلي على لبنان منذ أواخر عام ٢٠٢٣م، بالتَّزامن مع تصعيد حزب الله اللُّبناني ضدَّ الاحتلال بزعم مؤازرة حركات المقاومة الفلسطينيَّة في قطاع غزَّة في مواجهة عمليَّة حرب القيامة الانتقاميَّة، الَّتي يشنُّها الاحتلال ردًّا

[٣٦٥] حبيبة غيابة: المصدر السَّابق، ص٩٣.

على عمليَّة طوفان الأقصى، تتعمَّق مخاوف اللُّبنانيين من مستقبل غامض ينتظر اقتصاد بلادهم، في حال أعاد الاحتلال اجتياح لبنان:

عربية sky news

الحرب تضع الاقتصاد اللُّبناني أمام سيناريوهات قاتمة

"استمرار الحرب يدفع لبنان نحو المجهول"... هذا ما أكده وزير الاقتصاد اللُّبناني، أمين سلام، في تصريحاته له لـ "سكاي نيوز عربية" أشار خلالها إلى أنَّ الحالة الاقتصاديَّة للبنان "في وضع صعب ودقيق جدًّا"، بحسب تعبيره.

وأشار إلى أنَّ لبنان يقوم بتنفيذ خطَّة طوارئ حاليًا لمحاولة إنقاذ الوضع الاقتصادي في البلاد، إلَّا أنَّ استمرار التَّصعيد "سيأخذ البلاد نحو وضع صعب ومجهول" حتى مع استمرار المساعدات والدَّعم الدُّولي.

وفي هذا السِّياق، يعتقد خبراء اقتصاديون بأنَّ الصراع المتصاعد بين إسرائيل وحزب الله قد يؤدي إلى انكماش اقتصادي يتراوح بين ١٠ و٢٥ بالمئة في لبنان هذا العام، مع تدمير قطاعات حيويَّة من الزِّراعة إلى السِّياحة وتضرُّر البنية التَّحتيَّة الحيويَّة[٣٦٦].

[٣٦٦] الحرب تضع الاقتصاد اللبناني أمام سيناريوهات قاتمة، موقع سكاي نيوز عربيَّة، ٢٥ سبتمبر ٢٠٢٤م.

حرب تمُّوز ٢٠٠٦م وحقيقة انتصار حزب الله

على الاحتلال الإسرائيلي

بعد مرور قرابة ربع قرن على عمليَّة السَّلام للجليل، الَّتي شنَّها الاحتلال الإسرائيلي على لبنان في ٦ يونيو من عام ١٩٨٢م، ردًا على استفزازات منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، الموالية لنظام ملالي الرَّافضة في إيران، تجدَّد العدوان الإسرائيلي على لبنان، في ١٢ يوليو/تمُّوز ٢٠٠٦م، ولمدَّة ٣٤ يومًا، فيما عُرف بين اللُّبنانيين باسم حرب تمُّوز، أو بحرب لبنان الثَّانية، وفق مسمَّى الجانب الإسرائيلي[٣٦٧]. بدأ الصِّراع بإطلاق حزب الله عمليَّة باسم الفجر الصَّادق؛ بهدف تحرير بعض الأسر اللُّبنانيين ممَّن طالت فترة احتجازهم في سجون الاحتلال الإسرائيلي في ١٢ يوليو ٢٠٠٦م. ونجحت قوَّات حزب الله في أسْر عدد من جنود الاحتلال؛ وهو ما دفع الأخير للرَّد، باقتحام الحدود مع لبنان، لكنَّ قوَّات حزب الله كان مترصِّدة لها، وأسقطت عدد من جنود الاحتلال وآليَّاته.

انتهت تلك الحرب بإعلان انتصار حزب الله، بعد إجبار الاحتلال على الانسحاب من الأراضي اللُّبنانيَّة، تنفيذًا للقرار ١٧٠١ لمجلس الأمن التَّابع للأمم المتَّحدة، الَّذي نصَّ على انسحاب القوَّات الإسرائيليَّة إلى الخطِّ الأزرق، وهو الخطُّ الفاصل بين حدود لبنان ودولة الاحتلال الَّذي حدَّدته الأمم المتَّحدة عام ٢٠٠٠م، عند الانسحاب الإسرائيلي من لبنان. وكما سبق القول، يحذِّر الدُّكتور سيِّد حسين العفَّاني من الانخداع بما أُشيع عن تحقيق حزب الله اللُّبناني

[٣٦٧] حرب لبنان ٢٠٠٦: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

انتصارًا مؤزَّرًا على الاحتلال الإسرائيلي في حرب تمُّوز، نافيًا ما روَّج له الإعلام الموالي لإيران، حاضنة حزب الله وداعمته، بقوله "وللأسف فإنَّ كثيرًا من المغفَّلين من أبناء جلدتنا فرحوا بانتصارات حزب الله المزعومة، واعتبروه فتحًا عظيمًا للإسلام والمسلمين، وما علم هؤلاء المساكين أنَّ هذا الحزب يخدم مخطَّطات إيران الرَّافضيَّة في بلاد المسلمين"[٣٦٨].

صورة ٥,٣–الخط الأزرق الفاصل بين لبنان والاحتلال الإسرائيلي

رؤية معاصرة لحرب لبنان الأولى

بعد مرور أكثر من ٤ عقود على اندلاع حرب لبنان الأولى عام ١٩٨٢م، بهدف تقويض البنى التَّحتيَّة لحركات المقاومة الفلسطينيَّة، وعلى رأسها منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، يطرح الخبير في شؤون الجيش والأمن القومي للاحتلال الإسرائيلي، فادي نحَّاس، رؤيته لأبعاد الاجتياح الإسرائيلي للبنان في صيف

[٣٦٨] سيِّد حسين العفَّاني: حزب الله الرَّافضي...تاريخ أسود وافتراءات، دار العفَّاني، طبعة ١، مصر، ٢٠٠٧م، ص٨٢.

عام ١٩٨٢م، معرّجًا على كافَّة الأحداث الهامَّة الَّتي تخلَّلت الفترة ما بين اشتعال الحرب وحتَّى الإعلان عن الوصول إلى اتِّفاقيَّة لترسيم الحدود البحريَّة بين لبنان والاحتلال، بوساطة أمريكيَّة، عام ٢٠٢٢م[٣٦٩].

يعتبر نحَّاس الاجتياح الإسرائيلي للبنان، الَّذي أُطلق عليه عمليَّة السَّلام للجليل ثم أُعيدت تسميته إلى حرب لبنان الأولى، بعد اندلاع حرب تمُّوز عام ٢٠٠٦م، حدثًا غير عاديّ في التَّاريخ المعاصر للمنطقة العربيَّة، بما تركته من أثر عميق تمثَّل في احتلال لبنان حوالي ١٨ عامًا، شهدت العديد من المعارك، وتعرَّض الاقتصاد اللُّبناني خلالها لأزمات طاحنة. يرى نحَّاس أنَّ الهدف من اجتياح لبنان لم يكن مجرَّد التَّخلُّص من تهديد منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، إنَّما كان كذلك القضاء على منظَّمة التَّحرير عسكريًّا وسياسيًّا، وطرْد القوَّات السُّوريَّة من لبنان، وتثبيت الحُكم المسيحي على رأس السُّلطة، بانتخاب رئيس للبنان متحالف مع الاحتلال[٣٧٠]. ويرى الباحث أنَّ مزاعم الاحتلال بتحقيق كافَّة أهدافه من حرب لبنان الأولى قد ثبت زيفها:

> الادِّعاء الإسرائيلي أنَّ جميع الأهداف الَّتي زعَم الإسرائيليون أنَّها تحقَّقت في حرب ١٩٨٢ تبدَّدت مع مرور السَّنوات، فالقضاء سياسيًّا وعسكريًّا على منظَّمة التَّحرير الفلسطينيّة لم يتحقَّق على الرَّغم من خروج التَّنظيمات الفلسطينيَّة المسلَّحة من لبنان، لا بل أكثر من ذلك، ربَّما ساهمت

[٣٦٩] فادي نحَّاس: أربعون عاما: من حرب لبنان الأولى ١٩٨٢ إلى اتفاقية ترسيم الحدود البحرية ٢٠٢٢، قضايا إسرائيليَّة، العدد ٨٩، ٢٠٢٣م.

[٣٧٠] يغآل كيبنيتس: ١٩٨٢- في الطريق إلى حرب لبنان، شوهم: كنرت دبورا زمر للنَّشر، ٢٠٢٢م.

تداعيات هذه الحرب، بشكل أو بآخر، في التَّوصُّل إلى اتِّفاق أوسلو وقيام السُّلطة الفلسطينيَّة[٣٧١].

ولعلَّ من أبرز نتائج حرب لبنان الأولى، في رأي الباحث، تدخُّل مستوطني الاحتلال الإسرائيلي بفرض رأيهم على الجيش، فيما يتعلَّق باتِّخاذ قرار الحرب، قلقًا من أن تفضي أيُّ حرب جديدة إلى خسائر بشريَّة كبيرة. علاوة على ذلك، فقد أثمرت تلك الحرب عن رفْع أسهم حزب الله اللُّبناني لدى الرَّأي العام العربي، بعد إشاعة انتصاره على الاحتلال، بإجباره على الانسحاب من الأراضي اللُّبنانيَّة عام ٢٠٠٠م، دون إبرام اتِّفاقيَّة للسَّلام. ومن نتائج تلك الحرب كذلك عدم تهوُّر جيش الاحتلال باتِّخاذ قرار بشنِّ حرب جديدة على لبنان، دون دراسة جيِّدة لنتائجها.

مع ذلك، فقد أقدم الاحتلال الإسرائيلي على شنِّ حربه الثَّانية على لبنان في يوليو/تمُّوز ٢٠٠٦م، بزعم العمل على تصفية قيادات حزب الله وتقويض قدراته العسكريَّة، وهو ما لم يتحقَّق[٣٧٢]. لم تستطع دولة الاحتلال نزْع سلاح حزب الله، كما كانت تخطَّط، حيث واصلت إيران إمداد حزب الله بالأسلحة عبر الأراضي السُّوريَّة، ليملأ ترسانته من جديد، ويعيد تشكيل استراتيجيَّته الدِّفاعيَّة. ولا شكَّ في أنَّ فشل الاحتلال في تحقيق أهدافه من حرب تمُّوز ٢٠٠٦م نال من هيبته العسكريَّة، وشكَّك في قدرته على الرَّدع، كما أثبت عجْزه عن تكوين رؤية تكتيكيَّة سليمة عن طريقة الغزو الملائمة:

---

[٣٧١] فادي نحَّاس: المصدر السَّابق، ص٢٠.

[٣٧٢] عدنان أبو عامر: دروس مستخلصة من حرب لبنان الثَّانية: تقرير لجنة الخارجيَّة والأمن في الكنيست الإسرائيلي الصَّادر في كانون الثَّاني/ديسمبر ٢٠٠٧، ترجمة عدنان أبو عامر، مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات، طبعة ١، ٢٠٠٨م، ص١١.

أدركت إسرائيل أنَّ تحقيق قوَّة ردع كاملة يكاد يكون أمرًا مستحيلًا. وعليه، يتوجَّب التَّعاطي مع اصطلاح آخر وهو الرَّدع المحدود. كذلك، لا يعتمد الرَّدع الحديث ضدَّ المنظَّمات المسلَّحة على القوة العسكريَّة فقط، إنَّما يستعمل مركبات أخرى، مثل الحصار الاقتصادي، التَّهديد بتعصيب حياة المواطنين الَّذين يؤيِّدون "الإرهاب،" تهديد حياة القادة السِّياسيين والعسكريين[٣٧٣].

مع انشغال حزب الله بمعاونة النِّظام السُّوري، برئاسة بشَّار الأسد، في قمْع الثَّورة الشَّعبيَّة، أو الحرب الأهليَّة كما يُطلق عليها نظام الأسد، منذ عام ٢٠١١م، تراجعت احتماليَّة تجدُّد الصِّراع المسلَّح بين حزب الله والاحتلال، على الأقل حتَّى إطلاق حركة حماس عمليَّة طوفان الأقصى في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م، خاصَّة مع وجود توازن الرَّدع المتبادَل بين الطَّرفين[٣٧٤]. غير أنَّ التَّحالُف الطَّائفي لحزب الله مع النِّظامين السُّوري والإيراني يشكِّل مصدر تهديد كبير لدولة الاحتلال، وينذر بمواجهة واسعة النِّطاق، إذا ما أقدمت دولة الاحتلال على الهجوم على أيّ من الحلفاء الثَّلاثة. لذلك، "يظل حزب الله أحد مكامن التَّهديد الإستراتيجي لإسرائيل، حتَّى مع استنزاف قدرات الحزب وانشغاله بالصِّراع السُّوري"[٣٧٥].

---

[٣٧٣] فادي نحَّاس: المصدر السَّابق، ص٢٢.

[374] Kurz, A. & Brom, S. (Eds.) (2014). Strategic Survey for Israel 2013- 2014. Tel Aviv: Institute for National Security Studies.

[٣٧٥] فادي نحَّاس: المصدر السَّابق، ص٢٣.

حرب تمُّوز ٢٠٠٦م: نظرة شاملة

يطرح المؤرِّخ التَّابع لمركز الدِّراسات الحربيَّة الأمريكي، مات م. ماثيوز، رؤيته عن حرب تمُّوز لعام ٢٠٠٦م، بين الاحتلال الإسرائيلي وحزب الله اللُّبناني، في تحليل تاريخي لعقيدة الطَّرفين قبل الحرب، مع إلقاء نظرة عامَّة على المشكلات الَّتي واجهت الجانب الإسرائيلي خلال القتال وأدَّت إلى انتصار الطَّرف المناوئ له[٣٧٦]. ويصل المؤرِّخ من دراسته لكافَّة تفاصيل المعركة، والنَّظريَّات القتاليَّة الَّتي اتَّبعها كلُّ طرف، إلى القناعة بأنَّ عناصر حزب الله، وأمثالهم من مقاتلي حرب العصابات، بإمكانهم مواجهة الجيوش النِّظاميَّة عالية التَّدريب، وإلحاق الهزيمة بها من خلال استغلال نقاط ضعفها.

يسرد ماثيوز ملابسات اشتعال حرب تمُّوز في صيف عام ٢٠٠٦م، مشيرًا إلى تسلُّل قوَّات حزب الله عبر الحدود مع الاحتلال الإسرائيلي، وقتلهم ٣ جنود في جيش الاحتلال؛ وهو ما أثار حفيظة رئيس حكومة الاحتلال حينها، إيهود أولمرت، ليصرِّح بقوله "لبنان سيتحمَّل وزر أعماله"[٣٧٧]، بعد أن اعتبر أن تلك العمليَّة بمثابة إعلان حرب. واصَل حزب الله قصف المستوطنات الشَّماليَّة للاحتلال الإسرائيلي بالصَّواريخ، مصيبًا الاحتلال بحالة من الشَّلل في مواجهته، وهو ما أصاب الجميع بحالة من الدَّهشة من قدرة حزب الله على المقاومة:

---

[٣٧٦] مات م. ماثيوز: حرب ٢٠٠٦ بين حزب الله وإسرائيل...ورقة صادرة عن مركز الأسلحة المشتركة للجيش الأمريكي، ترجمة مها بحبوح، مؤسَّسة الدِّراسات الفلسطينية، ٢٠٠٨م، ص١.

[٣٧٧] المصدر السَّابق: ص٥.

عندما دفع الجيش الإسرائيلي، بعد تردُّد بقوَّاته البرّيَّة لدخول لبنان، استولى الذُّهول على المراقبين العسكريين في جميع أنحاء العالم، إزاء الفشل الواضح للعمليَّة، وإزاء المقاومة المستميتة لمقاتلي حزب الله. فبعد أعوام من تنفيذ عمليَّات ناجحة لمواجهة الانتفاضة في الأراضي الفلسطينيَّة، بدا الجيش الإسرائيلي عاجزًا تمامًا عن تنفيذ عمليَّة برّيَّة تقليديَّة ناجحة ضدَّ حزب الله.

وما من شكٍّ في أنَّ الحملة البرّيَّة الإسرائيليَّة كشفت جيشًا أربكته عقيدته الجديدة. فقد بدا أنَّ الجنود يفتقرون إلى التَّدريب الكافي والمعدَّات، كما بدا الضُّبَّاط من ذوي الرُّتب الأرفع غير مهيَّئين، لدرجة تدعو إلى الرِّثاء، للقتال في ''حرب حقيقيَّة''[٣٧٨].

ولا يجد المؤرِّخ الأمريكي حرجًا في الاعتراف بالضَّعف التَّدريبي والعمليَّاتي لجيش الاحتلال الإسرائيلي، معزيًا ذلك إلى العقيدة القتاليَّة الجديدة للجيش وعدم إلمام عناصره بها، وكذلك إلى عدم القدرة على الخوض في معركة أمام حزب الله على أرض الواقع، بعيدًا عن مراكز التَّدريب. على ذلك؛ فقد اعتبر خبراء عسكريون بأنَّ حزب الله حقَّق انتصارًا كاملًا على الجانب الإسرائيلي، وهو ما اعترف به رئيس جهاز الاستخبارات التَّابع للاحتلال، الموساد، حينها، مائير ديغان، بأن واجَه

[٣٧٨] المصدر السَّابق: صـ٥-٦.

رئـيس الحكومـة، إيهـود أولمـرت، بقولـه "إنَّ الحـرب كانـت كارثـة وطنيَّـة، وإنَّ إسـرائيل تلقَّـت ضـربة قاصـمة"[٣٧٩]. ويبـدو أنَّ جـيش الاحـتلال واجَـه حالـة التَّشـتيت، بعـد تركيـزه لسـنوات علـى مواجهـة الانتفاضـة الفلسـطينيَّة فـي الضَّـفَّة الغربيَّـة وقطـاع غـزَّة فـي الأراضـي المحتلَّـة، بعيـدًا عـن بـؤرة الصِّراع مع حزب الله في المستوطنات الشَّماليَّة.

انسحاب الاحتلال الإسرائيلي من لبنان عام ٢٠٠٠م

بدفع من المقاومة الشِّيعيَّة

من المفارقات الَّتي يثيرها ماثيوز أنَّ جيش الاحتلال الإسرائيلي نجح، من خلال اجتياح لبنان عام ١٩٨٢م، في إلحاق الهزيمة بمنظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، الَّتي ينتمي أعضاؤها إلى المذهب السُّنِّي، والَّتي أُجبرت على الخروج من لبنان لاحقًا بفعل تلك الهزيمة، لكنَّه عجَز مع ذلك في دحْر المقاومة اللُّبنانيَّة بزعامة حزب الله الشِّيعي، مؤكِّدًا أنَّ "الفصيل الشِّيعي حزب الله هو الأكثر إثارة للصُّعوبات والمشكلات"[٣٨٠]. كان حزب الله مصرًّا على إجبار الاحتلال على الانسحاب من الأراضي اللُّبنانيَّة، واستند في مقاومته للاحتلال إلى عدَّة مبادئ حربيَّة صمَّمها لتتناسب مع طبيعة الخصم. وكان على رأس تلك المبادئ تجنُّب الأهداف الكبيرة، وانتهاز أنسب الفرص للبدء في الهجوم، والاعتماد على المباغتة في استهداف الخصم، إلى جانب الاعتماد على الإعلام في تشويه صورة الخصم وفضْح هزائمه أمام العالم، مع إرباك الخصم وجعْله في حالة

[٣٧٩] المصدر السَّابق: ص٦.
[٣٨٠] المصدر السَّابق: ص١٣.

دائمة من الاستنفار واستنزاف طاقاته[٣٨١]. وكان هدف حزب الله، الَّذي طوَّره بعد بعد سنوات من التَّنظيم والتَّدريب، هو:

> دفْع الإسرائيليين وجيش لبنان الجنوبي إلى الذُّعر والانسحاب انسحابًا فوضويًّا مكلفًا قدر المستطاع، عن طريق إلحاق الإصابات بين الجنود وضرْب معنويَّاتهم وزيادة الضَّغط داخل إسرائيل لتحقيق الانسحاب. ولذلك، كان هدف الاستراتيجيَّات تنفيذ عمليَّات تتَّسم بالبراعة والحذق، وتؤكِّد تصميم حزب الله وقدرته على الوصول إلى أهدافه، وتُبرز انكشاف جنود العدوِّ أمام مقاتليه[٣٨٢].

نجح حزب الله، من خلال توظيف الآلة الإعلاميَّة بواسطة قناة المنار النَّاطقة باسمه، في إضعاف التَّأييد الشَّعبي بين مستوطني الاحتلال لاستمرار قوَّاته في لبنان، بما أظهره من الفظائع الَّتي تعرَّضت لها قوَّات الاحتلال، من هجمات انتحاريَّة، كمائن مدبَّرة، وهجمات مباشرة. أُجبر سكَّان المستوطنات الشَّماليَّة على الاحتماء بالملاجئ، تفاديًا للإصابة بقذائف حزب الله، الَّتي كانت عناصره ترُدُّ بها على هجمات الاحتلال، الَّتي كان من أشدِّها عمليَّة عناقيد الغضب. أطلق الاحتلال تلك العمليَّة في ١١ أبريل ١٩٩٦م، وعلى مدار ١٦ يومًا؛ بهدف إنهاء

[381] Ya'ari, E. (1996, March 21). Hizballah: 13 Principles of warfare. *The Jerusalem Report*.
[382] Harik, J. P. (2004). *Hezbollah: The changing face of terrorism*. London: Ib Tauris, p.130.

تهديد حزب الله للمستوطنات الشَّماليَّة. انتهت العمليَّة، الَّتي أسفرت عن مقتل ١١٨ مدنيًّا لبنانيًّا، بفشل الاحتلال في تحقيق أهدافه، وهو ما اعتُبر انتصارًا لحزب الله[٣٨٣].

بدفع من الضَّغط الشَّعبي لمستوطني الاحتلال، ممَّن سادت بينهم حالة من السَّخط حيال استمرار قوَّات الجيش في لبنان برغم ما يلاقونه من ضربات موجعة من قِبل المقاومة الشِّيعيَّة، بزعامة حزب الله، تعهَّد السِّياسي والقائد العسكري، إيهود باراك، فور فوزه برئاسة الحكومة في يوليو ١٩٩٩م، بسحب قوَّات الجيش الإسرائيلي من لبنان خلال ١٢ شهرًا. غير أنَّ حزب الله أصرَّ على تسريع وتيرة الانسحاب الإسرائيلي، من خلال تكثيف هجماته على مواقع عسكريَّة للاحتلال. وكان في فرار عناصر من ميليشيات جيش لبنان الجنوبي، الَّتي تكوَّنت بدعم من الاحتلال لمحاربة خصومه، سواء حركات المقاومة الفلسطينيَّة أو المقاومة اللُّبنانيَّة الشِّيعيَّة، ولجوئهم إلى حزب الله، ما أضعف من قوَّة الاحتلال في مواجهة حزب الله[٣٨٤]. وأعلن باراك، بعد اشتداد ضربات حزب الله لجيش الاحتلال، الانسحاب من لبنان بحلول يوليو ٢٠٠٠م، تفاديًا لمزيد من الخسائر. بحلول ٢٣ مايو ٢٠٠٠م، كان جيش الاحتلال كان انسحب من لبنان بكامل قوَّاته، في مشهد يصفه شهود العيان بقولهم:

[٣٨٣] عمليَّة عناقيد الغضب: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.
[٣٨٤] مات م. ماثيوز: المصدر السَّابق، ص١٦.

عبَـر الجنـود الإسـرائيليون الحـدود وهـم يترنَّحـون، ويخبـرون المراسـلين بـأنَّ معـدَّاتهم العسـكريَّة وتـدريباتهم أثبتـت فشـلها فـي مواجهـة حـزب الله وحلفائه اللُّبنانيين[٣٨٥].

استعدادات حزب الله للمواجهة الجديدة مع الاحتلال فور انسحابه

لم تُقدم الحكومة اللُّبنانيَّة على سحْب قوَّات حزب الله من جنوب لبنان، برغم الانسحاب الإسرائيلي؛ لعدم ثقتها في نوايا الاحتلال. وفي خطاب الانتصار الَّذي ألقاه في ٢٦ مايو ٢٠٠٠م، وصَف حسن نصر الله الاحتلال الإسرائيلي بأنَّه ''أوهن من بيت العنكبوت''، موضحًا أنَّ ''نقطة ضعف إسرائيل تكمن في المجتمع الإسرائيلي. فهو مجتمع عسكري هش لم يعد بإمكانه تحمُّل الحروب، وسينهار تحت الضَّغط في مواجهة أيِّ صدام مع العرب''[٣٨٦].

وبعد اكتسابه ثقة كبيرة بفضل الانتصار الَّذي أحرزه بإجبار الاحتلال الإسرائيلي على الانسحاب، بدأ حزب الله في الاستعداد للمواجهة المقبلة، واضعًا في اعتباره أنَّ الاحتلال سيعتمد على السَّلاح الجوِّي والمدفعيَّة أكثر من الهجوم البرِّي؛ فبدأ في الاستعداد لذلك بتعظيم ترسانته الصَّاروخيَّة، وتطوير منصَّة لإطلاق الصَّواريخ، مع إعاقة أي هجوم برِّي للاحتلال يمكنه إصابة المنظومة الصَّاروخيَّة للحزب. واصَل حزب الله استعداداته للمعركة الجديدة

[385] Himelfarb, J. (2005, March 16). Hezbollah's Deadly Record. *The Washington Times*.

[٣٨٦] مات م. ماثيوز: المصدر السَّابق، ص٢٥.

المرتقبة مع الاحتلال، الَّتي وقعت فعليًّا عام ٢٠٠٦م، بتكوين منظومة دفاعيَّة قويَّة، وصفها الاستير كروك ومارك بيري بقولهما:

> كانت دفاعات حزب الله القويَّة الحصينة ثمرة عمل مُضنٍ استغرق ستَّة أعوام، بدأ مع الانسحاب الإسرائيلي من المنطقة سنة ٢٠٠٠...جرى حفْر مخازن الأسلحة خلال الأعوام السَّابقة وفق خطَّة مُحكمة خادعة، فقد أُنشئ بعض المخابئ الحصينة جهارًا وغالبًا تحت مراقبة الطَّائرات الإسرائيليَّة الموجَّهة باللَّاسلكي من دون طيَّار أو تحت أنظار حلفاء إسرائيل اللُّبنانيين...وجرى إنشاء غرف القيادات ومستودعات الأسلحة والذَّخائر المهمَّة على عُمق ٤٠ مترًا تحت مستوى سطح الأرض في المرتفعات الصَّخريَّة اللُّبنانيَّة. وتوزَّع ما ينوف على ٦٠٠ مستودع أسلحة وذخائر توزُّعًا استراتيجيًّا في المنطقة الواقعة جنوبي نهر اللِّيطاني...تمَّ تخصيص نقاط تنظيم رئيسيَّة وداعمة منفصلة للوحدات القتاليَّة المتميِّزة، وكانت مهمَّتها تأمين السِّلاح والقتال في مناطق معيَّنة في الميدان[٣٨٧]...

وحقَّق حزب الله خلال الفترة ما بين الانسحاب الإسرائيلي من لبنان عام ٢٠٠٠م، واندلاع حرب تمُّوز عام ٢٠٠٦م، تمرُّسًا كبيرًا في مجال استخبارات الإشارات المضادَّة، وكذلك في مجال العنصر البشري للاستخبارات؛ ليتمكَّن

[387] Crooke, A. & Perry, M. (2006). How Hezbollah Defeated Israel Part 1: Winning the Intelligence War. *Asia Times Online*, p.4.

بفضل ذلك من تضليل العدو وكشْف شبكات من العملاء التَّابعين له. وبحلول وقت المواجهة في صيف عام ٢٠٠٦م، كان حزب الله قد أسَّس منظومة حربيَّة عالية التَّدريب وفائقة التَّطوُّر، على الحدود مع الاحتلال. علاوة على ذلك، استطاع الحزب الشِّيعي تطوير عقيدته القتاليَّة، وفقًا لما أملته الظُّروف المتغيِّرة، أسوةً بما فعلته القوَّات الفيتناميَّة في حروبها الطَّويلة مع القوَّات الأمريكيَّة[٣٨٨].

في المقابل، لم يكن الكثيرون من عناصر جيش الاحتلال الإسرائيلي قد تلقُّوا التَّدريب المناسب لمواجهة حزب الله في معركة مستقبليَّة، علاوة على إلغاء تدريبا قوَّات الجيش في تشكيلات كبيرة، بعد أن اعتاد الجيش على إصابة الأهداف السَّهلة في قمْع الانتفاضة الفلسطينيَّة، بدحر التجمَّعات المحدودة لعناصر المقاومة في الأراضي الفلسطينيَّة المحتلَّة في الفترة ما بين عاميّ ٢٠٠٠م و٢٠٠٢م. وخلال الأعوام الأربعة التَّالية، كوَّن جيش الاحتلال عقيدة قتاليَّة جديدة، اعتمدت على "العمليَّات الموضعيَّة وآليَّة منهجيَّة العمليَّات والأسلحة الفائقة الدِّقَّة"، وهو ما لم يستوعبه كثير من عناصر الجيش حينها[٣٨٩].

اندلاع حرب تمُّوز عام ٢٠٠٦م باستفزاز من حزب الله

كما سبق الإيضاح، قدح حزب الله اللُّبناني الشَّرارة الأولى لحرب تمُّوز عام ٢٠٠٦م، بشنِّه عمليَّة الفجر الصَّادق؛ لتحرير عدد من الأسرى المحتجزين لدى

[٣٨٨] مات م. ماثيوز: المصدر السَّابق، ص٣١.
[٣٨٩] المصدر السَّابق: ص٣٨.

الاحتلال الإسرائيلي، بعبوره الحدود بين البلدين، وأسْره اثنين من جنود جيش الاحتلال وقتْله ثمانية آخرين، ليُطلق الجيش في ١٢ يوليو عمليَّة عسكريَّة للرَّدِّ على حزب الله، بشنِّ ضربات جويَّة تستهدف قيادات حزب الله السِّياسيَّة والعسكريَّة. واعترف حسن نصر الله بأنَّه لو كان يعلم بحجم الرَّدِّ الإسرائيلي على عمليَّة الفجر الصَّادق لما وافق على تنفيذها[٣٩٠]. وبعد قصْف جيش الاحتلال مطار بيروت محاصرته كافَّة المنافذ اللُّبنانيَّة في ١٤ يوليو، توجَّه نصر الله بكلمة يتوعَّد فيها الاحتلال ومناصريه، في إشارة صريحة للإدارة الأمريكيَّة برئاسة جورج دابليو بوش، بردٍّ قاسٍ على العدوان:

> للعدوِّ وللعالم كلِّه أقول، مهما طالت الحرب نحن أهلها، ومهما عظمت التَّضحيات فنحن لم نولد إلا من رحمها، وفي معركة الإرادة لن ننكسر ولن نُهزم. لبوش وأولمرت وكل طاغية معتدي أقول، فاسعَ سعيك وناصب جهدك، فوالله لن تمحو ذكرنا ولن تميت وحينا، فما جمعك إلا بدد ولا أيامك إلا عدد، سيعلم الَّذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتَّقين[٣٩١].

اعتقد رئيس أركان جيش الاحتلال الإسرائيلي وقتها، دان حالوتس، أنَّ استهداف حزب الله بضربات جوِّيَّة كافٍ لحسْم المعركة لصالح الجانب الإسرائيلي، لكنَّه اضطرَّ بعد أيَّام لشنِّ عمليَّة برِّيَّة أُطلق عليها مياه الأعالي، لتنطلق في ١٧

[٣٩٠] حسن نصر الله: لو علمت بحجم رد إسرائيل لما خطفنا الجنديين، موقع العربيَّة نت، ٢٧ أغسطس ٢٠٠٦م.

[٣٩١] رسالة المجاهدين للسيد نصر الله خلال عدوان تموز ٢٠٠٦ ورده عليها.. غيرت مجريات الحرب، إذاعة النُّور، ٢٨ يوليو ٢٠١٨م.

يوليو، قرب قرية مارون الرَّاس، سعيًا لاحتلال جنوب لبنان. وحينها، فوجئ جيش الاحتلال بردٍّ مزلزل من حزب الله ما كان ليتوقَّعه، كما صرَّح أحد الجنود، بقوله "كنَّا نتوقَّع خيمة وثلاث بنادق كلاشينكوف–تلك كانت المعلومات الاستخباراتيَّة الموجودة في حيازتنا. بدل ذلك، وجدنا بابًا فولاذيًّا هيدروليكيًّا يفضي إلى شبكة من الأنفاق المجهَّزة أفضل تجهيز"[٣٩٢]. وتابُع حزب الله استهدافه الاحتلال وبالقذائف الصَّاروخيَّة، وقذائف الهاون، والصَّواريخ المضادَّة للدَّبَّابات، والصَّواريخ قصيرة المدى، مُلحقًا بلواء غولاني للقوَّات البرِّيَّة هزيمة منكرة، يصفها أحد شهود العيان بقوله عن الفوضى الَّتي سادت مقرَّ اللِّواء في المنطقة الشَّماليَّة:

> ساد الانفعال الشَّديد حين وصلت أخبار المعركة الطَّاحنة وارتفاع عدد الإصابات. أخذ الجنود يتراكضون جيئة وذهابًا وهم يحملون الخرائط، وبدأ الضُّبَّاط يزعقون في الهواتف الخليويَّة المشفَّرة لتنسيق أعمال إجلاء الجرحى. ثمَّ خرج العميد غال هيرتش... من مركز القيادة لإعلام حالوتس بالمستجدَّات... قال له: ''المروحيَّات لا تتمكَّن من الهبوط فالمعارك ضارية''[٣٩٣].

أدرك قادة جيش الاحتلال الإسرائيلي ضرورة شنِّ عمليَّة برِّيَّة موسَّعة، وبحلول ١٥ أغسطس ٢٠٠٦م، كان قد دخل عبر الحدود اللُّبنانيَّة ١٠ آلاف من جنود

---

[٣٩٢] مات م. ماثيوز: المصدر السَّابق، ص٥٨.

[393] Katz, Y. (2006, July 26). Names of Soldiers Killed in Lebanon Released. *Jerusalem Post Online Edition.*

الاحتلال، بعد استدعاء جنود الاحتياط لكنَّهم لم يتمكَّنوا من تجاوُز ٤ أميال. في المقابل، ظلَّ حزب الله يقاتل بعدَّة قوامها ٣ آلاف جندي، وقد قُتل منهم خلال الصِّدام البرِّي قرابة ١٨٤ جنديًّا، بينما قُتل ٦١ من عناصر جيش الاحتلال. وينقل ماثيوز عن أحد جنود الاحتلال قوله عن عناصر حزب الله "إنَّهم متمرِّسون في الخداع. وهو جميعهم مؤمنون بأنَّهم سينتصرون مهما يكلِّف الأمر...كلما قتلنا منهم ازداد عددهم"[٣٩٤]. وبمرور الوقت، بدأ كبار قادة جيش الاحتلال في الضَّجر من سير المعركة، معزين الهزائم الَّتي كانوا يمنون بها إلى ضعْف خبرة رئيس الأركان ووزير الدِّفاع، وتساءلوا عن مآل اجتياح لبنان، الَّذي اعتبروه فخًّا نُصب لهم[٣٩٥]. واستمرَّ جيش الاحتلال في مواجهة ضربات حزب الله الموجعة، حتَّى دخول قرار مجلس الأمن التَّابع للأمم المتَّحدة رقم ١٧٠١ حيِّز التَّنفيذ في ١٤ أغسطس ٢٠٠٦م، بعد ٣٤ يومًا من القتال.

صورة ٥,٤-الدَّمار الَّذي خلَّفه القصف الإسرائيلي في لبنان خلال حرب تمُّوز ٢٠٠٦م

[٣٩٤] مات م. ماثيوز: المصدر السَّابق، ص٦٦.
[٣٩٥] المصدر السَّابق: ص٦٧.

نتائج حرب تمُّوز ٢٠٠٦م

اعترف كبارة قادة جيش الاحتلال الإسرائيلي بالهزيمة أمام حزب الله اللُّبناني، مرجعين ذلك إلى العقيدة القتاليَّة الجديدة الَّتي تم تعميمها، والَّتي تجاهلت أهميَّة التَّدرُّب في جماعات كبيرة على الغزو البرِّي، في مقابل الاعتماد على الضَّربات الجوِّيَّة في المقام الأوَّل. عجزت قوَّات جيش الاحتلال عن التَّقدُّم البرِّي في جنوب لبنان، وساعَد على ذلك محدوديَّة عمليَّة الاستطلاع المجراة في منطقة جنوب لبنان. ويؤكِّد مخطِّط الحملات في سلاح الجوِّ في جيش الاحتلال، رون تيرا، أنَّ من أسباب هزيمة الاحتلال تطبيق مبدأ العمليَّات الموضعيَّة الأمريكي، الَّتي طبَّقته القوَّات الأمريكيَّة عند غزو العراق عام ٢٠٠٣م، وهو ما لم يأتِ بنفع؛ لأنَّ القوَّات الأمريكيَّة استخدمت ذلك المبدأ للتَّمهيد للاجتياح البرِّي، وليس بديلًا عنه. ويقول تيرا في اعترافه بالهزيمة:

> فشلت إسرائيل على المستويات الاستراتيجيَّة والعمليَّاتيَّة والتَّكتيكيَّة، ولم تنجح في إيقاع إصابات بالغة تُلحق الأذى بالمنظومة أو تشلَّ إرادة وفاعليَّة مجموعات القيادة والتَّحكُّم فيها. كما فشلت في الحدِّ من جاهزيَّة المجموعات القتاليَّة التَّابعة لحزب الله وتشكيلات صواريخ أرض–أرض. أي أنَّ إسرائيل، في نهاية المطاف، لم تخلّ بتوازن منظومة حزب الله، ولم تبعث في أوساطها شعورًا بالعجز أو

الخطـــر، ولـــم تـــدفع بـــالحزب إلـــى الانهيـــار الاســتراتيجي–المعرفــي بحيــث يســعى لإنهــاء الحــرب فورًا وفق الشُّروط الإسرائيليَّة[٣٩٦].

صورة ٥,٥–الاحتفال بانتصار حزب الله في حرب تمُّوز ٢٠٠٦م ورفع صور حسن نصر الله

فــي حــين أثبــت حــزب الله اللُّبنــاني قدرتــه علــى تطــوير عقيدتــه القتاليَّــة خــلال الفتــرة مــا بــين الانســحاب الإســرائيلي مــن لبنــان عــام ٢٠٠٠م وانــدلاع حــرب تمُّــوز عــام ٢٠٠٦م. طــوَّرت ميليشــيات الحــزب قــدراتها القتاليَّــة، مــن أســاليب حــرب العصــابات إلــى أســاليب الجيــوش النِّظاميَّــة، معتمــدةً علــى قــدراتها التَّكتيكيَّــة السَّــليمة. مــع ذلــك، فقــد كانــت الخســائر البشــريَّة اللُّبنانيَّــة أضــعاف خســائر الجانــب الإســرائيلي، بســقوط مــا بــين ٢٥٠ و٨٠٠٠ مــن القتلــى مــن عناصــر حــزب الله، مقابــل ١١٩ قتــيلًا و١٢٤٤ جريحًــا مــن الجــيش الإســرائيلي، إلــى جانــب مقتــل ١٠٠٠

[396] Tira, R. (2007). The limitation of standoff firepower-based operations: On standoff warfare, maneuver and decision. *Institute for National Strategic studies, Memorandum 89,* p.44.

وإصابة ٤٤٠٩ من المدنيين اللُّبنانيين، مقابل مقتل ٤٠ شخصًا وإصابة ١٤٨٩ من المدنيين من مستوطني الاحتلال.

تقييم إخفاقات جيش الاحتلال في حرب تمُّوز ٢٠٠٦م

أعدَّت لجنة الخارجيَّة والأمن في الكنيست الإسرائيلي، في ديسمبر ٢٠٠٧م، تقريرًا لتقييم أداء جيش الاحتلال في حرب لبنان الثَّانية، أو حرب تمُّوز، تكشف فيه عن الأخطاء الَّتي وقع فيها الجيش وأدَّت إلى هزيمته أمام المقاومة الشِّيعيَّة اللُّبنانيَّة[٣٩٧]. ويأتي على رأس الدُّروس المُستفادة من تلك الحرب أنَّ جيش الاحتلال كان عليه أن يخوض معركة مع حزب الله يفرض هو فيها قواعده على الطَّرف المناوئ، وليس العكس. فقد أجبر حزب الله الاحتلال على الخوض في حرب غير متكافئة، واستطاع استغلال أهمَّ نقطة ضعف لديه، وهي عدم تأهُّله لخوض معركة برِّيَّة موسَّعة في جنوب لبنان.

يعتبر تقرير لجنة الخارجيَّة والأمن في الكنيست الإسرائيلي حرب تمُّوز ٢٠٠٦م الأشدَّ قسوة من بين الحروب الَّتي خاضها الاحتلال الإسرائيلي منذ تأسيس دولته الزَّائلة قبل ٦ عقود، بما خلَّفته من ضحايا، وأحدثته من معاناة لمستوطني الاحتلال، ممَّن فقدوا الشُّعور بالأمان، والثِّقة في قدرة جيشهم على حماية أمنهم. وكذلك، شعر جنود الاحتياط بخيبة أمل بالغة، إثر فشلهم في تحقيق الانتصار المرجو، وتحقيق أهداف الحرب، وعلى رأسها إنهاء تهديدات المقاومة الشِّيعيَّة اللُّبنانيَّة للمنطقة الشَّماليَّة في دولة الاحتلال:

[٣٩٧] عدنان أبو عامر: دروس مستخلصة من حرب لبنان الثَّانية: تقرير لجنة الخارجيَّة والأمن في الكنيست الإسرائيلي الصَّادر في كانون الثَّاني/ديسمبر ٢٠٠٧، ترجمة عدنان أبو عامر، مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات، طبعة ١، ٢٠٠٨م.

خلَّفت هذه الحرب شعورًا باليأس والإحباط وخيبة الأمل في أوساط عامة الإسرائيليين، وقد كانت عشرات الإفادات الَّتي أدلى بها الضُّبَّاط والجنود وعناصر الاحتياط، الَّذين تم استدعاؤهم من قبل هذه اللَّجنة في المرحة الأولى لاستخلاص الدُّروس والعبر؛ خير معبِّر عن هذه المشاعر القاتمة. فقد عبر جنود الاحتلال، أمام أفراد اللَّجنة، عن مشاعر قاسية أثرت على مجمل أدائهم القتالي في ميدان المعركة. بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ مجمل ما قدموه من إفادات، أشارت بصورة أو بأخرى، إلى أنَّ نفير مستقبلي لخوض معركة جديدة، قد لا يجد الاستجابة نفسها الَّتي لبُّوا بها نداء الحرب الأخيرة[٣٩٨].

اعترف التَّقرير بفشل الحرب على لبنان في تحقيق أهدافها، مُعزيًا ذلك إلى خطأ تقدير قادة جيش الاحتلال، ممَّن ظنُّوا أنَّ القصف الجوِّي وحده يكفي لحسْم المعركة. في حين ثبت أنَّ الطَّريقة المثلى لخوض تلك الحرب مع حزب الله كانت بشنِّ "عمليَّة عسكريَّة برِّيَّة ذات تدريب عميق، واتِّساع جغرافي"[٣٩٩]. ثبت من خلال مجريات الأحداث في تلك الحرب أنَّ تدمير قوى حزب الله ما كان ليتأتَّى من خلال القصف الجوِّي وحده؛ فالبنى التَّحتيَّة لحزب الله لم تتأثَّر كثيرًا بذلك القصف. ويستنتج التَّقرير:

[٣٩٨] المصدر السَّابق: ص١١.
[٣٩٩] المصدر السَّابق: ص١٣.

بالتَّـالي، لـم يكـن مـن المجـدي الاكتفـاء بالغـارات الجوِّيَّـة المكثَّفـة وبالقصـف العنيـف، إذ ظـلَّ بمقـدوره (جـيش الاحـتلال) نشْـر مقاتليـه سـريعًا عبـر خلايـا صـغيرة تقـوم بـإطلاق الصَّـواريخ، وتمتلـك القـدرة علـى الاختبـاء سـريعًا، والاختفـاء عـن عيـون الطَّيَّـارين، والاحتمـاء بمواقـع السُّـكَّان المـدنيين. وفـي هـذه البيئـة الَّتـي تقـدم لـه خـدمات جليلـة تتركَّـز أهمُّهـا فـي جمْـع المعلومات الأمنيَّة والاستخباريَّة[٤٠٠].

سيناريوهات محتملة

لتجدُّد الصِّراع بين الاحتلال الإسرائيلي ولبنان

شهد صيف عام ٢٠٢٤م تصعيدًا غير مسبوق في المنطقة العربيَّة، بتتابُع أحداث مروِّعة تهدِّد بمرحلة من انعدام الاستقرار وتفاقُم الصِّراعات. ولعلَّ بداية ذلك التَّصعيد كانت بإعلان مصرع الرَّئيس الإيراني السَّابق، إبراهيم رئيسي، مع طاقم الطَّائرة المروحيَّة الَّتي كانت تقلُّه، في ٢٠ مايو ٢٠٢٤م، بعد هبوط صعب للمروحيَّة، في محافظة أذربيجان الشَّرقيَّة شمال غرب إيران، قيل إنَّه بسبب سوء الأحوال الجويَّة[٤٠١]. وقد طُرحت العديد من الافتراضات بخصوص ملابسات الحادث، وإن كان الافتراضان الأبرز هما إمَّا أن يكون الحادث عرضيًّا أو عمليَّة اغتيال مدبَّرة. وما يعزِّز من افتراض أنَّ الحادث مدبَّر أنَّ

[٤٠٠] المصدر السَّابق: ص١٥.

[٤٠١] "هبوط صعب" لمروحية الرئيس الإيراني وسط تعثر جهود الإنقاذ، سي إن إن بالعربيَّة، ١٩ مايو ٢٠٢٤م

مروحيَّة رئيس هي الوحيدة الَّتي سقطت من بين ٣ مروحيَّات كانت في موكب رئيسي[٤٠٢].

صورة ٥,٦–إبراهيم رئيس أمام مروحيَّته قبل الحادث

وتبع حادث مصرع رئيسي حادث اغتيال رئيس المكتب السِّياسي لحركة حماس وزعيم الحركة، إسماعيل هنيَّة، في ٣١ يوليو ٢٠٢٤م، أثناء زيارته لإيران للمشاركة في مراسم تنصيب الرَّئيس الإيراني الجديد، مسعود بزشكيان، بعد استهداف الاحتلال الإسرائيلي مقرَّ إقامته في طهران. وقد توعَّد النِّظام الإيراني بالرَّد على اغتيال هنيَّة بتلك العمليَّة الغادرة، ولكن في الوقت المناسب، معلنًا عدم إقدامه على المجازفة في الرَّدِّ على الاحتلال، الَّذي قد يؤجِّج الصِّراع المشتعل فعليًّا في المنطقة العربيَّة[٤٠٣]. وأعلن جيش الاحتلال، في ١ أكتوبر ٢٠٢٤م، شنَّ إيران هجومًا صاروخيًّا على دولة الاحتلال الإسرائيلي، ردًّا على

[٤٠٢] وفاة رئيسي تطرح عدة تساؤلات... ما الذي حدث لمروحية الرئيس الإيراني وهل تم اغتياله؟، فرانس ٢٤، ٢٠ مايو ٢٠٢٤م.

[٤٠٣] النظام الإيراني "لن يجازف بالانتحار" للثأر من اغتيال إسماعيل هنية في طهران، فرانس ٢٤، ٢ أغسطس ٢٠٢٤م.

اغتيال هنيَّة، وعلى بدء الاحتلال في الاجتياح البرِّي للبنان، مضيفًا أن الهجوم الَّذي تمَّ بعشرات الصَّواريخ لم يسفر عن خسائر تُذكر[٤٠٤].

صورة ٥,٧ –المرشد الأعلى للثَّورة الخمينيَّة علي خامنئي يؤدِّي صلاة الجنازة على إسماعيل هنيَّة

وبعد قرابة شهرين من اغتيال هنيَّة، أقدم الاحتلال الإسرائيلي على تنفيذ عمليَّة اغتيال أخرى لا تقلُّ فجاعةً، حيث نفَّذَّت عمليَّة مُحكمة لاغتيال الأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله، بهجوم جوِّيٍّ على مقرِّ القيادة المركزيَّة للحزب في الضَّاحية الجنوبيَّة ببيروت. وقد أعلنت صحيفة معاريف العبريَّة عن تفاصيل عمليَّة الاغتيال:

sky news عربية

تفاصيل جديدة عن اغتيال نصر الله.. عمليَّة تعقب بـ "مادة غامضة"

[٤٠٤] إيران تطلق هجومها على إسرائيل، موقع الحرَّة، ١ أكتوبر ٢٠٢٤م.

كشفت تقارير صحفية تفاصيل جديدة بشأن اغتيال الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله، حيث تعدُّ هذه الضَّربة واحدة من أكبر العمليَّات الَّتي استهدفت قيادة الحزب منذ سنوات.

وبحسب هذه التَّقارير، التقى رجل مجهول بنصر الله صافحه وقام بتلطيخ يديه بمادة غير معروفة ساعدت إسرائيل في تعقُّب مكانه.

ووفقًا للمعلومات، الَّتي نقلتها صحيفة معاريف، استغرقت إسرائيل دقيقتين لتحديد موقع نصر الله والتأكد من وجوده في مقرٍ بالضَّاحية الجنوبيَّة في بيروت.

وبعد ذلك بدقائق، شنَّت الطَّائرات الإسرائيليَّة غارات جوِّيَّة على المقرّ وأسقطت ما يقدر بـ ٨٠ طنًا من القنابل على الموقع، ممَّا أدَّى إلى مقتل نصر الله وكبار قيادات الحزب[٤٠٥].

ويطرح علي رضا حجازي، الباحث في مجال الدِّراسات المستقبليَّة، عدَّة سيناريوهات محتملة لمستقبل الصِّراع بين الاحتلال الإسرائيلي والمقاومة اللُّبنانيَّة، بزعامة حزب الل اللُّبناني الموالي لإيران، موضحًا أنَّ ذلك الصِّراع من غير المستبعد اتِّساع رقعته ليشمل عددًا من دولة المنطقة العربيَّة[٤٠٦]. في ضوء السِّيناريوهات المطروحة، من الممكن تصوُّر سيناريوهات بديلة، وفقًا لـ ٤

[٤٠٥] تفاصيل جديدة عن اغتيال نصر الله.. عمليَّة تعقب بـ "مادة غامضة"، موقع سكاي نيوز عربيَّة، ٣٠ سبتمبر ٢٠٢٤م.

[406] Hejazi, A. (2024). Exploring the Possible Scenarios of an Israeli-Lebanese Conflict. *Nuts About Leadership, 1*(3), 60-66.

متغيِّرات، وهي القوَّة القتاليَّة لجيش الاحتلال، وردِّ فعل حزب الله، وتدخُّل الولايات المتَّحدة وحلفائها، وتدخُّل إيران ومحور المقاومة. كما أنَّ تحليل العلاقات بين هذه المتغيِّرات يحذِّر من سيناريوهات غير متوقَّعة يمكن أن تؤثِّر على مسار الصِّراع بشكل كبير، وتزيد من المخاطر، الَّتي قد تخرج عن نطاق السيطرة[٤٠٧].

منذ إعلان حزب الله اللُّبناني تضامنه مع حركة حماس، في مواجهتها عمليَّة حرب القيامة الانتقاميَّة للاحتلال الإسرائيلي، منذ ٨ أكتوبر ٢٠٢٤م، لم تسفر الهجمات الَّتي تشنُّها عناصر حزب الله على المستوطنات الشَّماليَّة للاحتلال، ولا الهجمات المضادَّة الَّتي يشنُّها الاحتلال ردًّا على حزب الله، عن تقدُّم يُذكر للطَّرفين. والحقيقة الوحيدة الملموسة على أرض الواقع هي أنَّ ذلك الصِّراع تحوَّل إلى مأساة، خلَّفت آلاف القتلى والجرحى من المدنيين الفلسطينيين وملايين النَّازحين أو المشرَّدين[٤٠٨]. وقد أدَّى فشل القادة الإسرائيليين والفلسطينيين واللُّبنانيين في التَّوصُّل إلى حلٍّ دبلوماسي، وعجْز المجتمع الدُّولي عن تسهيل تحقيق السَّلام المستدام إلى جعل الصِّراع قابلًا للتَّوسُّع إلى الدُّول المجاورة، مثل لبنان وسوريا وأماكن أخرى؛ مما يعرض المزيد من الأرواح للخطر[٤٠٩].

ويطرح حجازي أوَّل سيناريو محتمل لتطوُّر الصِّراع في لبنان، وهو احتواء الصِّراع بمواجهة حزب الله اللُّبناني هجمات الاحتلال الإسرائيلي المكثَّفة بعد

---

[407] Ibid: P.60.

[٤٠٨] ضحايا الحرب الفلسطينية الإسرائيلية ٢٠٢٣: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

[409] Seth G. Jones et al. (2024). The Coming Conflict with Hezbollah., *Center for Strategic & International Studies*.

الرَّدِّ، منعًا لتفاقُم الأزمة. فحزب الله، الَّذي يواجه احتمال الهزيمة المدمرة، قي يختار نهجًا أكثر تحفظًا، فيحدَّ من هجماته على الاحتلال، ويمتنع عن جرِّ إيران وغيرها من الجهات الفاعلة الإقليميَّة إلى الصِّراع. في حين توفِّر الولايات المتَّحدة وحلفاؤها دعمًا كبيرًا للاحتلال، يقتصر إلى حدٍّ كبير على تبادل المعلومات الاستخباراتيَّة، والمساعدة اللُّوجستيَّة، والجهود الدِّبلوماسيَّة لاحتواء الصِّراع[٤١٠].

ويشير السِّيناريو الثَّاني إلى نشوب صراع إقليمي، بتدخُّل إيران ومحور والمقاومة، في حال تعرَّض لبنان لهجوم موسَّع، وقد يؤدي ذلك إلى صراع إقليمي طويل الأمد وعالي التَّدمير، مع إمكانيَّة وقوع خسائر بشريَّة كبيرة، وتدمير واسع النِّطاق، وخطر التَّصعيد إلى مواجهة أوسع نطاقًا[٤١١]. أمَّا ثالث السِّيناريوهات، فهو عبارة عن اندلاع حرب استنزاف، وفي هذا السيناريو، يشنُّ جيش الاحتلال حملة عسكريَّة ضدَّ حزب الله، يستغل فيها قوَّته النَّاريَّة وقدراته التكنولوجية. ويرد حزب الله بهجوم قوي ومنسَّق، بإطلاق وابل من الصَّواريخ والطَّائرات المسيَّرة. وتتدخَّل الولايات المتَّحدة وحلفاؤها حينها لصالح الاحتلال، بينما تدعم إيران ومحور المقاومة، وعلى رأسه حزب الله[٤١٢].

ويعتقد الباحث أنَّ السِّيناريو الرَّابع قد يكون عبارة عن حرب إقليميَّة بالوكالة، ويرى أنَّه أحد الاحتمالات قويَّة الحدوث، وهو عبارة عن تقديم الولايات المتَّحدة دعمًا عسكريًّا للاحتلال، في مقابل دعْم إيران لحزب الله. وهذا السِّيناريو محتمل

[410] Hejazi: Ibid, p.62.
[411] Hejazi: Ibid, p.63.
[412] Ibid: P.63.

للغاية، خاصَّةً إذا كانت إيران عازمة على تحدِّي الهيمنة الإقليمية للاحتلال، وتسعى إلى ترسيخ موطئ قدم أقوى في لبنان[٤١٣]. وهناك سيناريو خامس، لكنَّه ضعيف، وهو إبرام اتِّفاق هشّ لوقف إطلاق النَّار، ينقلب عليه الاحتلال بسبب استفزازات حزب الله، إذا ما أرادت إيران استغلال الوضع في المنطقة لصالحها، من خلال تحريض حزب الله على الهجوم على أهداف للاحتلال[٤١٤].

ويشير حجازي إلى أنَّ السِّيناريو الثَّاني الأقرب للحدوث هو انتصار حزب الله، بامتناع الاحتلال عن مواصلة الصِّراع معه؛ بسبب محدوديَّة قدرة الاحتلال على مواجهة الحزب المدعوم من إيران، في ظلِّ انشغاله بجبهة قطاع غزَّة. وحينها، تتدخَّل الولايات المتَّحدة برعاية اتِّفاق لوقف إطلاق النَّار يشتمل على مفاوضات سلام طويلة الأجل. بذلك، يكون حزب الله قد انتصر، بإجباره الاحتلال على وقْف التَّصعيد[٤١٥]. أمَّا السِّيناريو الأخير، فهو الوصول إلى طريق مسدود، بشنِّ الاحتلال هجمات محدودة نتيجة لضعف الدَّعم الأمريكي، بينما يردُّ حزب الله بضربات بالاعتماد على شبكات الأنفاق، واستغلال نقاط ضعف جيش الاحتلال، واستخدام التَّضاريس لصالحها. وقد يؤدِّي ذلك إلى استمرار للصِّراع، دون وجود حلٍّ مناسب[٤١٦].

علاوة على ما سبق، يطرح حجازي عدَّة سيناريوهات عالية المخاطر، قد تؤدِّي إلى نتائج كارثيَّة، وعلى رأسها المواجهة النَّوويَّة، بتبادل الهجوم على المنشآت النَّوويَّة بين الاحتلال الإسرائيلي وإيران، بشنِّ حزب الله هجومًا على مفاعل

413 Ibid: P.63.
414 Ibid: P.64.
415 Ibid: P.64.
416 Ibid: P.64.

ديمونا النَّووي الإسرائيلي وإصابته بضربة دقيقة؛ مما يتسبَّب في أضرار جسيمة وتسرُّبات إشعاعيَّة محتملة. وترد إسرائيل بشنِّ المزيد من الضَّربات الجويَّة ضدَّ المواقع النَّوويَّة الإيرانيَّة، ممَّا يؤدِّي إلى تصعيد الصِّراع إلى حرب إقليميَّة شاملة[٤١٧]. وهناك سيناريو آخر أقلُّ خطورة، وهو شنِّ حزب الله مناورة مفاجئة لانتزاع مرتفعات الجولان من قبضة الاحتلال، ليرد الاحتلال بغزو برِّي واسع النطاق لجنوب لبنان بهدف تدمير القدرات العسكريَّة لحزب الله. وحينها، تتدخَّل الولايات المتَّحدة وحلفاؤها بتقديم المعلومات الاستخباراتيَّة والدعم العسكري اللَّازم للاحتلال. وتردُّ إيران بدورها بدعم مُطلق لحزب الله؛ وحينها تنشب حرب إقليميَّة واسعة النِّطاق[٤١٨].

أمَّا السِّيناريو الأخير بين السِّيناريوهات عالية الخطورة، فهو شنُّ هجوم إلكتروني واسع النِّطاق، بأن يشنَّ حزب الله، بدعم من إيران، هجومًا إلكترونيًّا متطورًا على البنية التَّحتيَّة الحيويَّة للاحتلال، بإصابة شبكة الكهرباء وأنظمة المياه وشبكات القيادة والسَّيطرة العسكريَّة في دولة الاحتلال؛ ممَّا يسفر عن اضطراب واسع النِّطاق. وقد يتعطَّل سلاح الجو الإسرائيلي ونظام الدِّفاع المضادُّ للصَّواريخ، "القبة الحديديَّة"، مؤقَّتًا. وحينها، يردُّ الاحتلال بقدراته الفائقة، مستهدفًا البنى التَّحتية اللُّبنانيَّة والإيرانيَّة. وقد يؤدِّي ذلك بدوره إلى اندلاع حرب إلكترونيَّة عالميَّة ذات آثار بعيدة المدى على الأمن السيبراني الدُّولي[٤١٩].

---

[417] Ibid: P.64.
[418] Ibid: P.65.
[419] Ibid: P.65.

على ذلك؛ فإنَّ الصِّراع بين الاحتلال الإسرائيلي وحزب الله اللُّبناني يتميَّز بدرجة عالية من عدم اليقين، ومن الممكن أن يفضي إلى حرب إقليميَّة واسعة النِّطاق، خاصَّة في حالة استمرار التَّصعيد، الَّذي قد يرقى إلى مواجهة نوويَّة تتسبَّب في كارثة بيئيَّة وخسائر بشريَّة هائلة. وقد يُسهم رفْع الوعي بالسِّيناريوهات المحتملة لاتِّساع رقعة الصِّراع في الحدِّ من المخاطر المحيطة بها، وكذلك في إيجاد حلول ممكنة لإيقاف التَّصعيد.

الفصل السَّادس

الاستيطان الإسرائيلي للضَّفَّة الغربيَّة

وتداعياته على مخطَّط إسرائيل الكبرى

في ضوء الرُّؤى التَّوسُّعيَّة لأقطاب الحركة الصُّهيونيَّة، وفي مقدِّمتهم تيودور هرتزل، وزئيف فلاديمير جابوتنسكي، والحاخام ياكوف ليبوفيتش فيشمان، استغلَّت حكومة الاحتلال الإسرائيلي هزيمة الجيوش العربيَّة في حرب الأيَّام السِّتَّة في يونيو ١٩٦٧م، في تأسيس بؤر استيطانيَّة في الأراضي الَّتي اجتاحها جيش الاحتلال خارج حدود دولة اليهود الَّتي أُسِّست عام ١٩٤٨م، والَّتي نصَّ على مساحتها قرار الأمم المتَّحدة رقم ١٨١، الخاص بتقسيم فلسطين، والصَّادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م. غير أنَّ الادِّعاءات الدِّينيَّة والتَّاريخيَّة الَّتي تضمَّنتها شهادة الحاخام فيشمان، أمام اللَّجنة الخاصَّة التَّابعة للأمم المتَّحدة في عام ١٩٤٧م[٤٢٠]، منحت المشروعيَّة لمخطَّط تأسيس دولة الاحتلال الكبرى وفق الحدود المذكورة في العهد القديم، والَّتي تشمل الضَّفَّة الغربيَّة لنهر الأردن.

[420] Fischmann, Y. (1947, July 9). *Testimony to the United Nations Special Committee on Palestine (UNSCOP)*. United Nations.

وقد حرصت حكومات الاحتلال الإسرائيلي المتعاقبة، منذ عام ١٩٦٧م حتَّى يومنا هذا، على زيادة عدد مستوطنات الضَّفَّة الغربيَّة، حتَّى وصل عددها إلى نحو ١٧٦ مستوطنة و١٨٦ بؤرة استيطانيَّة، يسكنها ٧٢٦ ألفا و٤٢٧ مستوطنًا[٤٢١]، وفق إحصاء أُجري مطلع عام ٢٠٢٣م. ووضعت حكومات الاحتلال، لا سيِّما حكومة اللِّيكود الحالية برئاسة بنيامين نتنياهو، سياسات استيطانيَّة تعسُّفيَّة، شجَّعت على طمْس الهويَّة العربيَّة للضَّفَّة العربيَّة، وعزَّزت الوجود اليهودي، وضيَّقت الأوضاع المعيشيَّة للفلسطينيين، وكذلك:

> رسَّخت السياسات الاستيطانيَّة مشروع تفتيت الضَّفَّة الغربيَّة، وعزْل المواطنين الفلسطينيين في مناطق محدودة المساحة مقطعة الأوصال، وعملت على تجزئة الأسواق والمجتمعات المحلِّيَّة الفلسطينيَّة، ومنعت من تحقيق تنمية اقتصاديَّة واجتماعيَّة، إضافةً إلى انتهاك حقوق الإنسان الفلسطيني، وإلغاء أي إمكانية لإقامة دولة فلسطينيَّة في الضَّفَّة الغربيَّة[٤٢٢].

هذا، وقد اعترف الرَّئيس الأمريكي السَّابق، دونالد ترامب (يناير ٢٠١٧-يناير ٢٠٢١م)، في ١٨ نوفمبر ٢٠١٩م بشرعيَّة مستوطنات الاحتلال الإسرائيلي في الضَّفَّة الغربيَّة، معتبرًا أنَّها لا تخرق القوانين

[٤٢١] المستوطنات في الضفة الغربية.. تجمعات إسرائيلية تقضم أراضي الفلسطينيين، موقع الجزيرة نت، ٣ نوفمبر ٢٠٢٣م.
[٤٢٢] المصدر السَّابق.

الدُّوليَّة[٤٢٣]، في خطوة أثارت حالة واسعة من الغضب في الأوساط العربيَّة. واعتبرت مجلَّة السِّياسة الخارجيَّة الأمريكيَّة، فورين بوليسي (Foreign Policy)، أنَّ قرار ترامب يمثِّل نهاية مرحلة السَّلام الأمريكي (Pax Americana)، وهي المرحلة الَّتي هيمنت فيها الولايات المتَّحدة على السِّياسة الخارجيَّة في العالم، وتحديدًا منذ نهاية الحرب العالميَّة الثَّانية، عام ١٩٤٥م، حيث قال الكاتب مايكل موران في مقال نشرته المجلَّة تعقيبًا على قرار ترامب:

> بإعلانها، في وقت سابق من هذا الأسبوع، أنَّ الولايات المتَّحدة لا تعتبر المستوطنات الإسرائيليَّة في الضَّفَّة الغربيَّة غير قانونيَّة – وبالتَّالي الاعتراف بشكل ما من أشكال السِّيادة الإسرائيليَّة على الأراضي المحتلَّة – فإنَّ إدارة الرَّئيس دونالد ترامب لم تقوِّض أكثر من ٥٠ عامًا من الهيمنة الأمريكية على الأراضي الفلسطينيَّة المحتلَّة فحسب، إنَّما قوَّضت كذلك الأساس الَّذي استندت إليه الولايات المتَّحدة في اعتراضها على استيلاء روسيا على الأراضي في شبه جزيرة القرم، واستحواذ الصِّين على التَّبت في الخمسينيَّات من القرن الماضي، والخطط الحالية بشأن بحر الصِّين الجنوبي، وأيِّ تحرُّك مستقبلي من جانب أيٍّ منهما لتوسيع حدودهما إلى أماكن حيث

[423] Jakes, L & Halbfinger, D. (2019, November 19). In Shift, U.S. Says Israeli Settlements in West Bank Do Not Violate International Law. *The New York Times.*

يمكـنهم التَّأكيـد علـى منطـق تـاريخي أو عرقـي، حتَّـى لـو كان واهيًا[٤٢٤].

سياسة الاستيطان الإسرائيليَّة في الضَّفَّة الغربيَّة: نظرة شاملة

منذ احتلال الضَّفَّة الغربيَّة في يونيو ١٩٦٧م، انتهجت الحكومات الإسرائيليَّة، على اختلاف انتماءاتها، سياسة التَّوسُّع في تأسيس المستوطنات، وإن ازداد التَّوسُّع بمرور الوقت[٤٢٥]. فقد اكتفت حكومات حزب العمل، على مدار العقد التَّالي لاحتلال الضَّفَّة الغربيَّة، بتأسيس مستوطنات في مناطق اعتبرتها ذات أهميَّة، في ضوء خطَّة آلون، وهي خطَّة وضَعها ايغال آلون، الوزير السَّابق في حكومة الاحتلال والقائد العسكري البارز، وقامت على "ضمِّ معظم غور الأردن من النَّهر إلى المنحدرات الشَّرقيَّة لحافة تلال الضَّفَّة الغربيَّة، والقدس الشَّرقيَّة، وكتلة عتصيون[٤٢٦]" إلى حدود دولة الاحتلال. وركَّزت خطَّة آلون على الأماكن ذات الكثافة السُّكَّانيَّة المنخفضة، واستندت في تأسيس تلك المستوطنات إلى حاجة دولة الاحتلال في تأمين حدودها من أيِّ عدوان محتمل من دول الجوار المعادية لها.

ومـع صـعود حـزب اللِّيكـود، المسـتند إلـى تعـاليم زئيـف فلاديميـر جابوتنسـكي، مؤسِّـس الصُّـهيونيَّة التَّصـحيحيَّة، والمتشـدِّدة فـي إصـرارها علـى تأسـيس دولـة الاحـتلال علـى كامـل الحـدود الَّتـي تشـير إليهـا

[424] Moran, M. (2019, November 22). Recognizing Israeli Settlements Marks the Final Collapse of Pax Americana. *Foreign Policy.*

[٤٢٥] مجلة الدراسات الفلسطينية: سلب الأراضي وسياسة الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية-ملخَّص تقرير بتسليم مايو ٢٠٠٢، مجلد ١٣، عدد ٥١، صيف ٢٠٠٢م.

[٤٢٦] خطَّة آلون: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

النُّصوص الكتابيَّة والأدلَّة التَّاريخيَّة، إلى الحُكم عام ١٩٧٧م، برئاسة مناحيم بيغن، زعيم عصابة ارغون الإرهابيَّة قبل تأسيس دولة الاحتلال، طبَّقت حكومة الاحتلال سياسة أقلَّ حرجًا في تأسيس المستوطنات، حيث أسَّست المستوطنات في كافَّة أنحاء الضَّفَّة الغربيَّة، بما يشمل المناطق عالية الكثافة السُّكَّانيَّة، حتَّى قمم الجبال، وفي المناطق الواقعة غربي خط رام الله – نابلس. وحتَّى خلال فترة عودة حكومة حزب العمل إلى السُّلطة، ما بين عاميّ ١٩٩٢م و١٩٩٦م، استمرَّ التَّوسُّع في بناء المستوطنات في الضَّفَّة الغربيَّة، بحجَّة ارتفاع عدد المستوطنين وضرورة مواجهة تلك الكثافة، دون تقيُّد بالقانون الدُّولي.

فالقانون الدُّولي ينصُّ على منْع دول الاحتلال من نقْل مواطنيها إلى أراضي الدُّول الَّتي تحتلُّها، بموجب البند ٤٩ في اتِّفاقيَّة جنيف الرَّابعة لعام ١٩٤٩م. وكذلك، يمنع نظام لاهاي دول الاحتلال من إجراء تغييرات دائمة في الأراضي المحتلَّة، باستثناء ما يخدم الحاجات العسكريَّة، أو لصالح السُّكَّان الأصليين. غير أنَّ عدم شرعيَّة المستوطنات لا يؤثِّر على مكانة المستوطنين، بوصفهم مواطنين مدنيين من حقِّهم الحصول على كامل حقوقهم. وبعد سنوات من اعتراف دونالد ترامب بشرعيَّة مستوطنات الضَّفَّة الغربيَّة، أعلن خليفته، جو بايدن (يناير ٢٠٢١–يناير ٢٠٢٥م)، في ٢٣ فبراير ٢٠٢٤م سحْب اعتراف الإدارة الأمريكيَّة بتلك الشرعيَّة[٤٢٧].

[427] Lewis, S. & Pamuk, H. (2024, February 23). US says Israel's new settlements in West Bank are 'inconsistent' with international law. *Reuters.*

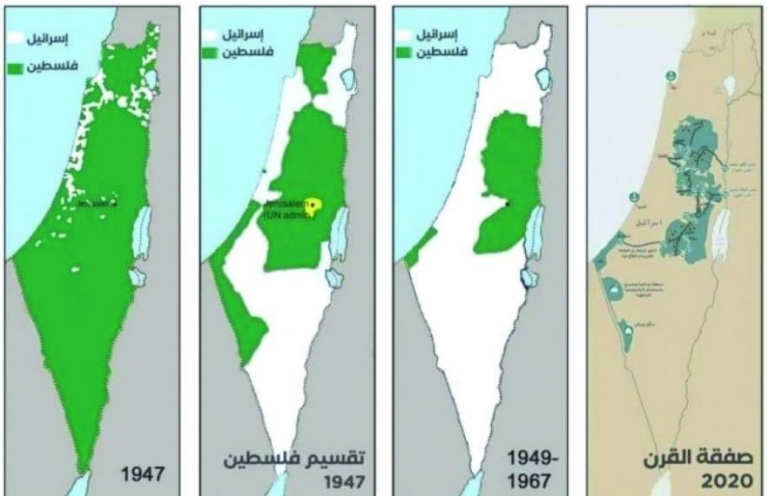

صورة ٦,١-خارطة فلسطين منذ تأسيس دولة الاحتلال حتَّى صفقة القرن

أمَّا عن طريقة نقْل ملكيَّة الأراضي في الضَّفَّة الغربيَّة من الفلسطينيين إلى مستوطني الاحتلال، فهي تقوم على التَّلاعب وعدم الالتزام بالقانون، وأحيانًا دون علم أصحابها؛ فالهدف الأساسي هو إقامة مستوطنات بما يخالف القانون الدُّولي؛ وبالتَّالي، لا حاجة لاتِّباع القانون في نقْل ملكيَّة الأراضي:

> الاستيلاء على الأراضي تمَّ بمخالفة القوانين الأساسية لأيّ إجراء عادل، حيث في الكثير من الأحيان لم يعرِّف الفلسطينيون بأنَّ أراضيهم قد تمَّ تسجيلها على اسم الدَّولة، ولمَّا عرفوا بذلك كان موعد تقديم الاعتراض متأخرًا، بل وواجب الإثبات وقع دائمًا على الفلسطينيين الَّذين يدَّعون بأنَّ الأراضي ملك لهم. ولو نجح صاحب الأرض بإثبات ملكيته للأرض، في بعض الأحيان، تسجَّل الأرض باسم الدَّولة بادَّعاء أنَّ هذه الأرض قد تم تسليمها للمستوطنة ''بحسن نية''[٤٢٨].

[٤٢٨] مجلة الدراسات الفلسطينية: المصدر السَّابق، ص٢.

والمفارقة غير الدَّاعية للدَّهشة أنَّ محكمة العدل الدُّوليَّة تسهِّل عمليَّة الاستيلاء على الأراضي التَّابعة للفلسطينيين، من خلال منْح الاحتلال الشَّرعيَّة في زعمه بأن مصادرة الأراضي يرجع لأسباب أمنيَّة أو عسكريَّة مُلحَّة، بينما لم تتدخَّل لإعادة الأراضي إلى أصحابها، إن أثبتوا ملكيَّتها لها. وبرغم أنَّ الضَّفَّة الغربيَّة لا تتبع دولة الاحتلال رسميًّا، فقد تعمَّدت الحكومات المتعاقبة تطبيق القوانين الإسرائيليَّة على مستوطناتها، بدلًا من القوانين الأردنيَّة المفترَض تطبيقها في تلك المستوطنات. علاوة على ذلك، تواصل حكومات الاحتلال تشجيع الهجرة اليهوديَّة المستوطنات الجديدة، من خلال منْح مكافآت ومحفزّات اقتصاديَّة مباشرة للمواطنين أو للسُّلطات المحليَّة اليهوديَّة[٤٢٩]. فالمنح الحكوميَّة لمستوطني الضَّفَّة الغربيَّة تفوق المقدَّمة للمستوطنين القاطنين داخل الحدود الرَّسميَّة لدولة الاحتلال، بما يصل أحيانًا إلى ٦٥ بالمائة:

> توريد أموال عن طريق دائرة الاستيطان التَّابعة للمنظَّمة الصُّهيونيَّة العالميَّة، يعدّ إحدى الآليات الَّتي تستعملها الحكومة لتفضيل السُّلطات المحليَّة اليهوديَّة الموجودة في الضَّفَّة الغربيَّة، مفضِّلة إيَّاها على السُّلطات المحليَّة داخل إسرائيل. على الرَّغم من أنَّ ميزانيَّة دائرة الاستيطان مصدرها أصلًا من ميزانيَّات الدَّولة، لكونها مؤسَّسة غير حكوميَّة، إلَّا إنَّها لا تخضع للقوانين والقواعد الملزِمة للوزارات الحكوميَّة في إسرائيل[٤٣٠].

[٤٢٩] المصدر السَّابق: ص٤.
[٤٣٠] المصدر السَّابق: ص٤.

ويقسِّم الاحتلال الإسرائيلي الضَّفَّة الغربيَّة إلى ٤ مناطق، ٣ منها عبارة عن قطاعات طوليَّة تمتدُّ من الشَّمال إلى الجنوب، ومنطقة القدس، ذات الأهميَّة الخاصَّة؛ لما تضمُّه من منشآت دينيَّة، على رأسها المسجد الأقصى المبارك. ويقسِّم الاحتلال كلَّ منطقة من المناطق الأربع إلى ٣ مناطق: منطقة بناء المستوطنة، والمنطقة المحيطة بها الخاضعة لحدودها البلديَّة، ومنطقة نفوذ المجالس المحلِّيَّة غير التَّابعة للمستوطنة. وقد بلغ نفوذ مستوطنات الاحتلال الإسرائيلي في الضَّفَّة الغربيَّة إلى ٦٠ بالمائة من مساحتها، والمبني فيها لا يتعدَّى ١,٦ بالمائة من تلك المساحة[٤٣١].

بإيجاز، طبَّقت حكومة الاحتلال الإسرائيلي في الضَّفَّة الغربيَّة نظامًا يقوم على الفصل العنصري، بإقامة جهازين قضائيين منفصلين، واستطاعت بالتَّحاليل الاستيلاء على مساحات واسعة من أراضي الفلسطينيين، دون سابق إنذار في بعض الأحيان. وبينما يعاني العرب في الضَّفَّة الغربيَّة من كافَّة أشكال انتهاك حقوق الإنسان، يتمتَّع مستوطنو الاحتلال ممَّن يعيشون داخل الخطِّ الأخضر، وهو المنطقة الفاصلة بين الأراضي المحتلَّة عام ١٩٤٨م والمحتلَّة عام ١٩٦٧م، بكافَّة الحقوق الَّتي حُرمها أصحاب الأرض الأصليون. وتعمَّدت حكومة الاحتلال توظيف القوانين بما يتناسب مع مصالحها في ضمِّ الأراضي الجديدة؛ فلو كان تطبيق القانون الأردني هو الأنسب لخدمة ذلك الغرض، يتم تطبيقه، وإنَّ كان القانون الأردني متعارضة مع المصلحة، يتم إلغاؤه بقانون عسكري!

[٤٣١] عوض الرَّجوب: خبير فلسطيني للجزيرة نت: نفوذ المستوطنات يطال ٦٠% من مساحة الضفة، موقع الجزيرة نت، ٢٥ فبراير ٢٠٢٤م.

وتنوي حكومة الاحتلال بناء ٣٥٠٠ وحدة استيطانيَّة جديدة في الضَّفَّة الغربيَّة، وهو ما وصفه مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان بأنه مخالف للقانون الدُّولي، بقوله إنَّ "إنشاء المستوطنات وتوسيعها المستمر يرقيان إلى نقْل إسرائيل لسكَّانها المدنيين إلى الأراضي التي تحتلها، وهو ما يرقى بدوره إلى جريمة حرب حسب القانون الدُّولي"[٤٣٢]:

إسرائيل تمهد لبناء ٣٥٠٠ وحدة استيطانية جديدة في الضَّفَّة الغربيَّة

أعلن وزير المالية الإسرائيلي بتسلئيل سموتريتش عزم الحكومة الإسرائيليَّة على مواصلة سياسة الاستيطان في الأراضي الفلسطينيَّة مشيرا إلى إصدار أكثر من ١٨ ألف رخصة بناء هذا العام في الضَّفَّة الغربيَّة المحتلَّة.

وصادقت سلطات الاحتلال على بناء حوالي ٣٥٠٠ وحدة استيطانيَّة جديدة معظمها في مستوطنة معاليه أدوميم شرق مدينة القدس.

ووفقا لإذاعة الجيش الإسرائيلي، فقد تم اتخاذ قرار بناء هذه الوحدات الجديدة عقب عملية إطلاق النار التي وقعت بالقرب

[٤٣٢] تقرير أممي حول توسيع المستوطنات الإسرائيليَّة غير القانونيَّة بالضَّفَّة الغربيَّة المحتلَّة، موقع الأمم المتَّحدة، ٨ مارس ٢٠٢٤م.

من حاجز الزَّعيم شرق مدينة القدس في فبراير/شباط الماضي، وأسفرت حينئذ عن مقتل إسرائيلي وإصابة ٨ آخرين[٤٣٣].

مآل مخطَّط استيطان الضَّفَّة الغربيَّة

في عهْد الحكومة اليمينيَّة المتطرِّفة

فاز تيَّار اليمين المتطرِّف بأغلبية مقاعد الكنيست الإسرائيلي، في الانتخابات البرلمانيَّة الَّتي أُجريت في دولة الاحتلال الإسرائيلي في نوفمبر ٢٠٢٢م، وكانت الخامسة خلال ٤ سنوات. حصل تيَّار اليمين المتطرِّف على ٦٤ مقعدًا في الكنيست، وهو ما أتاح لبنيامين نتنياهو العودة إلى منصبه رئيسا للحكومة، بعد أن تركه في يونيو ٢٠٢١م[٤٣٤]، بالتَّحالف مع حزب القوَّة اليهوديَّة، برئاسة المتطرِّف ايتمار بن غفير، الَّذي تولَّى منصب وزير الأمن الدَّاخلي، وكذلك مع حزب البيت اليهودي، الَّذي يمثِّله بتسلئيل سموتريتش، والَّذي تولَّى منصب وزير الماليَّة. وتكوَّن تحالف اليمين المتطرِّف من حزب اللِّيكود، وحزب شاس، وحزب الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة، وحزب يهودت هتوراه.

ومن اللَّافت للانتباه أنَّ تصويت مستوطني الاحتلال الإسرائيلي لصالح الأحزاب الدِّينيَّة ارتفع بنسبة ٤٥ بالمائة عنه في الانتخابات السَّابقة، لتحصل تلك الأحزاب على ٣٠ مقعدًا، وهو ربع عدد مقاعد الكنيست، وفي ذلك ما يمثِّل تحوُّلًا فارقًا في المشهد السِّياسي داخل دولة الاحتلال. وما أثار المخاوف عن تشكيل الحكومة الحالية للاحتلال أنَّ كثيرًا من أعضائها متورِّطون في أعمال

[٤٣٣] إسرائيل تمهد لبناء ٣٥٠٠ وحدة استيطانية جديدة في الضفة الغربية، موقع الجزيرة نت، ٦ مارس ٢٠٢٤م.

[٤٣٤] بعد نتائج أولية.. ماذا يعني صعود اليمين المتطرف بإسرائيل؟، موقع سكاي نيوز عربيَّة، ٣ نوفمبر ٢٠٢٢م.

عنف ضدَّ الفلسطينيين، ولهم تاريخ طويل في العمل التَّخريبي، سواءً لتهجير المواطنين العرب، أو لهدْم المسجد الأقصى المبارك[٤٣٥]. ولا شكَّ في أنَّ لنتائج الانتخابات تلك انعكاساته على سياسة الاستيطان الَّتي يتَّبعها الاحتلال الإسرائيلي:

> التَّحوُّل الأهمّ الَّذي يفرض نفسه اليوم، يتمثَّل بتكوين ومخرجات المستوطن والمستوطنة، الَّتي بدأت تقدِّم مستوطنًا مختلفًا ومؤسَّسة استيطانيَّة أكثر قوَّةً، تأخذ الصُّهيونيَّة إلى أقصاها، بما عبَّر عنه المستوطن والحاخام الصُّهيوني السَّابق مائير كاهانا، مؤسِّس حركة كاخ الإرهابيَّة، ويعبِّر عن بن غفير وسموتريتش، بأنَّ الأرض لا تقبل الغرباء، وأنَّ أيَّ مكوَّن عربي في فلسطين يمثِّل خطرًا على الصُّهيونيَّة[٤٣٦].

صورة ٦,٢–تحالُف بتسلئيل سموتريتش مع ايتمار بن غفير

[٤٣٥] إبراهيم سميح ربايعة: الاستيطان الإسرائيلي في الضَّفَّة الغربيَّة: المشروع ومآلاته، المستقبل العربي، أكتوبر ٢٠٢٣م، صـ٥٩-٧٤.

[٤٣٦] المصدر السَّابق: ص٦٠.

وتتميَّز السِّياسة الاستيطانيَّة للاحتلال الإسرائيلي في مرحلة ما بعد حرب يونيو ١٩٦٧م بأنَّها تستند إلى ركيزة دينيَّة، بخلاف النَّزعة العلمانيَّة الَّتي ميَّزت المهاجرين الأوائل، الَّذين استوطنوا فلسطين بدءًا من أواخر القرن التَّاسع عشر للميلاد، بعد أن أسَّس القس الإنجيلي الأمريكي، وودر جريسون، أوَّل مستعمرة يهوديَّة عام ١٨٥٢م، بعد هجرته إلى فلسطين تحت ستار عمله سفيرًا لبلاده[٤٣٧]. ويتمتَّع النَّشاط الاستيطاني الحالي، سواءً في الضَّفَّة الغربيَّة أو في قطاع غزَّة، بتأييد رسمي وشعبي، في تأكيد على رفض المستوطنين التَّخلِّي عن مكتسبات الاحتلال من الأراضي، في مقابل إبرام اتِّفاقيَّات تطبيع مع الدُّول العربيَّة، بدافع من عقيدة "أرض إسرائيل"، الَّتي تعتبر الأرض والشَّعب اليهودي وَحدة لا تقبل التَّقسيم[٤٣٨].

وكانت حركة غوش ايمونيم الاستيطانيَّة، وهي حركة يمينيَّة متطرِّفة أخذت على عاتقها إنشاء مستوطنات يهوديَّة في الضَّفَّة الغربيَّة وقطاع غزَّة والجولان، أوَّل حركة تنتمي إلى تيَّار الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة تُقدم على تدشين نشاط استيطاني عام ١٩٨٠م، بتأسيس ٦٨ مستوطنة في الضَّفَّة الغربيَّة، سكنها ٥٨ ألف مستوطن، وذلك بتمويل من الوكالة اليهوديَّة. وكانت المدارس الدِّينيَّة تتولَّى مهمَّة حشْد المستوطنين للانتقال إلى مستوطنات الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة، ومن تلك المدارس مركز حاراف الدِّيني، الَّذي أسَّسه الحاخام أبراهام كوك، وكان أعضاء حركة غوش ايمونيم من خرِّيجيه.

---

[٤٣٧] محمَّد السَّمَّاك الأصوليَّة الإنجيليَّة: الصُّهيونيَّة المسيحيَّة والموقف الأمريكي، مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٩١م، ص٦٥.

[٤٣٨] مهنَّد مصطفى: المستوطنون من الهامش إلى المركز، المركز الفلسطيني للدِّراسات الإسرائيليَّة-مدار، رام الله، ٢٠١٣م، صـ١٤-١٥.

وجاء قرار حكومة اللِّيكود بالانسحاب من مستوطنات شبه جزيرة سيناء المصريَّة، بموجب اتِّفاقيَّة كامب ديفيد لعام ١٩٧٨م، ثمَّ من بعض أراضي الضَّفَّة الغربيَّة، أو يهودا والسَّامرة، بموجب اتِّفاقيَّة أوسلو لعام ١٩٩٣م، بمثابة صفعة قويَّة زعزعت الإيمان بعيدة "أرض إسرائيل". غير أنَّ الانسحاب من بعض الأراضي المحتلَّة أثمر عن تأسيس مجلس المستوطنات عام ١٩٨٠م، الَّذي حوَّل المستوطنات بدوره إلى كتلة تنظيميَّة صلبة[٤٣٩]. فقد حوَّلت جهود ذلك المجلس النَّشاط الاستيطاني من أحد أركان المشروع الصُّهيوني إلى أحد ركائزه، بمعنى أنَّ المشروع الصُّهيوني هو الَّذي صار يعتمد على الاستيطان، لا العكس. ولم توقف اتِّفاقيَّتا أوسلو عام ١٩٩٣م ووادي عربة عام ١٩٩٤م من النَّشاط الاستيطاني، بل زادت مساحة الرُّقعة الخاضعة للاحتلال:

> وضعت اتِّفاقيَّة أوسلو ٦٠ بالمائة من الضَّفَّة الغربيَّة تحت سيطرة إداريَّة وأمنيَّة إسرائيليَّة، وسُمِّيت الأراضي المُصنَّفة "ج"، على أن تُنقل هذه الأرض إلى السَّيطرة الفلسطينيَّة خلال ١٨ شهرًا، لكنَّ هذا لم يحدث، بل تحوَّلت هذه المناطق إلى مساحة خصبة لامتداد المشروع الاستيطاني وتحويل المناطق الفلسطينيَّة إلى معازل، وهو ما يتَّسق مع هدف الاستيطان الأوَّل[٤٤٠]...

وقد لوحظ في السَّنوات الأخيرة نشأة علاقة تكامليَّة بين جيش الاحتلال والمستوطنين، خاصَّةً فيما يتعلَّق بالاعتداء على الفلسطينيين وممتلكاتهم. منذ

[٤٣٩] إبراهيم سميح ربايعة: المصدر السَّابق، ص٦٢.
[٤٤٠] المصدر السَّابق: ص٦٣.

حرب الأيَّام السِّتَّة عام ١٩٦٧م، توطَّدت العلاقة بين الجيش وتيَّار الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة، الدَّاعم الأكبر للنَّشاط الاستيطاني، برغم معارضة حاخامات الحركة أي انسحاب من الأراضي المكتسبة في حرب عام ١٩٦٧م، ومنهم الحاخام تسفي كوك، الَّذي أمر المستوطنين بتحدِّي أوامر الحكومة، ورفْض التَّخلِّي عن مستوطناتهم، ولو تطلَّب ذلك شنّ حرب على الحكومة. ومنذ مطلع الثَّمانينيَّات من القرن الماضي، حصلت المستوطنات على صلاحيَّات واسعة، بمنأى عن الجيش، حيث استقلَّت عنه مجالسها في اتِّخاذ القرارات، وإن ازدادت خدمة المستوطنين في جيش الاحتلال.

وقد شهدت السَّنوات الأخيرة تنامي عدد المتدينين من أفراد الجيش، حيث يحرص الحاخامات على تشجيع الشَّباب على أداء الخدمة العسكريَّة، بعد إعدادهم دينيًّا للمشاركة في نهضة دولة الاحتلال. على ذلك؛ يمكننا أن نستنتج أنَّ مستوطني الضَّفَّة الغربيَّة يعملون وفق "منظومة متكاملة تديرها عمليًّا جمعيَّات استيطانيَّة متخصِّصة، تتكامل بوظائفها السِّياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة"، وتحت رقابة الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة[٤٤١]. ولم يعد شباب الجيل الحالي من المستوطنين يخشون التَّخلِّي عن مستوطناتهم بموجب اتِّفاقيَّات جديدة للسَّلام؛ بل يرون أنفسهم أصحاب الأرض، بينما الفلسطينيون هم الغرباء. وقد أُسِّست جمعية تحمل اسم الحارس الجديد؛ بهدف حماية المستوطنين من المخرِّبين الفلسطينيين[٤٤٢]!

---

[٤٤١] المصدر السَّابق: ص٧٠.

[٤٤٢] عليان الهندي: شبيبة التلال، المركز الفلسطيني للدِّراسات الإسرائيليَّة-مدار، رام الله، ٢٠٢٢م، ص٣٣-٤٧.

صورة ٦,٣-مستوطنون متطرِّفون يعتدون على الفلسطينيين بمعاونة أفراد جيش الاحتلال

اكتمال المخطَّط الاستيطاني بوصول اليمين المتطرِّف إلى السُّلطة

لن ننسى أنَّ تيَّار الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة هو الدَّاعم الأكبر للمخطَّط الاستيطاني في أرض فلسطين، بدافع من عقيدة خلاص الشَّعب اليهودي، الَّذي لم يكتمل إلَّا بتأسيس دولة اليهود الكبرى وبناء الهيكل الثَّالث، تمهيدًا لمجيء المخلِّص المنتظر. ويتطلَّب ذلك إنهاء الوجود العربي في فلسطين المحتلَّة، ولو بارتكاب المجازر، كما أوصى زئيف فلاديمير جابوتنسكي. وقد تشجَّع سكَّان مستوطنة يتسهار في فبراير ٢٠٢٣م، أي بعد أسابيع من تولِّي حكومة اليمين المتطرِّف السُّلطة، على ارتكاب أعمال عنف شنيعة في حقِّ الفلسطينيين، بإحراق منازلهم ومنشآتهم التُّجاريَّة ومركباتهم. وقد أفادت الأمم المتَّحدة في تقرير لها بأنَّ عام ٢٠٢٣م شهد موجة من عنف المستوطنين هي الأشدّ منذ عام ٢٠٠٦م، حتَّى قبل عمليَّة طوفان الأقصى في ٧ أكتوبر الماضي[٤٤٣].

[٤٤٣] ريم الشيخ: عنف المستوطنين يضيق الخناق على الفلسطينيين في الضفة الغربية، ودول غربية تتصدى بالعقوبات، بي بي سي نيوز عربي، ٥ مايو ٢٠٢٤م.

صورة ٦,٤–وزيرة الاستيطان والمهام الوطنيَّة في الحكومة اليمينيَّة المتطرِّفة، أوريت ستروك

ومن المثير للاهتمام أنَّ وزيرة الاستيطان والمهام الوطنيَّة، أوريت ستروك، المنتمية إلى حزب الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة المتطرِّف، قد خرجت بتصريح مثير للجدل، في مارس ٢٠٢٣م، أكَّدت فيه تخطيط حكومة الاحتلال لاستعادة المستوطنات السَّابقة في قطاع غزَّة، الَّتي انسحبت منها في عام ٢٠٠٥م، خطَّة فكِّ الارتباط الأحاديَّة، مؤكِّدة أنَّ ذلك سيحدث آجلًا أم عاجلًا:

أخبار سياسة اقتصاد ثقافة رياضة فن تكنولوجيا تراث ميدان البرامج

عقب قرار للكنيست بالعودة إلى مستوطنات بالضَّفَّة.. وزيرة إسرائيلية: مستوطنات غزة جزء من أرضنا وسنعود إليها

قالت وزيرة إسرائيليَّة اليوم الثُّلاثاء إنَّ المستوطنات الَّتي انسحبت منها تل أبيب في قطاع غزَّة عام ٢٠٠٥ جزء من أرض إسرائيل، و"سيأتي اليوم الَّذي نعود فيه إليها."

جاء ذلك خلال تصريحات أدلت بها وزيرة الاستيطان والمهام الوطنيَّة أوريت ستروك للقناة السَّابعة الإسرائيليَّة، من داخل مستوطنة حوميش (شمالي الضَّفَّة الغربيَّة المحتلَّة).

وقالت ستروك –وهي من حزب الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة المتطرف– "إنَّ المرحلة المهمة اليوم هي العودة إلى شمال السامرة (التَّسمية العبريَّة للضَّفَّة الغربيَّة)، وأعتقد أنَّ خطيئة فكّ الارتباط ككل سيتم تصحيحها في نهاية المطاف."

وعن غزة، قالت "نحن بصدد رؤية وطنية مختلفة، لا أعرف كم سنة سيستغرق الأمر، لكن لسوء الحظِّ فالعودة إلى غزَّة ستشمل أيضًا تضحيات كثيرة، تماما كما انطوت مغادرتها على العديد من التَّضحيات[٤٤٤]."

والمفارقة أنَّ ذلك التَّصريح جاء قبل أشهر من إطلاق جيش الاحتلال عمليَّة حرب القيامة، كما أعاد بنيامين تسميتها من السُّيوف الحديديَّة وحرب التَّكوين، ردًّا على عمليَّة طوفان الأقصى، بزعم العمل على اجتثاث تهديد حركات المقاومة الفلسطينيَّة. ولم تتطلَّب العودة إلى غزَّة سنوات، كما زعمت ستروك، بل أشهر قليلة، وبالفعل بُذلت تضحيات كبيرة، ولكن من الجانب الفلسطيني، الَّذي خسر مئات الآلاف من الضَّحايا، بين قتيل وجريح ومشرَّد!

[٤٤٤] عقب قرار للكنيست بالعودة إلى مستوطنات بالضَّفَّة.. وزيرة إسرائيلية: مستوطنات غزة جزء من أرضنا وسنعود إليها، موقع الجزيرة نت، ٢٢ مارس ٢٠٢٢م.

وتتواصل جهود تمزيق الضَّفَّة الغربيَّة بتأسيس المستوطنات الإسرائيليَّة، ضمن مخطَّط استعادة يهودا والسَّامرة بالكامل، ويتمُّ ذلك بدعم من الجيش، ودفع من تيَّار الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة، الَّذي يمنح الاستيطان شرعيَّة دينيَّة ترقى إلى حدِّ التَّقديس؛ على اعتبار أنَّه خطوة هامَّة في سبيل الوصول إلى خلاص الشَّعب اليهودي. ومع تقنين حكومة الاحتلال للوجود اليهودي في المستوطنات المؤسَّسة بما يخالف القانون الدُّولي، فإنَّها تغضُّ الطَّرف عن تجاوزات المستوطنين في حقِّ الفلسطينيين العزَّل، وتترك المجرمين منهم دون عقاب، في مقابل التَّضييق على الفلسطينيين. وبالتَّزامن مع صعود اليمين المتطرِّف إلى الحُكم، أصبح مخطَّط الاستيطان محور تركيز الحكومة، بل والمحرِّك لسياساتها، وكأنَّما صارت الحكومة في خدمة الاستيطان، وليس العكس. ويمكن الوصول إلى رؤية أوضح عن مخطَّط الاستيطان الإسرائيلي في ضوء ما يلي:

إنَّ المشروع الاستيطاني، وإن كان قد بدأ بدوافع أمنيَّة بهدف السَّيطرة على الجغرافيا وحرمان الفلسطيني أن تكون أرضه قابلة للحياة كدولة، إلَّا أنَّه ترسَّخ اليوم على الأرض، فيقسِّم الضَّفَّة الغربيَّة أفقيًّا عبر مستوطنات سلسلة الجبال، وتتموضع مستوطناته الحاضنة للعصابات في موقع تسمح لهذه العصابات بممارسة دورها في فصْل الجغرافيا الفلسطينيَّة وتحويلها إلى معازل.

إنَّ موقع الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة المتقدِّم في السِّياسة الإسرائيليَّة يسرِّع من وضْع مشاريعهم قيد التَّطبيق أكثر فأكثر، وهي

مشاريع قائمة على ترسيخ المعازل وخنْق الفلسطينيين. ولكنَّ هذا التَّيَّار لا يختلف مع أيّ من مكوِّنات الصُّهيونيَّة حول رؤيتهم للأراضي الفلسطينيَّة المحتلَّة عام ١٩٦٧، الَّتي تراها هذه التَّيَّارات نطاقًا لا يقبل الدَّولة، وتجسيد الكيانيَّة السِّياسيَّة الفلسطينيَّة[٤٤٥].

هل حل الصِّراع العربي الإسرائيلي سلمياً لم يزل ممكناً؟

من خلال تعقُّبه لكافَّة محاولات إنهاء الصِّراع الفلسطيني الإسرائيلي من خلال الطُّرق السِّلميَّة، ومفاضلته بين تفعيل حلِّ الدَّولتين وتأسيس دولة موحَّدة ثنائيَّة القوميَّة في كتابه **دولة واحدة...دولتان: حل الصّراع الإسرائيلي–الفلسطيني**[٤٤٦]، استنتج بيني موريس، أستاذ تاريخ الشَّرق الأوسط في جامعة بن غوريون الإسرائيليَّة، أنَّ تأسيس دولة موحَّدة ثنائيَّة القوميَّة مُستبعدٌ؛ بسبب تعاظُم تهديد "الإرهاب العربي" مع الاتِّجاه المتزايد لعرب فلسطين إلى "الأسلمة (Islamization) والتَّطرُّف السّياسي"، وهو ما قد يفضي إلى "عمليَّات إسرائيليَّة لمكافحة الإرهاب"[٤٤٧]. وما يزيد تطبيق ذلك الحلِّ صعوبة أنَّ التَّعاليم الدِّينيَّة الإسلاميَّة تغذِّي حالة الكراهية تجاه اليهود لدى المسلمين؛ لما تتضمَّنه من نصوص تكشف عن نقْض اليهود للمواثيق[٤٤٨]، وتحريفهم لكتاب

---

[٤٤٥] إبراهيم سميح ربايعة: المصدر السَّابق، ص٧٤.

[446] Morris, B. (2009). *One state, two states: Resolving the Israel/Palestine conflict*. Yale University Press.

[447] Ibid: P.179.

[٤٤٨] ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [سورة آلِ عِمْرَانَ:١٨٧].

الله[٤٤٩]، وقتْلهم الأنبياء[٤٥٠]، وممارستهم للرِّبا وأكلهم أموال النَّاس بالباطل[٤٥١].

ويضيف موريس أنَّ عناصر المقاومة الفلسطينيَّة ما كانوا ليقبلوا التَّعايش السِّلمي مع اليهود في دولة ثنائيَّة القوميَّة؛ حيث أنَّهم طالما سعوا للتخلُّص من اليهود وإبادتهم، وليس مجرَّد إجلائهم عن فلسطين. ومع صعود تيَّار الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة، وتعنُّت المتشدِّدين من اليهود الأرثوذكس في مسألة حتميَّة تهجير كافَّة العرب من فلسطين، ووصول اليمين المتطرِّف إلى الحُكم في دولة الاحتلال، أصبح تفعيل حلِّ الدَّولة ثنائيَّة القوميَّة مستبعدًا بالكامل.

فليس من الممكن تأسيس دولة يهوديَّة دون عرب، أو دولة عربيَّة دون يهود؛ لأنَّ غياب أيٍّ من العنصرين يعني الإبادة أو الطَّرد. وليس من الممكن كذلك تأسيس دولة يهوديَّة ذات أقليَّة عربيَّة؛ لأنَّ تلك الأقليَّة العربيَّة، في رأي موريس، ستعمل على فرْض سيطرتها بالقوَّة. في حين سيتعرَّض اليهود للاضطهاد، بزعمه، إذا عاشوا كأقليَّة في دولة ذات أغلبيَّة عربيَّة. وبما أنَّ تأسيس دولة عربيَّة تضمُّ الضَّفَّة الغربيَّة وقطاع غزَّة وشرق الأردن، تخضع لحُكم الهاشميين والسُّلطة الفلسطينيَّة معًا، غير ممكن؛ لأنَّه سيلقى معارضة

---

[٤٤٩] ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النِّساء: ٤٦].

[٤٥٠] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النِّساء: ١٥٥].

[٤٥١] ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة النِّساء: ١٥٥].

الهاشميين الَّذين اعتادوا على تهميش الفلسطينيين، الَّذين يشكِّلون غالبيَّة سكَّان الأردن، في ممارسة السُّلطة، فإنَّ استئناف مفاوضات السَّلام لتأسيس دولة فلسطينيَّة تضمُّ الضَّفَّة الغربيَّة وقطاع غزَّة هو الحلُّ الأمثل، وإن كان من المتوقَّع أن يواجه معارضة الأصوليين الإسلاميين، ممَّن يفضِّلون رفْع لواء الجهاد لتحرير دار الإسلام من مغتصبيها من اليهود[٤٥٢].

يتَّضح من تحليل بيني موريس أنَّه يجعل من العقائد الإسلاميَّة السَّبب في تأجُّج الصِّراع الفلسطيني الإسرائيلي، والعائق أمام التَّعايش السِّلمي، متِّهمًا المسلمين بالميل إلى التَّطرُّف، والنُّزوع إلى استخدام العنف تجاه اليهود؛ ومن ثمَّ، فلا سبيل لتعايش اليهود معهم. ويبدو أنَّ المؤرِّخ اليهودي يتناسى حقيقة أنَّ تيَّار الصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة، في ضوء تعاليم المتطرِّف زئيف فلاديمير جابوتنسكي، قدوة بنيامين نتنياهو ومرشده الرُّوحي، يدعو إلى محو الوجود العربي من دولة الاحتلال، ولو بارتكاب المجازر؛ وأنَّ تيَّار الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة، بزعامة بتسلئيل سموتريتش وايتمار بن غفير، يسعى لتهجير العرب من فلسطين، إتمام لرؤية الخلاص، الَّتي تستدعي استئثار اليهود بالعيش في أرض فلسطين، بوصفها أرض الميعاد، ونواة مملكة المخلِّص العالميَّة. ومن قبيل قلْب الحقائق، يغضُّ موريس طرفه عن الانتهاكات الممنهجة الَّتي يمارسها مستوطنو الاحتلال ضدَّ الفلسطينيين.

وكما أشار في كتابه **مكان تحت الشَّمس**، يرفض نتنياهو مبدأ حلِّ الدَّولتين، حيث "يدعو إلى قيام حكم ذاتي فعلي للفلسطينيين مع الاحتفاظ بسلطات

[452] Morris: Ibid, pp.200-201.

مركزيَّة معيَّنة، معظمها أمني، في أيدي الإسرائيليين[٤٥٣]"، وفي ذلك ما يعني أنَّ حلِّ الدَّولتين، الَّذي يعتبره بيني موريس السَّبيل لإنهاء الصِّراع الفلسطيني الإسرائيلي، من غير الوارد تطبيقه. وكانت اللَّجنة الملكيَّة لفلسطين، المعروفة باسم لجنة بيل، هي أوَّل من اقترح حلَّ الدَّولتين عام ١٩٣٧م، بمنح اليهود مساحة لا تتعدَّى ٢٠ بالمائة من أرض فلسطين لتأسيس دولة مستقلِّة، ومنْح العرب دولة بمساحة ٧٠ أو ٧٥ بالمائة من أرض فلسطين، مع ضمِّ القسم العربي من فلسطين إلى إمارة شرق الأردن، تحت حُكم الهاشميين، وهو ما قوبل بالرَّفض حينها[٤٥٤].

وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م، صدر قرار الجمعيَّة العامَّة للأمم المتَّحدة رقم ١٨١ الخاص بتقسيم فلسطين، بتأسيس دولة عربيَّة وأخرى يهوديَّة، ليتم الإعلان عن دولة الاحتلال في ١٥ مايو ١٩٤٨م، بينما تظلُّ مسألة تأسيس دولة فلسطينيَّة عالقة إلى يومنا هذا. وبرغم زعم الحزب الدِّيموقراطي في الولايات المتَّحدة، بزعامة جو بايدن، تأييده لتفعيل حلِّ الدَّولتين، فقد امتنع بايدن عن تأييد الجمعيَّة العامَّة للأمم المتَّحدة مطالبة فلسطين بعضويَّة كاملة في ١٠ مايو ٢٠٢٤م[٤٥٥]، بل واستخدم حقَّ النَّقض، الفيتو، لمنع مجلس الأمن من الاعتراف بدولة فلسطين، مؤكِّدًا رفْضه "الاعتراف أحادي الجانب" بدولة فلسطين، بدون موافقة

---

[٤٥٣] بنيامين نتنياهو: مكان تحت الشَّمس، ترجمة محمَّد عودة الدُّويري، دار الجليل للنَّشر، عمَّان، الأردن، ٢٠١٥م، ص٥٢.

[454] Morris: Ibid, p.62.

[٤٥٥] الاعتراف الدولي بدولة فلسطين: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

دولـة الاحـتلال علـى تلـك الخطـوة[٤٥٦]. بـذلك، أكَّـد بايـدن مـا يُقـال عـن أنَّ حديثه عن تأييد حلِّ الدَّولتين مجرَّد مخادعة، لا أكثر:

محلِّلون: حديث بايدن عن حلِّ الدَّولتين "خداع سياسي" لا يجب التَّعاطي معه

لا يبدو الرئيس الأميركي جو بايدن عازمًا فعلًا على المضي قدمًا نحو إقامة دولة فلسطينيَّة مستقلّة كما صرَّح مؤخرا، وإنَّما يحاول تحقيق أهداف انتخابيَّة داخليَّة وجرَّ مزيد من الدُّول العربيَّة نحو التَّطبيع مع إسرائيل دون وقف الجرائم الَّتي ترتكبها في غزَّة، وفق ما يقول خبراء.

وكان بايدن قد أكَّد مؤخَّرا أنَّ رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو لا يعارض حلَّ الدَّولتين، مضيفا أن ثمَّة أنماطًا لهذه الدَّولة، وهو ما نفاه نتنياهو على الفور.

هذا النَّفي السَّريع من نتنياهو لقبوله حلَّ الدَّولتين، اعتبره مراقبون ومحلِّلون، من ضمنهم الأمين العام للمبادرة الفلسطينيَّة الدُّكتور مصطفى البرغوثي، بمثابة إهانة صريحة لواشنطن

[٤٥٦] رغم تأييد حل الدولتين.. لماذا يعارض بايدن الاعتراف بفلسطين؟، موقع سكاي نيوز عربيَّة، ٢٢ مايو ٢٠٢٤م.

الَّتي قال نتنياهو في تسريب مؤخرًا إنَّه بإمكانه جرها إلى أيِّ اتِّجاه يريده[٤٥٧].

لماذا يصرُّ العرب على خوض معركة المفاوضات الخاسرة؟

يرى المفكِّر والأكاديمي، الدُّكتور عزَّت السَّيِّد أحمد، أنَّ البعض قد خُدع بوعود الولايات المتَّحدة بإحلال السَّلام في المنطقة العربيَّة، برغم جرائمها في حق المنطقة وأهلها. اعتقد العرب، في أعقاب ما ألمَّ بالاتِّحاد السُّوفييتي عام ١٩٩١م، أنَّ من الممكن حلَّ الصِّراع العربي الإسرائيلي بين عشيَّة وضحاها، تمامًا مثلما انهار الاتِّحاد السُّوفييتي بصورة مفاجئة[٤٥٨]. ومع انعقاد جلسات مؤتمر مدريد للسَّلام، ما بين أكتوبر ١٩٩١م ويناير ١٩٩٢م، انعقدت الآمال العربيَّة على إمكانيَّة إبرام اتِّفاقيَّة للسَّلام مع الاحتلال الإسرائيلي تمنح الفلسطينيين دولة يعيشون في أكنافها في أمن واستقرار. غير أنَّ تصريحات وفد الاحتلال لم تكن توحي بأيِّ نيَّة للسَّلام، حتَّى بعد إبرام اتِّفاقيَّة أوسلو عام ١٩٩٣م، الَّتي كان الاحتلال المستفيد الأوَّل منها، بنيل اعتراف الفلسطينيين، الَّذين مثَّلتهم منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، بحقِّ دولة الاحتلال في ٧٨ بالمائة من أرض فلسطين، في مقابل وعْد زائف بتأسيس دولة فلسطينيَّة:

> أما الاتِّفاق المزعوم الموهوم الَّذي وقَّعه الفلسطينيون في أوسلو وما تبعه فهو كسب لإسرائيل لا للعرب، لأنَّ الأراضي الَّتي

[٤٥٧] محلِّلون: حديث بايدن عن حلِّ الدَّولتين "خداع سياسي" لا يجب التَّعاطي معه، موقع الجزيرة نت، ٢٠ يناير ٢٠٢٤م.

[٤٥٨] عزَّت السَّيِّد أحمد: انهيار أسطورة السَّلام: مصير السَّلام العربي الإسرائيلي، دار الفكر الفلسفي، طبعة ٢، دمشق، ٢٠٠١م، ص٨.

تخلَّت عنها إسرائيل للسلطة الفلسطينيَّة هي الأراضي الَّتي كانت ستتخلَّى عنها من دون أيِّ ثمن بسبب الانتفاضة على أقلِّ تقدير كما تخلَّت تمامًا عن الجنوب اللُّبناني من دون أيِّ مفاوضات لأنَّها لم يعد لها طاقة على احتمال بقائها في فوَّهة بركان متفجِّر، وإلى جانب ذلك فقد استطاعت إسرائيل بذلك الاتفاق مع الفلسطينيين شرخ الصَّف العربي، من خلال فصل المسارات التَّفاوضيَّة[٤٥٩].

وبالتطرُّق إلى التَّداعيات الكارثيَّة لاتِّفاقيَّة أوسلو على القضيَّة الفلسطينيَّة، فقد أوضح المؤرِّخ غسَّان وشاح، أستاذ التَّاريخ والآثار في الجامعة الإسلاميَّة في غزَّة ورئيس الاتِّحاد الدُّولي لمؤرِّخي فلسطين، فإلى جانب منْح دولة الاحتلال السَّبيل للتَّنصُّل من المسؤوليَّة عن الفلسطينيين أمام المجتمع الدُّولي والمواثيق الدُّوليَّة واتِّفاقيَّة جنيف، فقد أرست قاعدة الانقسام الفلسطيني، بانفراد حركة حماس بُحكم قطاع غزَّة ومنظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة بإدارة شؤون الفلسطينيين في الضَّفَّة الغربيَّة. وبعد تجريمها للمقاومة الفلسطينيَّة ووصمها بالإرهاب، صار من حقِّ سلطات الاحتلال ملاحقة الفلسطينيين بزعم الحفاظ على أمنها واستقرارها. هذا، وقد عجزت اتِّفاقيَّة أوسلو عن إيقاف النشَّاط الاستيطاني في الضَّفَّة الغربيَّة، حتَّى صار الاحتلال يسيطر على ٦٠ بالمائة من مساحتها، وكذلك عجزت عن إيقاف تهويد القُدس[٤٦٠].

---

[٤٥٩] المصدر السَّابق: ص٩.

[٤٦٠] مؤرخ للجزيرة نت: ٧ أزمات راكمتها اتفاقية أوسلو على الفلسطينيين، موقع الجزيرة نت، ١٥ سبتمبر ٢٠٢٣م.

ومن المؤكَّد أنَّ عدم التزام الاحتلال الإسرائيلي بالاتِّفاقيَّات الدُّوليَّة، ولـيَّ أعناق بنودها لخدمة مصالحه، والمماطلة في تنفيذ المهام المنصوص عليها في الاتِّفاقيَّات ترجع إلى استناد ساسة الاحتلال إلى "عقيدتهم التَّوراتيَّة والتُّلموديَّة" في تشكيل توجُّهاتهم السِّياسيَّة[٤٦١]. وبما أنَّ عقائد اليهود تنطوي على انفرادهم بميراث الأرض المقدَّسة، فمن الطَّبيعي أن يسلكوا طريق المراوغة والخداع في سبيل تهدئة الغضب العربي، تفاديًا لتأجُّج صراع في غير وقته المناسب. فقد كشفت الخطَّة الاستراتيجيَّة لجيش الاحتلال للعام ١٩٥٦-١٩٥٧م عن المخطَّط التَّوسُّعي لدولة الاحتلال[٤٦٢]، الَّتي "يتحيَّن فرصة نشوب حرب عربيَّة-إسرائيليَّة لكي تحقِّق الدَّولة الصُّهيونيَّة مزيدًا من المكاسب والأطماع على حساب الدُّول العربيَّة المحيطة بها"[٤٦٣]. على ذلك؛ يؤكِّد عزت السَّيِّد أحمد:

> إنَّ ما حدث ويحدث أعاد للعرب وعيهم، وانتشلهم من سكرتهم الَّتي اعترفوا فيها بإسرائيل، فانتبهوا إلى أنَّ إسرائيل لا تريد السَّلام، ولا يمكن أن تريد السَّلام، لأنَّ أساس قيامها، ومحوره هو اللاسلام. لأنَّ السَّلام يميت إسرائيل وينهيها. ولذلك تجدها تختلق من الأسباب والممارسات كل ما يؤكد أنَّها لا تريد السَّلام[٤٦٤].

---

[٤٦١] عزَّت السَّيِّد أحمد: المصدر السَّابق، ص٩.
[٤٦٢] روسي كارانجيا: خنجر إسرائيل، ترجمة مروان الجابري، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٥٨م، ص٧٥.
[٤٦٣] أسعد رزُّوق: إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التَّوسُّعي الصُّهيوني، مركز الأبحاث، منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، ١٩٦٨م، ص٥٧٧.
[٤٦٤] عزَّت السَّيِّد أحمد: المصدر السَّابق، ص١٠.

لا شكَّ في أنَّ من السَّذاجة التَّسليم بأنَّ الاحتلال الإسرائيلي ينزع إلى السَّلام، ويريد إنهاء الصِّراع مع محيطه العربي، في ظلِّ استمراره في ملء ترسانته العسكريَّة بأحدث المعدَّات الحربيَّة، وتطويره سلاحًا نوويًّا مع استثنائه من معاهدة حظر انتشار الأسلحة النَّوويَّة، وارتكابه المجازر الوحشيَّة بحقِّ الفلسطينيين العزَّل. لم يكن من المفترَض للعرب ليدخلوا في مفاوضات للسَّلام مع الاحتلال وهم في موقف ضعْف، بينما يستغلُّ الاحتلال موقفه القوي في فرْض شروطه[٤٦٥].

طالما لا يمتلك العرب القدرة على إجبار الاحتلال على الالتزام بقرارات الشَّرعيَّة الدُّوليَّة، فليس من المنطقي أن يخوضوا في مفاوضات للسَّلام، وهم يعلمون أنَّها لم تجدي نفعًا في سبيل تحقيق الهدف الَّذي عُقدت له. ومن المؤكِّد أنّ على رأس أسباب عقْد تلك المفاوضات هو تحاشي الصِّدام مع الشَّارع العربي، وتأجيل المواجهة إلى الوقت المناسب. ولا يمكن التَّغافل عن حقيقة أنَّ الابتزاز والمراوغة من أبرز سمات اليهود في التَّفاوض، كما يخبرنا بيان الوحي الإلهي[٤٦٦]، فإذا كان أسلاف ساسة الاحتلال يجادلون ربَّهم للتَّهرُّب من تنفيذ أوامره المدموغة بالشَّرعيَّة الإلهيَّة، فكيف يُنتظر منهم الالتزام بقوانين الشَّرعيَّة الدُّوليَّة؟!:

> إنَّ الابتزاز اليهودي ليس بالأمر الطارئ ولا الجديد على العقليَّة اليهوديَّة، وإنَّما هو جزء صميمي منها، قائم في

---

[٤٦٥] المصدر السَّابق: ص٢٦.

[٤٦٦] ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٥].

جِبلَّتها، وجد معها منذ ما قبل أن ترسل الرسل إليهم، وليس أدلَّ على ذلك من سيرتهم مع رسلهم وأنبيائهم، وتعاملهم مع الله من خلال أنبيائهم، ومع كلام الله وأوامره في حضور أنبيائهم ورسلهم[٤٦٧].

بغضِّ النَّظر عن اعتناق المقاومة اللُّبنانيَّة المذهب الشِّيعي وولائها لنظام ملالي الرَّافضة في إيران، يثني السَّيِّد أحمد على صمود المقاومة، بزعامة حزب الله اللُّبناني، في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، حتَّى أجبرته على الانسحاب من جنوب لبنان، بدون إبرام اتِّفاقيَّة للتَّطبيع. ويأتي ذلك بخلاف ما فعله أنور السَّادات لتحرير شبه جزيرة سيناء بإبرام اتِّفاقيَّات كامب ديفيد، وما فعلته منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، بعد تاريخها الطَّويل في مقاومة الاحتلال، لتطوي بإبرام اتِّفاقيَّة أوسلو، بل وتدشِّن مرحلة جديدة تقوم فيها بالتَّنسيق الأمني مع الاحتلال للتَّنكيل بعناصر المقاومة، أو حتَّى بالمدنيين العُزَّل، بذريعة الحفاظ على أمنه.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ السَّيِّد أحمد قد أوضح في مؤلَّفات لاحقة أنَّ دعْم إيران لما يُطلق عليه محور المقاومة والممانعة، الَّذي يضمُّ حزب الله، من بين استراتيجيَّات بسْط نفوذها في المنطقة العربيَّة[٤٦٨]. ولن ننسى أنَّ حزب الله هو شريك لنظام الأسد الطَّائفي، فيما يرتكبه من مجازر في حق الشَّعب السُّوري، منذ تدخُّل عناصر الحزب لدعْم الأسد في قمْع الثَّورة الشَّعبية، في مايو ٢٠١١م. وأوضح المفكِّر الكبير كذلك أنَّ العداء بين الولايات المتَّحدة ودولة

[٤٦٧] عزَّت السَّيِّد أحمد: المصدر السَّابق، ص٣٤.
[٤٦٨] عزَّت السَّيِّد أحمد: آفاق التَّمدُّد الفارسي: قراءة تاريخيَّة وسياسيَّة، العالم العربي للنَّشر، طبعة ١، عمَّان، الأردن، ٢٠١٥م، ص١٧٧.

الاحتلال من طرف، ونظام ملالي الرَّافضة في إيران من طرف آخر، ما هو إلَّا مسرحيَّة هزليَّة لإلهاء العرب عن التَّواطؤ السِّرِّي بين الطَّرفين ضدَّ أهل السُّنَّة، وليس أدلَّ على ذلك أكثر من المجازر الَّتي ارتكبتها القوَّات الأمريكيَّة في حق أهل السُّنَّة، في سوريا والعراق واليمن وأفغانستان، دون المساس بالمقاومة الشِّيعيَّة في أيِّ دولة غزتها[٤٦٩].

يعني ذلك أنَّ الثَّناء على حزب الله ينحصر في استناد عناصره إلى مبدأ القوَّة في مواجهة الاحتلال، على عكس تخلِّي زعماء العرب عن ذلك المبدأ، مفضِّلين خوض معركة التَّفاوض العقيمة. ففي رأي السَّيِّد أحمد، خاض هؤلاء الزُّعماء معارك وهميَّة مع الاحتلال الإسرائيلي، بهدف تهدئة الشُّعوب الثَّائرة المطالِبة بمحو الاحتلال من الوجود، من خلال المواجهة الميدانيَّة، وليس في قاعات المؤتمرات، بينما هم متواطئون مع الولايات المتَّحدة ودولة الاحتلال سرًّا:

> إنَّ ما حدث قبل المقاومة الإسلاميَّة اللُّبنانيَّة لم يكن على شيء من المنطق أبدًا، فقد كشفت الحقائق والوثائق، مع استثناء غير مؤثِّر بمعنى من المعاني، أنَّ الحكام العرب معظمهم يعملون على خدمة الصُّهيونيَّة، والكيان الصُّهيوني، إمَّا بشكل غير مقصود من خلال الانخراط في اللُّعبة الأمريكيَّة، أو بشكل مقصود تمامًا، بمعنى أنَّهم خدموا الصُّهيونيَّة عن وعي وعمْد وعلم، لا عن جهل أبدًا[٤٧٠].

---

[٤٦٩] عزَّت السَّيِّد أحمد: التَّآخي الأمريكي الإيراني: حقيقة العلاقات الأمريكيَّة الإيرانيَّة، باراتجيليك دنياسي ياپانلاري، قبرص، ٢٠٢٠م، ص١١٥.

[٤٧٠] عزَّت السَّيِّد أحمد: انهيار أسطورة السَّلام: مصير السَّلام العربي الإسرائيلي، دار الفكر الفلسفي، طبعة ٢، دمشق، ٢٠٠١م، ص٥١.

لا يمكن إنكار حقيقة أنَّ دولة الاحتلال الإسرائيلي تسعى فعلًا للسَّلام وإنهاء الصِّراعات مع دول المنطقة العربيَّة، ولكن ليس بعد إعادة الأراضي المغتصَبة إلى أهلها، أو حتَّى قبول عيش الفلسطينيين في دولة مستقلَّة في أكنافها، بل أو حتَّى إيواء الفلسطينيين بوصفهم أقليَّة داخل حدودها. إنَّما تريد دولة الاحتلال السَّلام دول المنطقة العربيَّة، ولكن بعد تدجين أبنائها، وضمان محو فكرة معاداة اليهود من أذهانهم، ووأْد أيِّ مقاومة محتملة مستقبلًا. وفي سبيل ذلك، يجري تنفيذ مخطَّط عوديد ينون، القائم على نشْر الفواحش والإباحيَّة بين المسلمين، وإلهاء الدُّول الإسلاميَّة بصراعاتها الدَّاخليَّة المتعلِّقة بالنِّزاعات الطَّائفيَّة[٤٧١]، وهو ما يتمُّ فعليًّا.

فالمتأمِّل فيما يحدث في سوريا منذ اندلاع الثَّورة الشَّعبيَّة في ١٥ مارس/آذار ٢٠١١م، يجد أنَّ نظام الأسد استغلَّ الخلافات الطَّائفية في دحْر الانتفاضة والزَّعم بأنَّها حرب أهليَّة. ومنذ مشاركة عناصر حزب الله اللُّبناني في إجهاض الثَّورة لصالح نظام الأسد، "بدأت ملامح الصِّراع الطَّائفي في سوريا تتحوَّل من مجرَّد أحاديث ومخاوف نظريَّة إلى واقع فعلي، وباتت المنطقة تقترب أكثر فأكثر من استقطاب حاد على أسس طائفيَّة، بعدما ظلَّ يرتكز على أسس سياسية لسنوات طويلة[٤٧٢]". وقد عبَّر المبعوث الخاص للأمم المتَّحدة إلى سوريا، غير بيدرسن، في مارس ٢٠٢٤م، عن قلقه من احتماليَّة تقسيم سوريا إلى دويلات طائفيَّة، بوجود ٦ جيوش وميليشيات تتصارع على أرضها[٤٧٣].

---

[471] Youvan, D. C. (2024). *Herzl, Fischmann, and Yinon: The Greater Israel*. https://doi.org/10.13140/RG.2.2.21864.89602, p.13.

[٤٧٢] فراس أبو هلال: الطائفية والثورة السورية المجيدة، ٢٨ يونيو ٢٠١٣م.

[٤٧٣] مخاوف أممية من تقسيم سوريا، صحيفة الشرق الأوسط، ٢٢ مارس ٢٠٢٢م.

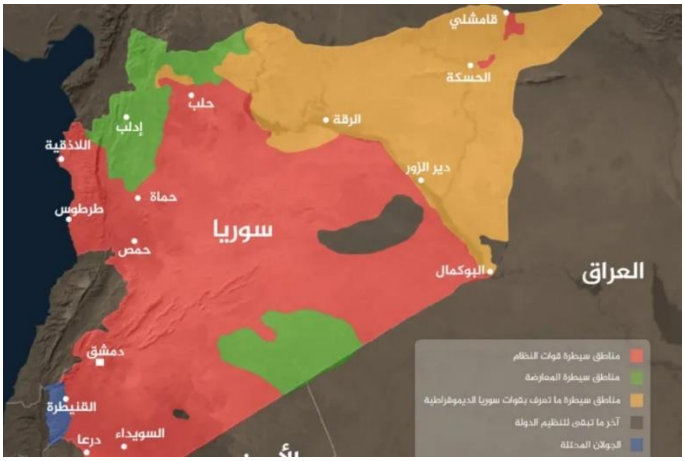

صورة ٦,٥-خارطة السَّيطرة العسكريَّة في سوريا-موقع الجزيرة نت، ٦ أكتوبر ٢٠٢٣م

والمتابع لمجريات الأمور في بلاد الحرمين، يجد أنَّ بعد وصْف رئيس هيئة كبار العلماء، عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، الحفلات الغنائيَّة والسِّينما بأنَّها "فساد للأخلاق ومدمرة للقيم ومدعاة لاختلاط الجنسين"، مطلع عام ٢٠١٧م[٤٧٤]، تمَّ تأسيس هيئة التَّرفيه، أُسندت إليها مهمَّة تنظيم الحفلات الموسيقيَّة، وإقامة المهرجانات الفنِّيَّة وعروض الأزياء، وعْقد المسابقات الرِّياضيَّة، واستضافة مشاهير الفنّ والرِّياضة للمشاركة في الفعاليَّات المقامة بالقرب من الحرمين الشَّريفين، وذلك في إطار "رؤية ٢٠٣٠"، الَّتي أطلقها وليُّ العهد السَّعودي، الأمير محمَّد بن سلمان، لإحداث نقلة حضاريَّة نوعيَّة على كافَّة المستويات، وبخاصَّة الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة.

[٤٧٤] مفتي السعودية: الحفلات الغنائية والسينما فساد للأخلاق ومدمرة للقيم ومدعاة لاختلاط الجنسين، بي بي سي نيوز عربي، ١٤ يناير ٢٠٢١٧م.

صورة ٦,٦-جانب من حفلات موسم جدَّة

باختصار، ما تريده دولة الاحتلال الإسرائيلي هو السَّلام الَّذي يضمن لها محو فكرة المقاومة الإسلاميَّة ضدَّها من جذورها، ولن يحدث ذلك إلَّا بعد تفريغ الإسلام من مضمونه، ونقْض ثوابت عقيدته، من خلال ابتداع ما أُطلق عليه الدِّين الإبراهيمي الجديد، أو الدِّيانة الإبراهيميَّة، المتنافية مع صحيح الإسلام بالكليَّة[٤٧٥]، والَّتي تم ابتداعها "في مخابر المخابرات الأمريكيَّة والصُّهيونيَّة[٤٧٦]"؛ بهدف محاربة الإسلام ومحو الهويَّة الإسلاميَّة، وإن تستَّر ذلك تحت غطاء نشْر قيم الإخاء والتَّسامح والمحبَّة، أملًا في إنهاء الصِّراعات في المنطقة العربيَّة، بحسب زعْم مروِّجي تلك البدعة. تريد دولة الاحتلال فرْض السَّلام على محيطها العربي، بعد إخضاعه بالكامل لهيمنتها العسكريَّة والاقتصاديَّة، وإجباره على عدم المساس بمصالحها، بالتَّرهيب والتَّرغيب. ومفهوم السَّلام الَّذي تريده دولة الاحتلال يمكنه إيجازه بقول:

[٤٧٥] محمَّد عبد المحسن: بدعة الإبراهيميَّة: لماذا لا يمكن إقران الإسلام بملَّة أهل الكتاب؟ - جمعيَّة بيّنات للتَّأصيل والتَّجديد، مركز مُحكمات للبحوث والدّراسات-إسطنبول، ٢٠٢١م.

[٤٧٦] عزَّت السَّيِّد أحمد: الدِّيانة الإبراهيميَّة..ديانة وهميَّة لأسباب شيطانيَّة، ياراتجيليك دنياسي يايانلاري، نيقوسيا، ٢٠٢٢م، ص٨٠.

إذا افترضنا أنَّها تريد السَّلام فهي تريد سلامها وحدها، وسلامها الإرهابي لا السَّلام المنطوي على الأمان والاطمئنان، أي سلام الرُّعب الَّذي تزرعه في نفوس العرب ودول الجوار كلِّها، سلام عدم توازن القوى، سلام الرَّدع النَّووي، والرُّهاب الفكري... ولذلك سعت وتسعى لتجريد الجوار العرب وغير العرب من أي سلاح، حتَّى من السِّلاح الأبيض إن أمكن[٤٧٧].

وبدلًا من تضافُر جهود القوى العربيَّة لتشكيل جبهة موحَّدة في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، ما شهدته مفاوضات السَّلام هو تنافُس تلك القوى على تقديم أكبر التَّنازلات الممكنة لإرضاء الاحتلال. لم يجد إسحق شامير، رئيس حكومة الاحتلال الأسبق ورئيس وفد الاحتلال في مؤتمر مدريد للسَّلام وزعيم عصابة شتيرن الإرهابيَّة قبل تأسيس دولة الاحتلال، حرجًا في التَّصريح بأنَّه لا يمانع إبرام معاهدات سلام مع العرب، لكن دون تنازُل عن أيِّ مساحة من الأراضي المحتلَّة. وكانت مفاوضات السَّلام المزعوم تجري في مدريد، بينما يواصل جيش الاحتلال قصْف جنوب لبنان، ويستمر النَّشاط الاستيطاني في الضَّفَّة الغربيَّة، مع تشجيع يهود العالم على الهجرة إلى دولة الاحتلال. وبرغم ذلك، هناك من العرب مَن يظنُّ أنَّ السَّلام مع الاحتلال لم يزل ممكنًا:

[٤٧٧] عزَّت السَّيِّد أحمد: انهيار أسطورة السَّلام: مصير السَّلام العربي الإسرائيلي، دار الفكر الفلسفي، طبعة ٢، دمشق، ٢٠٠١م، ص٨٦.

فـي ظـلَّ هـذه الممارسـات كلِّهـا، وفـي ظـلِّ عـدم وضـوح أيِّ مؤشِّـر أو شـبهة مؤشِّـر علـى أنَّ إسـرائيل تريـد السَّـلام كـان العـرب، وأقصـد الحكَّـام والحكومـات تحديـدًا، قـد دخلـوا فـي شـبه إجمـاع علـى أنَّـه يجـب إعطـاء إسـرائيل الفرصـة لتحقيـق السَّـلام. وزِيـدَ الطِّـين بِلَّـة بـالإعلان الرَّسـمي العـرب عـن أنَّ الخيـار الاسـتراتيجي لهـم هـو السَّـلام، فـي حـين لـم تعلـن إسـرائيل أبـدًا حتَّـى الآن أنَّ خيارهـا هـو السـلام، ولا أنَّ السَّـلام أحـد خياراتهـا علـى الإطـلاق، وإنَّمـا كـلُّ الـدَّلائل والمؤشِّـرات والممارسـات تقـول إنَّ خيارهـا هـو الحـرب، والحرب وحسب[٤٧٨].

[٤٧٨] عزَّت السَّيِّد أحمد: انهيار أسطورة السَّلام: مصير السَّلام العربي الإسرائيلي، دار الفكر الفلسفي، طبعة ٢، دمشق، ٢٠٠١م، ص١٥٥.

الفصل السَّابع

سُبُل تحقيق التَّعايش

بين الفلسطينيين والاحتلال الإسرائيلي

يوضح بنيامين نتنياهو في كتابه **مكان تحت الشَّمس**[٤٧٩] أنَّ السَّبيل الوحيد للوصول إلى التَّعايش السِّلمي بين دولة الاحتلال الإسرائيلي ومحيطها العربي الإسلامي هو التَّخلّي عن أسباب العداء التَّاريخي بين الطَّرفين، المتأصِّلة في العقائد الإسلاميَّة، الَّتي تحرِّم إبرام معاهدة للسَّلام مع كيان اغتصب أراضي المسلمين، وقتَّلهم، وخرَّب ديارهم، وهجَّرهم منها[٤٨٠]. ومن المؤكَّد أنَّ الاحتلال قد وضع في حسبانه العائق الَّذي تمثِّله العقائد الإسلاميَّة؛ فأراد تفريغ الإسلام من مضمونه، بابتداع ما يُسمَّى الدِّين الإبراهيمي الجديد، أو الدِّيانة الإبراهيميَّة، المتنافية في جوهرها مع ما هو معلوم في الدِّين بالضَّرورة من عقائد إيمانيَّة[٤٨١]، بالتَّزامن مع الإعلان عن الموجة الثَّالثة للتَّطبيع، فيما يُعرف باتِّفاقيَّات أبراهام.

---

[479] Netanyahu, B. (2009). *A durable peace: Israel and its place among the nations*. Grand Central Publishing.

[٤٨٠] ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة الممتحنة: ٩].

[٤٨١] محمَّد عبد المحسن: بدعة الإبراهيميَّة: لماذا لا يمكن إقران الإسلام بملَّة أهل الكتاب؟ - جمعيَّة بيّنات للتَّأصيل والتَّجديد، مركز مُحكمات للبحوث والدّراسات-إسطنبول، ٢٠٢١م.

ويرى المنظِّر الأمريكي، عربي الأصل، وأستاذ الأدب المقارن والنَّقد الأدبي بجامعة كولومبيا الأمريكي، إدوارد سعيد، أنَّ التَّعايش السِّلمي بين الفلسطينيين ومستوطني الاحتلال الإسرائيلي، القائم على العدالة، هو الحل الأمثل للصِّراع العربي الإسرائيلي[٤٨٢]. ويعتقد سعيد أنَّ تطبيق العلمانيَّة يكفل إنهاء الخصومة بين الطَّرفين، في إشارة ضمنيَّة إلى أن العقائد الإسلاميَّة هي سبب تأجيج الصِّراع[٤٨٣]. ويقول المفكِّر الرَّاحل:

> إنَّنا في حاجة إلى التَّفكير في تاريخين لا ينفصلان إيديولوجيًّا، بل يندمجان معًا، على نحو متناقض. فلا التَّاريخ الفلسطيني ولا التَّاريخ الإسرائيلي يشكِّل في هذه المرحلة شيئًا قائمًا بذاته، دون الآخر. وفي هذه الحالة فإنَّنا سوف نصطدم بالضَّرورة بالتَّناقض الأساسي بين الادعاء الصُّهيوني وطرد الفلسطينيين. ويشكِّل الظُّلم الَّذي لحق بالفلسطينيين عنصرًا أساسيًّا في هذين التَّاريخين، كما يشكل تأثير معاداة السَّاميَّة الغربيَّة والمحرقة عنصرًا أساسيًّا في هذين التَّاريخين[٤٨٤].

ويتساءل أستاذ العلاقات الدُّوليَّة بجامعة هارفارد الأمريكيَّة، جيفري فريدن، عن إمكانيَّة تحقيق التَّعايش بين الفلسطينيين ودولة الاحتلال الإسرائيلي، بعد عقود

---

[482] Said, E. (2001). Afterword: the consequences of l948. In Rogan, E. L., & Shlaim, A. (Eds.). *The war for Palestine: rewriting the history of 1948* (PP.248-261). Cambridge University Press.

[483] Ibid: P.260

[484] Ibid: P.259

طويلة من الصِّراع الدَّامي[٤٨٥]، وفقدان الكثيرين الأمل في إمكانيَّة الوصول إلى تسوية نهائيَّة لذلك الصِّراع. وتبنّيًّا لرفض نتنياهو تأسيس دولة فلسطينيَّة مستقلَّة، وتفضيله منْح الفلسطينيين حُكمًا ذاتيًّا تحت وطأة السِّيادة الإسرائيليَّة[٤٨٦]، يقترح فريدن ضمِّ دولة الاحتلال الإسرائيلي إلى قطاع غزَّة والضَّفَّة الغربيَّة في كيان كونفدرالي موحَّد. ويتناول الباحث تلك المسألة، في محاولة لإيجاد حلٍّ للصِّراع العربي الإسرائيلي في ضوء دراسات العلاقات الدُّوليَّة[٤٨٧]، مستنتجًا أن يكون السَّبب الأساسي في فشل كافَّة محاولات التَّوفيق بين الطَّرفين لإنهاء الخصومة هو انعدام ثقة كلِّ طرف في تنفيذ الطَّرف الآخر وعوده.

أسباب استمرار الصِّراعات

من الثَّابت تاريخيًّا أنَّ الصِّدام بين العرب في فلسطين المحتلَّة واليهود من المهاجرين ومؤسِّسي المستوطنات في وقت لاحق بدأ منذ أكثر من قرن من الزَّمان، مع إصرار الفلسطينيين على عدم منازعة اليهود إيَّاهم في حقِّهم في العيش في أرض فلسطين العربيَّة، في مقابل تذرُّع اليهود بنصوص كتابيَّة تدَّعي أحقِّيَّتهم التَّاريخيَّة في تلك الأرض. وتحوُّل الصِّراع بين الطَّرفين إلى نزاع مسلَّح، وخاصَّة خلال فترة الثَّورة العربيَّة في فلسطين، ما بين عاميّ ١٩٣٦م و١٩٣٩م، الَّتي أشعلها الفلسطينيون احتجاجًا على تسهيل الانتداب البريطاني

[485] Frieden, J. A. (2016). The root causes of enduring conflict: Can Israel and Palestine co-exist?. In J. Ehrenberg & Y. Peled (Eds.). *From Israel and Palestine: Alternative perspectives on statehood* (PP. 63-75). Rowman & Littlefield Publishers.

[٤٨٦] بنيامين نتنياهو: مكان تحت الشَّمس، ترجمة محمَّد عودة الدُّويري، دار الجليل للنَّشر، طبعة ٣، عمَّان، الأردن، ٢٠١٥م، ص٤٥٩.

[487] Frieden: Ibid, p.63.

على فلسطين الهجرة اليهوديَّة[٤٨٨]. ويتطلَّب النِّزاع المسلَّح من هذا النَّوع التَّزوُّد المستمر بالعتاد العسكري عالي التَّكلفة، إلى جانب وجود قوَّات قتاليَّة مدرَّبة؛ وفي ذلك ما يشجِّع الأطراف المتناحرة في العادة على التَّصالح لإيقاف النَّزيف المالي والبشري.

وقد يتساءل البعض عن سبب إقدام الحكومات على الدُّخول في نزاعات مسلَّحة مكلفة ماديًّا وبشريًّا، ولا مبرِّر لذلك سوى أنَّ الاقتتال يحقِّق مكاسب أكبر كثيرًا ممَّا يحقِّقه التَّفاوض. ويرى فريدن أنَّ بعض الأطراف المتنازعة قد تُقلع عن التَّصادم مع بعضها، إذا ما درست بعناية تبعات ذلك التَّصادم. غير أنَّ ذلك لا يثني تلك الأطراف عن الخوض في معارك دامية؛ لأنَّ تحقيق السِّيادة على الأرض لعرْق أو جماعة بعينها لا يتأتَّى إلَّا بالزَّحف الميداني؛ وكذلك لأنَّ الاتِّفاقيَّات السِّياسيَّة قد يصعب تنفيذها على الأرض، وهو ما يعني تجدُّد الصِّراع ولو بعد فترة من التَّهدئة[٤٨٩]. ولا محكمة أو حكومة دوليَّة يمكنها إجبار دولة ذات سيادة على الالتزام بقراراتها.

ويحضرنا في هذا السِّياق نموذج عدم التزام دولة الاحتلال الإسرائيلي بقرار مجلس الأمن التَّابع للأمم المتَّحدة رقم ٢٧٢٨، الَّذي يطالب الاحتلال وحركة حماس بوقف دائم ومستدام لإطلاق النَّار في الحرب على غزَّة والإفراج غير المشروط عن جميع الرهائن المحتجزين[٤٩٠]. وقد جاء الرَّدُّ الإسرائيلي على ذلك القرار برفض الالتزام به، وإعلان استمرار الحرب على غزَّة حتَّى تحقيق كافَّة

[٤٨٨] الثَّورة العربيَّة في فلسطين ١٣٩٦-١٩٣٩: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.

[489] Frieden: Ibid, p.65

[٤٩٠] مجلس الأمن يعتمد قرارا بشأن وقف إطلاق النَّار بين إسرائيل وحماس، موقع الأمم المتَّحدة، ١٠ يونيو ٢٠٢٤م.

الأهداف المعلنة، كما جاء على لسان مندوبة إسرائيل لدى الأمم المتَّحدة، ريوت شابير بن نفتالي:

أوَّل ردٍ إسرائيلي على تبنِّي مجلس الأمن مشروع قرار أمريكي بشأن وقف إطلاق النَّار بغزَّة

قالت مندوبة إسرائيل لدى الأمم المتَّحدة ريوت شابير بن نفتالي، الاثنين، إنَّ بلادها ستواصل عمليتها في غزَّة، ولن تشارك في مفاوضات "لا معنى لها" مع حركة "حماس."

وجاءت تصريحات المندوبة الإسرائيليَّة، بعد تصويت مجلس الأمن التَّابع للأمم المتَّحدة على تبنِّي قرار اقترحته الولايات المتَّحدة لوقف دائم لإطلاق النار وإطلاق سراح الرَّهائن في غزَّة، والَّذي تم تبنِّيه بأغلبيَّة ١٤ صوتا وامتناع روسيا عن التَّصويت، ولأنَّ إسرائيل ليست أحد أعضاء مجلس الأمن الدُّولي حاليًا فلم تصوِّت.

وشددت بن نفتالي على أنَّ إسرائيل تريد "التَّأكُّد من أنَّ غزَّة لا تشكِّل تهديدًا لإسرائيل في المستقبل"، وعلى أهميَّة أن "تحقِّق أهدافها في غزَّة، مثل إعادة الرَّهائن إلى

الـــوطن وتفكيـــك قـــدرات حمـــاس، وبمجـــرَّد تحقيـــق هـــذه الأهداف ستنتهي الحرب"[٤٩١].

ويضيف فريدن أنَّ من أهمِّ أسباب التَّأجُّج المستمر للصِّراعات بين الأطراف المتنازعة صعوبة تقسيم الأراضي محلِّ النِّزاع. وينطبق ذلك، فيما يتعلَّق بالصِّراع العربي الإسرائيلي، على تنازُع الطَّرفين على مدينة القُدس، الَّتي تضمُّ المسجد الأقصى المبارك، أو جبل الهيكل وفق المسمَّى اليهودي، في إشارة إلى هضبة موريا الَّتي يقع المسجد المبارك عليها. فللمدينة أهميَّة دينيَّة بالنِّسبة للطَّرفين، ويسعى اليهود إلى تأسيس الهيكل الثَّالث في موقع المسجد الأقصى المبارك، عملًا بوصيَّة الفيلسوف والقبَّالي والمفسِّر التَّوراتي الإسباني، موشيه بن نحمان، المستقاة من الرِّسالة التُّلموديَّة للسَّنهدرين (٢٠ب)، الَّتي تشدِّد على أهميَّة بناء الهيكل بعد إعادة اليهود تأسيس دولتهم في الأرض المقدَّسة[٤٩٢].

وبوصول ٥ بقرات حمراوات من الولايات المتَّحدة إلى دولة الاحتلال في سبتمبر ٢٠٢٢م، أُزيل العائق الَّذي تفرضه الشَّريعة اليهوديَّة على دخول منطقة هضبة موريا؛ وهو ما دفع حكومة الاحتلال لتخصيص ميزانيَّة لتأسيس الهيكل الثَّالث داخل بنيان المسجد الأقصى المبارك[٤٩٣]. وفي حيلة مكشوفة لإيهام المسلمين بتسامح اليهود الدِّيني، تضمَّنت خطَّة ترامب للسَّلام، أو صفقة القرن،

---

[٤٩١] أول رد إسرائيلي على تبنِّي مجلس الأمن مشروع قرار أمريكي بشأن وقف إطلاق النَّار بغزَّة، سي إن إن بالعربيَّة، ١١ يونيو ٢٠٢٤م.

[٤٩٢] محمَّد عبد المحسن: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: بناء الهيكل الثَّالث برماد البقرة الحمراء على أنقاض الْمَسْجِد الْأَقْصَى: النُّبوءات الكتابيَّة في مواجهة الوعد القرآني، دار حدوس وإشراقات للنشر، عمَّان، ٢٠٢٣م، ص١٨.

[٤٩٣] موازنات حكوميَّة و٥ بقرات حمراء.. خطة إسرائيليَّة لبناء "الهيكل الثَّالث" في باحات الأقصى، الجزيرة نت، ٣٠ يوليو ٢٠٢٣م.

المُعلن عنها في ٢٨ يناير ٢٠٢٠م، بندًا يمنح أبناء ما يُسمَّى بالدِّيانات الإبراهيميَّة الثَّلاث، الإسلام والمسيحيَّة واليهوديَّة، الحقَّ في أداء الطُّقوس الدِّينيَّة في منطقة هضبة موريا:

> يجب أن تظلَّ الأماكن المقدَّسة في القدس مفتوحة ومتاحة للمصلين المسالمين والسُّيَّاح من جميع الدِّيانات. ينبغي السَّماح للأشخاص من جميع الأديان بالصَّلاة في جبل الهيكل/الحرم الشَّريف، بطريقة تحترم تمامًا دينهم، مع مراعاة أوقات صلاة كلِّ دين وأعياده، فضلًا عن العوامل الدِّينيَّة الأخرى[٤٩٤].

ولا شكَّ في أنَّ نقْض العهود والمواثيق، الَّذي يشتهر به اليهود ويخبر عنه بيان الوحي الإلهي في العديد من المواضع، من أهمِّ أسباب استمرار الصِّراع العربي الإسرائيلي. لن ننسى أنَّ اتِّفاقيَّة أوسلو لعام ١٩٩٣م نصَّت على تأسيس دولة فلسطينيَّة على حدود ٥ يونيو ١٩٦٧م، لكنَّ بنيامين نتنياهو، زعيم حزب اللِّيكود، المستند إلى عقيدة الصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة، تنصَّل من ذلك الوعد، زاعمًا أنَّ الَّذي قطعته هي حكومة إسحق رابين، المنتمية إلى حزب العمل اليساري العلماني. ويرجع انعدام الثِّقة بين طرفي النِّزاع في الصِّراع العربي الإسرائيلي جزئيًّا إلى مراوغة الجانب الإسرائيلي في تصريحاته وتعهُّداته تجاه الجانب الفلسطيني.

[494] The White House (2020). Peace to Prosperity: A Vision to Improve the Lives of the Palestinian and Israeli People. Washington: The White House. P.1

سبيل إنهاء الصِّراع بشكل دائم

يفترض جيفري فريدن أنَّ من الممكن الوصول إلى حلٍّ جذري للصِّراع العربي الإسرائيلي، من خلال الوصول إلى اتِّفاق دستوري يضمن لكلِّ طرف الحصول على كامل حقوقه. من أجل ذلك، ينبغي تأسيس نظام ديموقراطي سليم يقوم على احترام مبدأ التَّناوب على السُّلطة ومراعاة حقوق الأقليَّات[٤٩٥]. دون تأسيس ذلك النِّظام، سيفقد المحكومون الدَّافع لمراعاة قواعد النِّظام. ففي حال تأسيس دولة مشتركة بين المستوطنين اليهود والفلسطينيين، سيشكِّل الفلسطينيون نسبة لا يُستهان بها من المواطنين؛ وهو ما سيستدعي حصولهم على كافَّة حقوقهم في ممارسة السُّلطة والتَّمثيل البرلماني.

غير أنَّ حصول الفلسطينيين على مراكز القيادة في تلك الدَّولة قد لا يلقى ترحيب السَّاسة اليهود؛ وفي المقابل، قد لا تراعي حكومة ذات أغلبيَّة يهوديَّة حقوق الأقليَّات. على ذلك؛ فإنَّ الاستناد إلى دستور ديموقراطي سيضمن مراعاة حقوق الأقليَّات، كما سيمنح كافَّة الأطراف الفاعليَّة إمكانيَّة المشاركة في الحياة السِّياسيَّة، إلى جانب حماية مصالح الجميع. وختامًا، يشدِّد الباحث على أهميَّة توفُّر الثِّقة بين الطَّرفين فيما يتعلَّق بالتزام كلِّ طرف بتعهُّداته، فذلك وحدة الَّذي سيكفل اقتناع كلِّ طرف بإمكانيَّة الخروج من ساحات القتال.

[495] Frieden: Ibid, pp.71-72.

الفصل الثَّامن

النُّبوءات الأخرويَّة

تحددِّ بوصلة الصِّراع العربي الإسرائيلي

يشير المبشِّر الأصولي، يهودي الأصل، جويل روزنبرغ، إلى أنَّ بنيامين نتنياهو شديد الاهتمام بدراسة الكتاب المقدَّس، متَّخذًا من نبوءاته بوصلة لتوجيه مساره السِّياسي[٤٩٦]. ونصَح نتنياهو الشَّعب اليهودي بإحياء تعاليم الكتاب المقدَّس، اتِّباعًا لنهج الملك يوشيا[٤٩٧]، الَّذي أدخل إصلاحات دينيَّة في أواخر عهْد مملكة يهوذا، قبل سقوطها عام ٥٨٧ قبل الميلاد على يد البابليين، بادئًا بنفسه، بتأسيس مدرسة لدراسة الكتاب المقدَّس في بيته في القُدس المحتلَّة عام ٢٠١١م. برغم ما هو ثابت عن وجود تواطؤ سرِّيٍّ بين ساسة الاحتلال الإسرائيلي ونظام ملالي الرَّافضة في إيران، وتطابُق أهداف المؤامرة الصُّهيونيَّة مع أهداف المؤامرة الصَّفويَّة على المنطقة العربيَّة في الزَّمن الحالي، فإنَّ الصِّراع بين الاحتلال وإيران مستقبلي، في ضوء النُّبوءات الكتابيَّة.

---

[496] Rosenberg, J. C. (2012). *Israel at war: Inside the nuclear showdown with Iran.* Tyndale House Publishers, Inc., p.17.

[497] Rosenberg, J. (2011, December 1). NETANYAHU TO START BIBLE STUDY IN HIS HOME: Pray that all Israelis follow his lead and begin reading the Word, like in the days of King Josiah. *Epicenter media*.

فالعهد القديم يشير إلى مشاركة إيران في تحالُف لدول المعسكر الشَّرقي، بقيادة روسيا، سيغزو دولة الاحتلال الإسرائيلي قُبيل اندلاع معركة هرمجدون المقدَّسة[٤٩٨]، وحينها سيأتي المدد الإلهي بظهور المخلِّص لحسْم المعركة لصالح أتباعه[٤٩٩]. وممَّا يؤكِّد استناد نتنياهو إلى النُّبوءات الكتابيَّة في اتِّخاذ قراراته إشارته في خطابه في ٢٥ أكتوبر ٢٠٢٣م، الَّذي أعلن فيه الاستعداد لاجتياح غزَّة بريًّا، في إطار عمليَّة حرب القيامة الانتقاميَّة لدحْر حركات المقاومة الفلسطينيَّة في قطاع غزَّة، إلى نبوءة إشعياء عن مستقبل دولة الاحتلال المشرق وتسيُّدها على العالم، بل وخضوع كافَّة خصومها السَّابقين لسلطانها[٥٠٠]. كذلك، وصف نتنياهو الفلسطينيين بأنَّهم "أبناء الظلام"، ومستوطني الاحتلال بأنَّهم "أبناء النور"، في إشارة إلى نبوءة مذكورة في إحدى مخطوطات البحر الميِّت، تُعرف بمخطوطة سفر قانون الحرب (ق١م).

ماذا تخبر مخطوطة سفر قانون الحرب

عن مستقبل الصِّراع في المنطقة العربيَّة؟

يعود نشْر مخطوطة سفر قانون الحرب (ق١م) إلى عام ١٩٦٢م، بعد ١٥ عامًا من بداية اكتشاف مخطوطات كهوف قمران، في منطقة البحر الميِّت في الأردن بمحض الصُّدفة، كما زُعم. وقد أفاد عالم

---

[٤٩٨] (سفر حزقيال: إصحاح ٣٦ -٣٩).

[٤٩٩] محمَّد عبد المحسن: ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ -الصُّهيونيَّة المسيحيَّة: محرِّك سياسات ورثة كورش الممهِّدة لمعركة هرمجدون، حدوس وإشراقات للنَّشر، عمَّان، ٢٠٢٤م، صـ٣٠١-٣٠٣.

[٥٠٠] "وَبَنُو الَّذِينَ قَهَرُوكِ يَسِيرُونَ إِلَيْكِ خَاضِعِينَ، وَكُلُّ الَّذِينَ أَهَانُوكِ يَسْجُدُونَ لَدَى بَاطِنِ قَدَمَيْكِ، وَيَدْعُونَكِ: مَدِينَةَ الرَّبِّ، «صِهْيَوْنَ قُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ. عِوَضًا عَنْ كَوْنِكِ مَهْجُورَةً وَمُبْغَضَةً بِلاَ عَابِرٍ بِكِ، أَجْعَلُكِ فَخْرًا أَبَدِيًّا فَرَحَ دَوْرٍ فَدَوْرٍ. وَتَرْضَعِينَ لَبَنَ الأُمَمِ، وَتَرْضَعِينَ ثُدِيَّ مُلُوكٍ، وَتَعْرِفِينَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُخَلِّصُكِ وَوَلِيُّكِ عَزِيزُ يَعْقُوبَ" (سفر إشعياء: إصحاح ٦٠، آيات ١٤-١٦).

الآثار اليهودي، ايجال يادين، بأن تلك المخطوطة، الَّتي تُعرف كذلك باسم مخطوطة "حرب أبناء النور ضد الظَّلام"، تتميَّز عن سواها من مخطوطات البحر الميِّت بعدم تلفها إلَّا من طرفها السُّفلي، أي أنَّها واضحة للقراءة والاطِّلاع. ويبلغ طول الشَّريحة حوالي ٣ أمتار، وعرضها ٦ بوصات، وهي من الجلد، وتتضمن ١٩ عمودًا عن إدارة الحرب. وتتناول المخطوطة حربًا بين أسباط لاوي ويهودا وبنيامين، المُشار إليهم بأبناء النُّور، في مواجهة الآشوريين والأدوميين والمؤابيين والعمونيين والإغريق، المُشار إليهم بأبناء الظَّلام. وتشير المخطوطة إلى أنَّ تلك الحرب تستمرُّ ٤٠ عامًا، ولا تُحسم إلَّا في اليوم الأخير، وقد رأى بعض النَّقَّاد أنَّ تلك الحرب ربَّما تكون معركة هرمجدون الكتابيَّة المقدَّسة[٥٠١].

ومن المثير للاهتمام أنَّ مناحيم بيغن، رئيس حكومة الاحتلال الإسرائيلي الأسبق وزعيم حزب اللِّيكود الأسبق وزعيم عصابة ارغون الإرهابيَّة قبل تأسيس دولة الاحتلال عام ١٩٤٨م، قد أشار في كلمة ألقاها أمام منظمة النِّداء اليهودي الموحَّد، في الولايات المتَّحدة، في ٥ أغسطس ١٩٨٢م، أي بعد شهرين من اجتياح الاحتلال للبنان، فيما أُطلق عليه حرب لبنان الأولى وعمليَّة السَّلام للجليل، إلى أنَّ دولة الاحتلال أمامها ما بين ٤٠ و٥٠ عامًا من السَّلام، تبدأ منذ خروج

[٥٠١] محمَّد عبد المحسن: ﴿ليسوؤوا وجوهكم﴾ القبَّالة في ميزان القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، مكتبة نور الإلكترونيَّة، ٢٠١٩م، صـ٢١٠-٢١١.

منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة من لبنان[٥٠٢]، وهو ما تمَّ فعلًا، بخروج الآلاف من مقاتلي المنظَّمة من لبنان بقيادة ياسر عرفات، بدءًا من ١٩ أغسطس ١٩٨٢م[٥٠٣]، أي بعد أسبوعين فقط من كلمة بيغن.

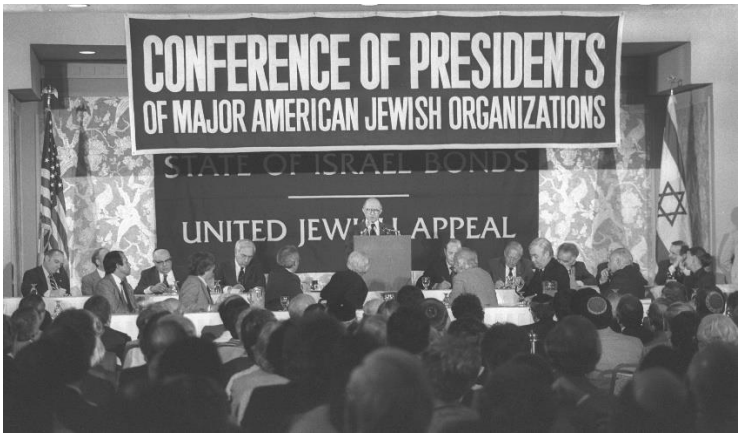

صورة ٨,١–مناحيم بيغن يلقي كلمته أمام ٢٠٠ من أعضاء منظمة النِّداء اليهودي الموحَّد، ٥ أغسطس ١٩٨٢م

وبما أنَّ فترة الـ ٤٠ عام من الاستنزاف والسَّلام المذكورة في مخطوطة سفر قانون الحرب (ق١م) تتَّفق مع فترة السَّلام الَّتي أخبر عنها بيغن عام ١٩٨٢م، فهناك رأي يقول إنَّ السِّياسي اليهودي البارز كان يقصد بما قال نبوءة "حرب أبناء النُّور وأبناء الظلام". ومن المثير للاهتمام أنَّ الفترة ما بين عاميّ ١٩٨٢م و٢٠٢٣م لم تشهد خوض دولة الاحتلال الإسرائيلي حربًا موسَّعة، وإن تخلَّلت تلك الفترة الكثير من العمليَّات

[502] Clarity, J.F. (1982, August 5). BEGIN SAYS 'NOBODY SHOULD PREACH TO US' ON ATTACKS OR SIEGE. *The New York Times.*

[٥٠٣] محمد شعبان أيوب: يوم اجتاحت إسرائيل بيروت ١٩٨٢.. أسرار ودوافع يرويها تاريخ دام، موقع الجزيرة نت، ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٤م.

محدودة النِّطاق، في قطاع غزَّة وجنوب لبنان. وقد شنَّ الاحتلال حربه الانتقاميَّة في قطاع غزَّة، في ٨ أكتوبر ٢٠٢٣م، والَّتي أعاد نتنياهو تسميتها من عمليَّة السُّيوف الحديديَّة إلى حرب القيامة، ودخل في مناوشات حدوديَّة مع حزب الله اللُّبناني في الوقت ذاته، ليبدأ في ٣٠ سبتمبر ٢٠٢٤م اجتياح لبنان[٥٠٤].

هل تدين نبوءة إشعياء حركة حماس أم الشَّعب اليهودي؟

صورة ٨,٢-نتنياهو يعلن عمليَّة الاجتياح البرِّي في غزَّة-٢٥ أكتوبر ٢٠٢٣م

في خطابه آنف الذِّكر، أشار بنيامين نتنياهو إلى عبارة من الإصحاح ٦٠ في سفر إشعياء تقول "לֹא-יִשָּׁמַע עוֹד **חָמָס** בְּאַרְצֵךְ, שֹׁד וָשֶׁבֶר בִּגְבוּלָיִךְ; וְקָרָאת יְשׁוּעָה חוֹמֹתַיִךְ, וּשְׁעָרַיִךְ תְּהִלָּה"[٥٠٥]، والَّتي تعني "لاَ يُسْمَعُ بَعْدُ **ظُلْمٌ** فِي أَرْضِكِ، وَلاَ خَرَابٌ أَوْ سَحْقٌ فِي تُخُومِكِ، بَلْ

[٥٠٤] غزو إسرائيل للبنان: موسوعة ويكيبيديا الرَّقميَّة.
[٥٠٥] سفر إشعياء (إصحاح ٦٠، آية ١٨).

تُسَمِّينَ أَسْوَارَكِ: خَلاَصًا وَأَبْوَابَكِ: تَسْبِيحًا". استغلَّ نتنياهو التَّشابه الصَّوتي بين كلمة "חָמָס"، الَّتي تشير إلى الظُّلم أو العنف، وكلمة "حماس" بالعربيَّة، وهو الاسم المختصر لحركة المقاومة الإسلاميَّة في قطاع غزَّة، والَّذي يُكتب بالعبريَّة "חמאס"، وليس "חָמָס"، دون وجود أيِّ علاقة بين مدلول الكلمتين. ما تعنيه العبارة هو أنَّ الظُّلم لن يُسمع مجدَّدًا في أرض إسرائيل بعد ظهور المخلِّص. وكأنَّما أراد نتنياهو أن يقرن حركة حماس بالظُّلم المتفشِّي في أرض إسرائيل قبل ظهور المخلِّص، في إشارة ضمنيَّة إلى أعمال العنف الَّتي يتَّهم حركات المقاومة بارتكابها، ظُلمًا لمستوطني الاحتلال، وليس ردًّا على انتهاكاته، زاعمًا فناء ذلك الظُّلم مستقبلًا، في فترة السَّلام الَّتي ستعقب ظهور المخلِّص.

صورة ٨,٣-شعار حركة حماس

غير أنَّ تلك الإشارة إدانة قويَّة لبني إسرائيل وذريَّهم، وليس لحركة حماس، ولا غيرها من حركات المقاومة الفلسطينيَّة، ولا الفلسطينيين بوجه عام. ففي الإصحاح ٥٩ في سفر إشعياء، يوبِّخ الرَّبُّ بني

إسرائيل على خطاياهم، متَّهمًا إيَّاهم بالانغماس في الكذب والباطل[٥٠٦]. بالوقوف عند ذكْر كلمة "חָמָס" في العبارة الَّتي تقول "קוֹרֵיהֶם לֹא-יִהְיוּ לְבֶגֶד، וְלֹא יִתְכַּסּוּ בְּמַעֲשֵׂיהֶם؛ מַעֲשֵׂי-אָוֶן، וּפֹעַל **חָמָס**، בְּכַפֵּיהֶם"[٥٠٧]، والَّتي تعني "خُيُوطُهُمْ لاَ تَصِيرُ ثَوْبًا، وَلاَ يَكْتَسُونَ بِأَعْمَالِهِمْ. أَعْمَالُهُمْ أَعْمَالُ إِثْمٍ، وَفَعْلُ **الظُّلْمِ** فِي أَيْدِيهِمْ"، فإنَّها لا تشير إلَّا إلى أعمال العنف والظُّلم الَّتي انخرط فيها بنو إسرائيل، وأثارت غضب الرَّبِّ عليهم[٥٠٨]. ويعني ذلك أن زوال "חָמָס" من أرض إسرائيل يعني زوال مرتكبي الآثام، ومنها أعمال العنف، وهم مستوطنو الاحتلال أنفسهم.

ولن ننسى أنَّ العهد القديم يزخم بالعبارات الَّتي تتضمَّن اعترافًا بفعل بني إسرائيل الشَّرَّ، مثل "عَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ"[٥٠٩]، بشركهم بربِّهم وارتكاب الآثام الَّتي نهاهم عنها؛ ومن ثمَّ حرمتهم من ميراث الأرض المقدَّسة. وتذكيرًا بما سبق طرْحه، فإنَّ بني إسرائيل كرَّروا خطايا الأمم السَّابقة الَّتي استوطنت الأرض المقدَّسة،

---

[٥٠٦] "هَا إِنَّ يَدَ الرَّبِّ لَمْ تَقْصُرْ عَنْ أَنْ تُخَلِّصَ، وَلَمْ تَثْقُلْ أُذُنُهُ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ. بَلْ آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلهِكُمْ، وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ. لأَنَّ أَيْدِيَكُمْ قَدْ تَنَجَّسَتْ بِالدَّمِ، وَأَصَابِعَكُمْ بِالإِثْمِ. شِفَاهُكُمْ تَكَلَّمَتْ بِالْكَذِبِ، وَلِسَانُكُمْ يَلْهَجُ بِالشَّرِّ. لَيْسَ مَنْ يَدْعُو بِالْعَدْلِ، وَلَيْسَ مَنْ يُحَاكِمُ بِالْحَقِّ. يَتَّكِلُونَ عَلَى الْبَاطِلِ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِالْكَذِبِ. قَدْ حَبِلُوا بِتَعَبٍ، وَوَلَدُوا إِثْمًا. فَقَسُوا بَيْضَ أَفْعَى، وَنَسَجُوا خُيُوطَ الْعَنْكَبُوتِ. الآكِلُ مِنْ بَيْضِهِمْ يَمُوتُ، وَالَّتِي تُكْسَرُ تُخْرِجُ أَفْعَى. خُيُوطُهُمْ لاَ تَصِيرُ ثَوْبًا، وَلاَ يَكْتَسُونَ بِأَعْمَالِهِمْ. أَعْمَالُهُمْ أَعْمَالُ إِثْمٍ، وَفَعْلُ الظُّلْمِ فِي أَيْدِيهِمْ" (سفر إشعياء: إصحاح ٥٩، آيات ١-٦).

[٥٠٧] (سفر إشعياء: إصحاح ٥٩، آية ٦).

[٥٠٨] قناة الدَّعوة الإسلاميَّة: شريعة البقرة الحمراء وخطة هدم المسجد الأقصى | لقاء مع حمزة سليمان، موقع يوتيوب، ٨ ديسمبر ٢٠٢٣م.

[٥٠٩] "وَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، فَشَدَّدَ الرَّبُّ عِجْلُونَ مَلِكَ مُوآبَ عَلَى إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُمْ عَمِلُوا الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. فَجَمَعَ إِلَيْهِ بَنِي عَمُّونَ وَعَمَالِيقَ، وَسَارَ وَضَرَبَ إِسْرَائِيلَ، وَامْتَلَكُوا مَدِينَةَ النَّخْلِ. فَعَبَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِجْلُونَ مَلِكَ مُوآبَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً" (سفر القُضاة: إصحاح ٣، آيات ١٢-١٤).

والَّتي بشؤمها اصطفاهم الرَّبِّ لإبادة تلك الأمم وأورثهم أرضها[٥١٠]، برغم الميثاق الَّذي أخذه عليهم نبيُّهم يشوع، الَّذي دخلوا الأرض المقدَّسة بقيادته[٥١١]. وبما أنَّ الصَّلاح المشتمل على تقوى الله هو شرط ميراث الأرض، كما يخبرنا الله تعالى في القرآن الكريم في العديد من المواضع[٥١٢]، فإنَّ انغماس بني إسرائيل في آثامهم، وارتكابهم للظُّلم المشتملة على أعمال العنف، "חָמָס"، أوجب غضب الرَّبِّ عليهم الَّذي أفضى إلى سحْقهم وحرمانهم من ميراث الأرض[٥١٣].

مآل الصِّراع في المنطقة العربيَّة في ضوء النُّبوءات الكتابيَّة

اتِّباعًا لقول نبيّنا مُحمَّد (ﷺ)، عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما)، "بلِّغوا عنِّي ولو آيةً وحدِّثوا عن بني إسرائيلَ ولا حرجَ ومن كذبَ عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعدَهُ من النَّارِ"[٥١٤]، نرصد أهمَّ ما اشتملت عليه نبوءات الكتاب المقدَّس بشأن مآل

---

[٥١٠] "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ عَلَى أُرْدُنِّ أَرِيحَا قَائِلًا: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّكُمْ عَابِرُونَ الأُرْدُنَّ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَتَطْرُدُونَ كُلَّ سُكَّانِ الأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ، وَتَمْحُونَ جَمِيعَ تَصَاوِيرِهِمْ، وَتُبِيدُونَ كُلَّ أَصْنَامِهِمِ الْمَسْبُوكَةِ وَتُخْرِبُونَ جَمِيعَ مُرْتَفَعَاتِهِمْ. تَمْلِكُونَ الأَرْضَ وَتَسْكُنُونَ فِيهَا لأَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمُ الأَرْضَ لِكَيْ تَمْلِكُوهَا" (سفر العدد: إصحاح ٣٣، آيات ٥٠-٥٣).

[٥١١] "يَكُونُ كَمَا أَنَّهُ أَتَى عَلَيْكُمْ كُلُّ الْكَلاَمِ الصَّالِحِ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ إِلهُكُمْ عَنْكُمْ، كَذلِكَ يَجْلِبُ عَلَيْكُمُ الرَّبُّ كُلَّ الْكَلاَمِ الرَّدِيءِ حَتَّى يُبِيدَكُمْ عَنْ هذِهِ الأَرْضِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَعْطَاكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ. حِينَمَا تَتَعَدَّوْنَ عَهْدَ الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ وَتَسِيرُونَ وَتَعْبُدُونَ آلِهَةً أُخْرَى وَتَسْجُدُونَ لَهَا، يَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ فَتَبِيدُونَ سَرِيعًا عَنِ الأَرْضِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَعْطَاكُمْ" (سفر يشوع: إصحاح ٢٣، آيتان ١٥-١٦).

[٥١٢] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٥]؛ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص: ٨٣].

[٥١٣] "وَكَمَا فَرِحَ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُحْسِنَ إِلَيْكُمْ وَيُكَثِّرَكُمْ، كَذلِكَ يَفْرَحُ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُفْنِيَكُمْ وَيُهْلِكَكُمْ، فَتُسْتَأْصَلُونَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا. وَيُبَدِّدُكَ الرَّبُّ فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا، وَتَعْبُدُ هُنَاكَ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلاَ آبَاؤُكَ، مِنْ خَشَبٍ وَحَجَرٍ" (سفر التَّثْنية: إصحاح ٢٨، آيتان ٦٣-٦٤).

[٥١٤] صحيح البخاري: ٣٤٦١.

الصِّراع الدَّار في المنطقة العربيَّة، والآخذ في التَّفجُّر منذ عمليَّة طوفان الأقصى في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م. نبدأ بنبوءة عن دمار دمشق، وردت مرَّتين في العهد القديم، في سفر إشعياء[٥١٥]، وفي سفر إرميا[٥١٦]. واستنادًا إلى تلك النُّبوءة، طرَح المبشِّر الأصولي، جويل روزنبرغ، تصوُّرًا لسيناريو تحقُّق تلك النُّبوءة في ثالث أجزاء سلسلته الرُّوائيَّة **الإمام الثَّاني عشر**[٥١٧]، والَّذي منحه اسم **العدُّ التَّنازلي لدمشق**[٥١٨].

وتبدأ أحداث الجزء الثَّالث من حيث انتهى الجزء الثَّاني[٥١٩]، الَّذي تضمَّن شنَّ وكلاء إيران المحلِّيين هجومًا على الولايات المتَّحدة استوجب ردَّ الاحتلال الإسرائيلي، بإصابة أهداف نوويَّة ومنشآت عسكريَّة في إيران. يخطِّط الإمام الثَّاني عشر، وهو مهديُّ الرَّافضة الغائب الَّذي يظهر في أوَّل أجزاء السِّلسلة ليطلق حملة عدائيَّة ضدَّ الغرب ودولة الاحتلال الإسرائيلي[٥٢٠]، للانتقام من دولة الاحتلال، بعد استهدافها البرنامج النَّووي الإيراني، معتزمًا شنَّ "جهاده الأخير ضدَّ إسرائيل من دمشق[٥٢١]"، وهو ما استبقه جيش الاحتلال الإسرائيلي

---

[٥١٥] "وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ دِمَشْقَ: هُوَ ذَا دِمَشْقُ تُزَالُ مِنْ بَيْنِ الْمُدُنِ وَتَكُونُ رُجْمَةَ رَدْمٍ. مُدُنُ عَرُوعِيرَ مَتْرُوكَةٌ. تَكُونُ لِلْقُطْعَانِ، فَتَرْبِضُ وَلَيْسَ مَنْ يُخِيفُ. وَيَزُولُ الْحِصْنُ مِنْ أَفْرَايِمَ وَالْمُلْكُ مِنْ دِمَشْقَ وَبَقِيَّةِ أَرَامَ. فَتَصِيرُ كَمَجْدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ" (سفر اشعياء: إصحاح ١٧، آيات ١-٣).

[٥١٦] "عَنْ دِمَشْقَ: «خَزِيَتْ حَمَاةُ وَأَرْفَادُ. قَدْ ذَابُوا لأَنَّهُمْ قَدْ سَمِعُوا خَبَرًا رَدِيئًا. فِي الْبَحْرِ اضْطِرَابٌ لاَ يَسْتَطِيعُ الْهُدُوءَ. ارْتَخَتْ دِمَشْقُ وَالْتَفَتَتْ لِلْهَرَبِ. أَمْسَكَتْهَا الرِّعْدَةُ، وَأَخَذَهَا الضِّيقُ وَالأَوْجَاعُ كَمَاخِضٍ. كَيْفَ لَمْ تُتْرَكِ الْمَدِينَةُ الشَّهِيرَةُ، قَرْيَةُ فَرَحِي؟ لِذلِكَ تَسْقُطُ شُبَّانُهَا فِي شَوَارِعِهَا، وَتَهْلِكُ كُلُّ رِجَالِ الْحَرْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ. وَأُشْعِلُ نَارًا فِي سُورِ دِمَشْقَ فَتَأْكُلُ قُصُورَ بَنْهَدَدَ»" (سفر ارميا: إصحاح ٤٩، آيات ٢٣-٢٧).

[517] Rosenberg, J. C. (2012). *Israel at war: Inside the nuclear showdown with Iran.* Tyndale House Publishers, Inc, p54.

[518] Rosenberg, J. C. (2013). *Damascus Countdown*. Tyndale House Publishers, Inc.

[519] Rosenberg, J. C. (2011). *The Tehran Initiative*. Tyndale House Publishers, Inc.

[520] Rosenberg, J. C. (2010). *The Twelfth Imam*. Tyndale House Publishers, Inc.

[521] Rosenberg, J. C. (2013). *Damascus Countdown*. Tyndale House Publishers, Inc., p.193.

بشنِّ ضربة موجعة على دمشق، تضمَّنت استهداف مطار المزَّة العسكري، وهو إحدى أهمُّ المنشآت العسكريَّة للقوَّات الجوِّيَّة السُّوريَّة، لتختفي دمشق من الوجود دون أن تقوم لها قائمة في لحظات:

> لقد اختفت مدينة دمشق العتيقة الأبيَّة العظيمة. لقد مُحيت من على وجه الخارطة، ولن تعود إلى الوجود أبدًا. لقد هلك أكثر من مليوني إنسان عربي في غضون أجزاء من الثَّانية. لقد كانت مأساة ملحميَّة، ولكنَّها مأساة من صُنع إيران وسوريا[٥٢٢].

ويتنبَّأ روزنبرغ في روايته **بروتوكول بيروت**[٥٢٣]، أن يشهد عام ٢٠٢١م اندلاع حرب لبنان الثَّالثة، بردِّ الاحتلال الإسرائيلي على استفزازات حزب الله اللُّبناني، خاصَّةً مع تخطيط الاحتلال لاستهداف المنشآت النَّوويَّة الإيرانيَّة، ومن المتوقَّع في تلك الحالة أن يكون لبنان نقطة انطلاق الانتقام الإيراني من الاحتلال. وتدور أحداث الرُّواية حول اختطاف حزب الله لأحد عناصر وكالة المخابرات المركزيَّة الأمريكيَّة، واقتياده لأحد أنفاق حزب الله في جنوب لبنان، لتبدأ حملة لتحرير العميل الاستخباراتي الأمريكي، وتتطوَّر الأمور حتَّى يضطر جيش الاحتلال لشنِّ حرب على جنوب لبنان لإنهاء التَّهديد الإرهابي للمقاومة الشِّيعيَّة.

ويرى مراقبون أنَّ استمرار الصِّراع الدَّموي في سوريا، الَّذي بدأ في النِّصف الأوَّل من عام ٢٠١١م، بشنِّ نظام بشَّار الأسد العلوي الموالي لنظام ملالي

---

[522] Ibid: P.269

[523] Rosenberg, J. C. (2021). *The Beirut Protocol*. Tyndale House Publishers, Inc.

الشِّيعة في إيران، حملة ضارية ضدَّ المحتجِّين من أبناء الشَّعب السُّوري على أوضاعهم المعيشيَّة ومطالبتهم بإسقاط النِّظام، والَّذي حوَّله النِّظام إلى حرب أهليَّة من خلال استغلال العامل الطَّائفي، يُعدُّ إشارة قويَّة على بدء أحداث نهاية الزَّمان[٥٢٤]، كما أنَّها خطوة ممهِّدة لاندلاع معركة هرمجدون المقدَّسة عند أهل الكتاب[٥٢٥]. ويجدر التَّنبيه إلى أنَّ الاحتلال الإسرائيلي استهدف دمشق عدَّة مرَّات، ومن أحدثها شنُّ غارة في محيط قاعدة المزَّة العسكريَّة في ٨ أكتوبر ٢٠٢٤م، لاستهداف مبنى به قيادات الحرس الثَّوري الإيراني وحزب الله اللُّبناني:

٢٠ قتيلًا وجريحًا في غارة إسرائيليَّة على حي المزَّة بدمشق

قُتل ٩ مدنيين بينهم نساء وأطفال، الثُّلاثاء، وأصيب ١١ آخرون، في غارة إسرائيليَّة استهدفت مبنى سكنيًّا في دمشق، على ما أفادت وزارة الدِّفاع السُّوريَّة فيما اعتبرته مجرد "حصيلة أوليَّة" للهجوم.

ونفى التِّلفزيون الإيراني وجود نائب قائد فيلق القدس، رضا فلاح زاده، وأمين حركة الجهاد زياد النَّخالة، بموقع الاستهداف

[524] Karouny, M. (2014, April 1). Apocalyptic prophecies drive both sides to Syrian battle for end of time. *Reuters.*

[525] Mail Online. (2013, September 6). Is Syria conflict the latest sign of Armageddon? Novelist with the ear of Rick Santorum and Rick Perry predicts disaster.

بدمشق. ومن جانبها، نفت السَّفارة الإيرانيَّة في دمشق مقتل إيرانيين في الغارة على حي المزَّة.

وقالت وزارة الدِّفاع السُّوريَّة: "شنَّ العدو الإسرائيلي عدوانا جويا بثلاثة صواريخ من اتِّجاه الجولان السُّوري المحتلّ مستهدفًا أحد الأبنية السَّكنيَّة والتُّجاريَّة في حي المزَّة المكتظ بالسُّكَّان في دمشق، ما أدَّى إلى ارتقاء ٩ شهداء مدنيين بينهم أطفال ونساء، وإصابة ١١ آخرين بجروح كحصيلة أوليَّة" مع استمرار العمل "لإنقاذ آخرين من تحت الأنقاض"[٥٢٦].

أمَّا عن احتماليَّة شنِّ الاحتلال الإسرائيلي هجومًا يستهدف منشآت إيران النَّوويَّة، فهناك تهديد بشنِّ الاحتلال ضربة لتدمير البرنامج النَّووي الإيراني، ردًّا على الهجوم الَّذي شنَّته إيران على الاحتلال مطلع أكتوبر ٢٠٢٤م[٥٢٧]، بزعم الرَّدِّ على مقتل إسماعيل هنيَّة، رئيس المكتب السِّياسي لحركة حماس، بضربة إسرائيليَّة استهدفت خلال زيارته لطهران، في ٣١ يوليو ٢٠٢٤م. وكان من بين السِّيناريوهات الَّتي طرحها الباحث، علي رضا حجازي، بشأن تداعيات الصِّراع بين الاحتلال وحزب الله اللُّبناني، المدعوم من إيران، تبادُل استهداف المنشآت النَّوويَّة بين الاحتلال وإيران، بما يفضي إلى اندلاع حرب

[٥٢٦] 20 قتيلًا وجريحًا في غارة إسرائيليَّة على حي المزَّة بدمشق، موقع العربيَّة نت، ٨ أكتوبر ٢٠٢٤م.
[٥٢٧] إيران تطلق هجومها على إسرائيل، موقع الحرَّة، ١ أكتوبر ٢٠٢٤م.

إقليميَّة واسعة النِّطاق[٥٢٨]، وهو ما أشار أحد المراقبين إلى إمكانيَّة حدوثه، ولكن دون أن يتحوَّل إلى حرب نوويَّة شاملة:

محلِّل: من المحتمل أن تتبادل إسرائيل وإيران استهداف المنشآت النَّوويَّة

قلّل المحلِّل السِّياسي والباحث في معهد الشَّرق الأوسط الدُّكتور حسن منيمنة من فرص نشوب حرب نوويَّة بالمعنى التَّقليدي بين إسرائيل وإيران وقال إنَّها تبقى محدودة، رغم احتمالات التَّصعيد العسكري بين الطَّرفين.

وأوضح منيمنة –خلال مقابلة مع الجزيرة– أنَّ مفهوم "الحرب النَّوويَّة" في هذا السِّياق لا يعني بالضَّرورة استخدام الأسلحة النَّوويَّة، بل قد يشير إلى استهداف المنشآت النَّوويَّة للطَّرف الآخر.

وأضاف منيمنة: "ليس المقصود هنا استخدام السِّلاح النَّووي، ولكن إذا ضربت إسرائيل إيران، يمكننا توقُّع أن تستهدف إيران المنشآت النَّوويَّة الإسرائيليَّة، وهذه تعتبر حربًا نوويَّة، ولكن ليس

[528] Hejazi, A. (2024). Exploring the Possible Scenarios of an Israeli-Lebanese Conflict. *Nuts About Leadership, 1*(3), 64.

بمعنى استعمال السِّلاح النَّووي، وإنَّما باستهداف المنشآت النَّوويَّة"[٥٢٩].

صورة ٨,٤-موقع مدينة صور قرب مستوطنات الاحتلال الإسرائيلي

وبالحديث عن احتماليَّة تبادُل استهداف المنشآت النَّوويَّة بين الاحتلال وإيران، وما قد يُحدثه ذلك من كوارث بيئيَّة ستفضي بدورها إلى هلاك أعداد هائلة من البشر، وخراب العديد من المدن، فهناك نبوءة أخرى في العهد القديم، وتحديدًا في سفر إشعياء ذاته، بشأن خراب إحدى مُدن الشَّام، وهي صور[٥٣٠]، الواقعة في جنوب لبنان، بالقرب من المنطقة الحدوديَّة مع المستعمرات الشَّماليَّة للاحتلال الإسرائيلي. وما يشير إلى احتماليَّة تعرَّض المدينة لتَّدمير نووي بقاؤها خربة وغير أهل للعيش ٧٠

[٥٢٩] محلِّل: من المحتمل أن تتبادل إسرائيل وإيران استهداف المنشآت النَّوويَّة، موقع الجزيرة نت، ٤ أكتوبر ٢٠٢٤م.

[٥٣٠] "وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ صُورَ: وَلْوِلِي يَا سُفُنَ تَرْشِيشَ، لأَنَّهَا خَرِبَتْ حَتَّى لَيْسَ بَيْتٌ حَتَّى لَيْسَ مَدْخَلٌ. مِنْ أَرْضِ كِتِّيمَ أُعْلِنَ لَهُمْ" (سفر إشعياء: إصحاح ٢٣، آية ١).

سنة[٥٣١]، وبعد انقضاء تلك الفترة، تعود المدينة إلى سابق عهدها، بعد زوال غضب الربِّ عليها[٥٣٢]. هذا، وقد نشرت شبكة بي بي سي البريطانيَّة تقريرًا يشير إلى أنَّ مدينة صور صارت "شبه مهجورة"؛ من جرَّاء قصف الاحتلال، الَّذي دفع المدنيين إلى النُّزوح، خوفًا من القتل، بعد سقوط عشرات الضَّحايا[٥٣٣].

ماذا تخبر النُّبوءات الأخرويَّة الإسلاميَّة

عن زوال الاحتلال الإسرائيلي؟

يخبرنا الله (عزَّ وجلَّ) في بيان الوحي عن فساد بني إسرائيل وعلوّهم في الأرض المقدَّسة مرَّتين، وعن تعرُّضهم في المرَّتين للغضب الإلهي، المفضي إلى تسلُّط فئة من عباد الله عليهم لتنفيذ الانتقام الإلهي، مصداقًا لقوله تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۞ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ٤-٧].

---

[٥٣١] "وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ صُورَ تُنْسَى سَبْعِينَ سَنَةً كَأَيَّامِ مَلِكٍ وَاحِدٍ" (سفر إشعياء: إصحاح ٢٣، آية ١٥).

[٥٣٢] "وَيَكُونُ مِنْ بَعْدِ سَبْعِينَ سَنَةً أَنَّ الرَّبَّ يَتَعَهَّدُ صُورَ فَتَعُودُ إِلَى أُجْرَتِهَا، وَتَزْنِي مَعَ كُلِّ مَمَالِكِ الْبِلاَدِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ. وَتَكُونُ تِجَارَتُهَا وَأُجْرَتُهَا قُدْسًا لِلرَّبِّ. لاَ تُخْزَنُ وَلاَ تُكْنَزُ، بَلْ تَكُونُ تِجَارَتُهَا لِلْمُقِيمِينَ أَمَامَ الرَّبِّ، لأَكْلٍ إِلَى الشِّبَعِ وَلِلِبَاسٍ فَاخِرٍ" (سفر إشعياء: إصحاح ٢٣، آيتان ١٧-١٨).

[٥٣٣] أورلا جورين: غضب وحزن في مدينة صور جنوبي لبنان شبه المهجورة بسبب الغارات الإسرائيلية، بي بي سي عربي، ٦ أكتوبر ٢٠٢٤.

وتتنوَّع الآراء بشأن تحديد هويَّة دورتي الإفساد المذكورتين في سورة الإسراء. فعلى سبيل المثال، يرى الدَّكتور بهاء الأمير أنَّ الإفساد الأوَّل لبني إسرائيل المقصود به تحريف رسالة الوحي الإلهي، الَّتي نتج عنها "حضارة الإغريق، ودولة الرُّومان، وأساطير الهندوسيَّة والبوذيَّة، وسيرة بني إسرائيل المقدَّسة، وما استقرت عليه المسيحيَّة"[٥٣٤]، وجاءت رسالة الإسلام لمحو الأباطيل وإعادة النَّاس إلى عبادة الله وحده لا شريك. على ذلك؛ فإنَّ الوعد الأوَّل لبني إسرائيل تحقَّق مع بداية الفتح الإسلامي للشَّام، بغزوة مؤتة عام ٨هـ/٦٢٩م، في زمن النَّبيِّ (ﷺ) وصحابته (رضي الله عنهم)، وحتَّى الفتح العُمري للقُدس عام ١٥هـ/٦٣٦م. ويستدلُّ الأمير في ذلك بتطابق وصْف عباد الله الموكَّلين بتحقيق الوعد الأوَّل في سورة الإسراء، بوصفهم ﴿أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ[٥٣٥]﴾، ووصْف الصَّحابة الكرام في سورة الفتح بأنَّهم ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ[٥٣٦]﴾. علاوة على ذلك، فإنَّ عبارة ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ[٥٣٧]﴾ تشير إلى أنَّ العباد الموكَّلين بتنفيذ وعْد الآخرة هم امتداد لمنفِّذي الوعد الأوَّل[٥٣٨].

مستدلًّا بحساب الجُمَّل، رأى الباحث الفلسطيني، بسَّام جرَّار، أنَّ أوَّل دورتي الإفساد المذكورتين في سورة الإسراء هي فترة الاحتلال الصَّليبي لبيت المقدس

---

[٥٣٤] بهاء الأمير: شفرة سورة الإسراء: بنو إسرائيل والحركات السرية في القرآن، مكتبة مدبولي، طبعة ١، القاهرة، مصر، ٢٠١٥م، ص٥١٦.

[٥٣٥] [سورة الإسراء: ٥].

[٥٣٦] ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

[٥٣٧] [سورة الإسراء: ٧].

[٥٣٨] بهاء الأمير: المصدر السَّابق، ص٥١٩.

(١٠٩٩-١١٨٧م)، الَّتي ظلَّ المسجد الأقصى خلالها تحت قبضة الصَّليبيين، حيث منعوا إقامة الصَّلاة فيه، باعتباره مبنيًّا محلَّ هيكل سليمان، وحوَّلوا مُصلَّى قبَّة الصَّخرة إلى كنيسة، رافعين صليبًا فوق قبَّته. وافترض جرَّار، الَّذي أصدر كتابًا يطرح فيه فرضيَّته لأوَّل مرَّة عام ١٩٩٣م[٥٣٩]، ثمَّ طوَّرها على مدار العقود الثَّلاثة التَّالية، مشيرًا إلى أنَّ زوال دولة الاحتلال يكون في عام ٢٠٢٢م، وتحديدًا في ٨ يوليو، الموافق لوقفة عرفات من عام ١٤٤٣هـ. وبرغم عدم تحقُّق ذلك التَّوقُّع، فإنَّ الباحث الفلسطيني يدعو إلى عدم التَّعجُّل؛ لأنَّ صحَّته قد تثبت مستقبلًا.

وقد اجتهد الشَّيخ أسعد بيوض التَّميمي، خطيب المسجد الأقصى ومديره السَّابق، في تبيان حتميَّة زوال دولة الاحتلال الإسرائيلي، في ضوء النُّصوص القرآنيَّة، مبشِّرًا بحتميَّة هذا الزَّوال، مهما حاول الاحتلال وأعوانه من العملاء الإيحاء بخلاف ذلك[٥٤٠]. ويؤيِّد التَّميمي الرَّأي القائل إنَّ الإفساد الأوَّل لبني إسرائيل كان في الفترة السَّابقة على بعثة النَّبيِّ (ﷺ)، وإنَّ العباد المُشار إليهم بأنَّهم ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ[٥٤١]﴾ هم الصَّحابة زمن الفتح الإسلامي للشَّام. ويؤكِّد المدير الأسبق للمسجد الأقصى المبارك أنَّ وعْد الآخرة سيتحقَّق، بإذن الله تعالى، عقابًا من الله على ما ارتكبه اليهود من فظائع في الأرض المقدَّسة، والمستمرَّة والمتفاقمة إلى يومنا هذا:

---

[٥٣٩] بسَّام نهاد جرَّار: زوال إسرائيل ٢٠٢٢: نبوءة قرآنيَّة أم صدفة رقميَّة، مكتبة الباقع الحديثة لبنان، ١٩٩٣م.

[٥٤٠] أسعد التميمي: زوال إسرائيل: حتميَّة قرآنيَّة، المختار الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٨م.

[٥٤١] [سورة الإسراء: ٥].

واليهود قد أساؤوا فقتلوا النَّفس الإنسانيَّة، وعذَّبوها، ويتَّموا الأطفال، وسجنوا النِّساء، وهدموا البيوت، واغتصبوا الأرض، وأقاموا المستعمرات، وحرقوا الأقصى في ٢١ أغسطس ١٩٦٩، والأقصى عند الله عظيم! ودنَّسوا مسجد الخليل (عليه السَّلام)، والخليل عند الله هو الخليل. وارتكبوا جريمة الجرائم في مسجد الخليل يوم أن عمدوا إلى كتاب الله ودنَّسوه بالأقدام...وهنا تأتي عقوبة الله لهم على ما اقترفوه من الإثم والجرائم، بتفسير الآيات، أنَّ دولتهم لن يطول فسادها ولا علوُّها[٥٤٢].

يبشِّر الشَّيخ أسعد التَّميمي بتحقُّق الوعد الإلهي بزوال الاحتلال الإسرائيلي، وهو المُشار إليه بوعد الآخرة، تمامًا مثل تحقُّق الوعد الأوَّل، بالفتح العُمري لبيت المقدس عام ١٥هـ/٦٣٦م. وكما يخبرنا بيان الوحي الإلهي، فإنَّ تحقُّق وعْد الآخرة سيسبقه مجيء اليهود من شتَّى أنحاء العالم إلى الأرض المقدَّسة، حيث قامت دولة الاحتلال الزَّائلة، بإذن الله تعالى، مصداقًا لقول الله ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا[٥٤٣]﴾. ويوضح قول الله تعالى ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ أنَّ بقاء بني إسرائيل في الأرض المقدَّسة، الَّتي دخلوها بعد موت نبي الله موسى (عليه السَّلام)، سيكون مؤقَّتًا؛ لأنَّ السَّكن لا يعني البقاء دومًا، إنَّما يحمل معنى الإقامة المؤقَّتة والانتقال إلى سكن آخر.

---

[٥٤٢] أسعد التميمي: المصدر السَّابق، صـ٢٠-٢١.

[٥٤٣] [سورة الإسراء: ١٠٤].

فقد طُرد بنو إسرائيل من الأرض المقدَّسة مرَّتين، الأولى على يد البابليين عام ٥٨٧ قبل الميلاد، والثَّانية على يد الرُّومان بعد فشل ثورة شمعون بار كوخبا (١٣٢-١٣٦م)، وذلك بعد دمار هيكلهم الثَّاني عام ٧٠م، في أعقاب فشل الثَّورة اليهوديَّة الكبرى على الرُّومان (٦٦-٧٣م). من تدابير الله تعالى أن تبدأ هجرة اليهود إلى الأرض المقدَّسة منذ أواخر القرن التَّاسع عشر للميلاد، ويُعاد تأسيس دولة بني إسرائيل عام ١٩٤٨م، وكأنَّما أتى بهم الله تعالى ليُسحقوا جميعًا وقت تحقُّق وعْد الآخرة. وقد حُرِّمت الأرض المقدَّسة على بني إسرائيل حتَّى قُرب حدوث الوعد الحقّ، وهو وعْد الآخرة، كما يقول الله تعالى ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ[٥٤٤]﴾.

وأخبرنا النَّبيُّ (ﷺ) عن وقوع معركة في آخر الزَّمان بين المسلمين واليهود، ينطق فيها الحجر والشَّجر لنُصرة المسلمين "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يُقاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ المُسْلِمُونَ حتَّى يَخْتَبِئَ اليَهُودِيُّ مِن وراءِ الحَجَرِ والشَّجَرِ، فيَقولُ الحَجَرُ أوِ الشَّجَرُ: يا مُسْلِمُ يا عَبْدَ اللهِ هذا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعالَ فاقْتُلْهُ، إلَّا الغَرْقَدَ، فإنَّه مِن شَجَرِ اليَهُودِ"[٥٤٥]. وقد نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت أنَّ حكومة الاحتلال الإسرائيلي تتوسَّع في زراعة شجر الغرقد، بزعم أنَّه قادر على التَّصدِّي للصَّواريخ الَّتي استهدفت السِّكك الحديديَّة[٥٤٦].

---

[٥٤٤] [سورة الأنبياء: ٩٥-٩٧].

[٥٤٥] صحيح مسلم: ٢٩٢٢.

[٥٤٦] سر شجرة الغرقد وعلاقتها بزوال دولة إسرائيل.. وهل توسع اليهود في زراعتها فعلًا؟، المصري اليوم، ٥ نوفمبر ٢٠٢٣م.

٨,٥-شجر الغرقد

ويستند التَّميمي إلى بعض أحاديث النَّبيُّ (ﷺ)، الَّتي وإن كانت ضعيفة التَّرغيب، فهي تنبئ برباط أهل الشَّام إلى يوم القيامة[٥٤٧]، وتسلُّطهم على أعداء الله للانتقام منهم على ما اقترفوه من آثام.[٥٤٨] وقد أخبرنا النَّبيُّ (ﷺ) أنَّ الملحمة الكبرى ستدور رحاها في أرض الشَّام، في خير بقعة على الأرض حينها، وهي دمشق، حيث روى أبو الدَّرداء (رضي الله عنه)، عنه أنَّه قال (ﷺ) "إنَّ فُسطاطَ المسلمين، يومَ الملحمةِ، بالغُوطةِ إلى جانبِ مدينةٍ يُقالُ لها: دمشقُ، من خيرِ مدائنِ الشَّامِ"[٥٤٩]. وقد وصَف الله تعالى أرض الشَّام بأنَّه مصدر البركة لأهل الأرض جميعًا، مصداقًا لقوله تعالى عن هجرة إبراهيم (عليه السَّلام) إلى الأرض المقدَّسة ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ[٥٥٠]﴾.

---

[٥٤٧] "أهلُ الشَّامِ وأزواجهُم وذراريُّهُم وعبيدُهم وإماؤهُم إلى منتَهى الجزيرةِ مُرابطونَ، فمَن نَزلَ مدينةً من المدائنِ، فهوَ في رباطٍ، أو ثَغرًا من الثُّغورِ فهوَ في جهادٍ"، رواه أبو الدَّرداء، ونقله الألباني (١٨٠٩).

[٥٤٨] " هلُ الشَّامِ سَوطُ اللهِ في أرضِه، ينتقِمُ بِهم مِمَّن يَشاءُ من عبادِه، وحرامٌ على منافِقيهِم أن يظهَروا على مُؤمِنيهِم، ولا يموتوا إلَّا هَمًّا وغَمًّا"، رواه خزيم بن فاتك الأسدي، ونقله الألباني (١٨١١).

[٥٤٩] صحيح أبي داود: ٤٢٩٨.

[٥٥٠] [سورة الأنبياء: ٧١].

ومن عجائب الإعجاز اللُّغوي في قول الله تعالى ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا[٥٥١]﴾ أنَّ فاعل الفعل ﴿عَلَوْا﴾ ضمير مستتر تقديره هم، وهو يشير إلى الحركات السِّرِّيَّة الَّتي أُسِّست لمحاربة دين الله ونشْر الوعي الباطل، بدءًا من حركة القوَّة الخفيَّة، الَّتي نشأت في القرن الأوَّل الميلادي، في أعقاب بعثة نبيِّ الله عيسى (عليه السَّلام) وشكَّلت نواة الماسونيَّة، وكذلك جماعة فرسان الهيكل، الصَّليب الوردي، وجمعيَّة الحكمة الإلهيَّة، وصولًا إلى المنظَّمة الصُّهيونيَّة والماسونيَّة العالميَّة[٥٥٢]. فلو كان بنو إسرائيل، المخاطبون في الآية والآيتين السَّابقتين، هم المقصودين، لقال الله تعالى "علوتم"، وكأنَّما المقصود هو أنَّ بني إسرائيل قادتهم المخطَّطات الشَّيطانيَّة لتلك الفئة الخبيثة، حتَّى أوجبت عليهم الغضب الإلهي لانقيادهم وراءها.

وقد فتَح الله لبني إسرائيل باب التَّوبة والرُّجوع إليه، متوعِّدًا إيَّاهم بتكرار العقاب، إن عادوا لانحرافهم، كما يخبر بيان وحي الله تعالى بقوله ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا[٥٥٣]﴾. غير أنَّ بيان الوحي نفسه يخبرنا أنَّ بني إسرائيل، ولو تظاهروا بالصَّلاح، سيظلُّون على انحرافهم الَّذي سيجلب عليهم العقاب الإلهي إلى يوم القيامة، حيث يقول الله تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ[٥٥٤]﴾.

---

[٥٥١] [سورة الإسراء: ٧].

[٥٥٢] محمَّد عبد المحسن: ﴿ليسوؤوا وجوهكم﴾ القبَّالة في ميزان القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، مكتبة نور الإلكترونيَّة، ٢٠١٩م، ص٢٠٢.

[٥٥٣] [سورة الإسراء: ٨].

[٥٥٤] [سورة الأعراف: ١٦٧].

وأكبر دليل على أنَّ الدجَّال هو مخلِّص بني إسرائيل المنتظَر ما يخبرنا به الصَّادق المصدوق (ﷺ) عن أنَّ مناصري الدَّجَّال عند خروجه من اليهود، حيث يقول (ﷺ)، عن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، "يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِن يَهُودِ أصْبَهانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عليهمُ الطَّيالِسَةُ[٥٥٥]". وقد بشَّر النَّبيُّ (ﷺ) بأنَّ المسلمين سيفتحون جزيرة العرب، أي منطقة الخليج العربي، وبلاد فارس، والمعروفة اليوم بإيران، وببلاد الرُّوم، أي دول الغرب، ثمَّ دولة الدجَّال، وهي دولة الاحتلال الإسرائيلي دون أدنى شكٍّ، حيث يقول عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) "كنتُ مع النَّبيِّ ﷺ في غَزاةٍ فأتاه قَومٌ مِن قِبَلِ المَغرِبِ عليهم ثيابُ الصُّوفِ، فوافَقوه عِندَ أَكَمةٍ وهم قيامٌ وهو قاعِدٌ، فأتَيتُه فقُمتُ بَينَهم وبَينَه، فحَفِظتُ أربَعَ كَلِماتٍ أعُدُّهنَّ في يَدي، قال: يَغزونَ جَزيرةَ العَرَبِ، فيَفتَحُها اللهُ، ثمَّ يَغْزونَ فارِسَ، فيَفتَحُها اللهُ، ثمَّ يَغْزونَ الرُّومَ، فيَفتَحُها اللهُ، ثمَّ يَغْزونَ الدَّجَّالَ، فيَفتَحُه اللهُ[٥٥٦]".

وكما يخبر العهد القديم أنَّ مخلِّص بني إسرائيل سيُفني جميع ملوك الأرض، ويُخضع كافَّة الأمم لسُلطانه، ليؤسِّس مملكة اليهود العالميَّة[٥٥٧]، فإنَّ نبيَّ الله عيسى (عليه السَّلام) سينزل في آخر الزَّمان ليكون عونًا ونصيرًا لأمَّة نبيِّنا مُحمَّد (ﷺ)، وحَكَمًا مُقسطًا يفصل بينها وبين أتباع الدَّجَّال، حيث قال جابر بن عبد

---

[٥٥٥] صحيح مسلم: ٢٩٤٤.

[٥٥٦] حلية الأولياء: ٢٨١/٨.

[٥٥٧] "وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَهكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: قُلْ لِطَائِرٍ كُلِّ جَنَاحٍ، وَلِكُلِّ وُحُوشِ الْبَرِّ: اجْتَمِعُوا، وَتَعَالَوْا، احْتَشِدُوا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، إِلَى ذَبِيحَتِي الَّتِي أَنَا ذَابِحُهَا لَكُمْ، ذَبِيحَةً عَظِيمَةً عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ، لِتَأْكُلُوا لَحْمًا وَتَشْرَبُوا دَمًا. تَأْكُلُونَ لَحْمَ الْجَبَابِرَةِ وَتَشْرَبُونَ دَمَ رُؤَسَاءِ الأَرْضِ. كِبَاشٌ وَحُمْلاَنٌ وَأَعْتِدَةٌ وَثِيرَانٌ كُلُّهَا مِنْ مُسَمَّنَاتِ بَاشَانَ. وَتَأْكُلُونَ الشَّحْمَ إِلَى الشَّبَعِ، وَتَشْرَبُونَ الدَّمَ إِلَى السُّكْرِ مِنْ ذَبِيحَتِي الَّتِي ذَبَحْتُهَا لَكُمْ. فَتَشْبَعُونَ عَلَى مَائِدَتِي مِنَ الْخَيْلِ وَالْمَرْكَبَاتِ وَالْجَبَابِرَةِ وَكُلِّ رِجَالِ الْحَرْبِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ" (سفر حزقيال: إصحاح ٣٩، آيات ١٧-٢٠).

الله (رضي الله عنه)، أنَّ النَّبيَّ (ﷺ) قال "لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلُونَ علَى الحَقِّ ظاهِرِينَ إلى يَومِ القِيامَةِ، قالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ ﷺ، فيَقولُ أمِيرُهُمْ: تَعالَ صَلِّ لَنا، فيَقولُ: لا، إنَّ بَعْضَكُمْ علَى بَعْضٍ أُمَراءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هذِه الأُمَّةَ[٥٥٨]".

ويخبرنا النَّبيُّ (ﷺ) أنَّ عيسى (عليه السَّلام) هو الموكَّل بقتل الدَّجَّال، حيث قال (ﷺ) "إذا خرج مسيحُ الضَّلالةِ الأعورُ الكذَّابُ نزل عيسَى ابنُ مريمَ على المنارةِ البيضاءِ شرقيَّ دِمشقَ بين مَهْرودَتَيْنِ، واضعًا يديهِ على منكبيْ ملَكينِ، فإذا رآهُ الدَّجَّالُ انماعَ كما ينماعُ المِلحُ في الماءِ، فيدركهُ فيقتلهُ بالحَربةِ عندَ بابِ لُدٍّ الشَّرقيِّ على بضع عشرةَ خطواتٍ منه[٥٥٩]". لن ينضمَّ عيسى (عليه السَّلام) لفسطاط الدَّجَّال وأتباعه، بل سيقضي على الدَّجَّال، ويقاتل أتباع الملَّة الباطل ممَّن يؤمنون ببنوَّته لله، ويدَّعون صلْبه فداءً للبشريَّة، حيث يقول النَّبيُّ (ﷺ)، كما يروي عنه أبو هريرة (رضي الله عنه)، "لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى ينزِلَ عيسَى ابنُ مريمَ حَكَمًا مُقسِطًا وإمامًا عَدلًا فيَكْسرُ الصَّليبَ ويقتُلُ الخنزيرَ ويضَعُ الجِزيةَ ويَفيضُ المالُ حتَّى لا يقبلَهُ أحدٌ[٥٦٠]".

يعني ذلك أنَّ ما تخبر عنه النُّبوءات الكتابيَّة عن حُكم المخلِّص وأتباعه لألف سنة[٥٦١] ما هو ألَّا من وحي الخيال، وليس من وحي الله تعالى، وفقًا لما تنقله النُّبوءات الأخرويَّة الإسلاميَّة. أمَّا عن فترة الرَّخاء الأبدي الَّتي يوعد بها أتباع

---

[٥٥٨] صحيح مسلم: ١٥٦.

[٥٥٩] ابن تيمية: الجواب الصَّحيح لمن بدَّل دين المسيح، ٢٥٢/٥.

[٥٦٠] صحيح ابن ماجه: ٣٣١٢.

[٥٦١] "رَأَيْتُ عُرُوشًا فَجَلَسُوا عَلَيْهَا، وَأُعْطُوا حُكْمًا. وَرَأَيْتُ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ يَسُوعَ وَمِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْجُدُوا لِلْوَحْشِ وَلاَ لِصُورَتِهِ، وَلَمْ يَقْبَلُوا السِّمَةَ عَلَى جِبَاهِهِمْ وَعَلَى أَيْدِيهِمْ، فَعَاشُوا وَمَلَكُوا مَعَ الْمَسِيحِ أَلْفَ سَنَةٍ" (سفر يوحنَّا اللَّاهوتي: إصحاح ٢٠، آية ٤).

المخلِّص[٥٦٢]، فربَّما تشير إلى الفترة الَّتي تعقب موت عيسى (عليه السَّلام)، حيث يُقبض المؤمنون، ولا يبقى إلَّا أهلُ الشَّرِّ، الَّذي كتموا كفرهم في زمن عيسى، خوفًا من القتل، كما يروي عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) عن النَّبيِّ (ﷺ) "يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا باردةً من قِبَلِ الشامِ، فلا يَبْقَى على وجهِ الأرضِ أحدٌ في قلبِه مِثْقالُ ذَرَّةٍ من إيمانٍ إلا قَبَضَتْهُ، حتَّى لو أنَّ أحدَكم دخل في كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْ عليه، حتى تَقْبِضَه، فيَبْقَى شِرَارُ الناسِ، في خِفَّةِ الطيرِ، وأحلامِ السِّباعِ، لا يَعْرِفُونَ معروفًا، ولا يُنْكِرونَ مُنْكَرًا، فيتمثلُ لهم الشيطانُ، فيقولُ: أَلَا تستجيبونَ ؟ فيقولونَ: بِمَ تَأْمُرُنا؟ فيأمرُهم بعبادةِ الأوثانِ، فيعبدونَها، وهم في ذلك دارٌّ رِزْقُهُم، حَسَنٌ عَيْشُهُم، ثم يُنْفَخُ في الصورِ[٥٦٣]".

[٥٦٢] افْرَحُوا وَابْتَهِجُوا إِلَى الأَبَدِ فِي مَا أَنَا خَالِقٌ، لأَنِّي هأَنَذَا خَالِقٌ أُورُشَلِيمَ بَهْجَةً وَشَعْبَهَا فَرَحًا. فَأَبْتَهِجُ بِأُورُشَلِيمَ وَأَفْرَحُ بِشَعْبِي، وَلاَ يُسْمَعُ بَعْدُ فِيهَا صَوْتُ بُكَاءٍ وَلاَ صَوْتُ صُرَاخٍ. لاَ يَكُونُ بَعْدُ هُنَاكَ طِفْلُ أَيَّامٍ، وَلاَ شَيْخٌ لَمْ يُكْمِلْ أَيَّامَهُ. لأَنَّ الصَّبِيَّ يَمُوتُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَالْخَاطِئُ يُلْعَنُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ. وَيَبْنُونَ بُيُوتًا وَيَسْكُنُونَ فِيهَا، وَيَغْرِسُونَ كُرُومًا وَيَأْكُلُونَ أَثْمَارَهَا (سفر إشعياء: إصحاح ٦٥، آيات ١٨-٢١).

[٥٦٣] صحيح الجامع: ٨٠٤٧.

تساؤلات ختاميَّة

١. تشتمل الخطَّة الاستراتيجيَّة لجيش الاحتلال للعام ١٩٥٦-١٩٥٧م على مخطَّط توسُّعي ينتظر الاحتلال الإسرائيلي أنسب توقيت لتنفيذه، عند اشتعال حرب مع محيطه العربي. ونتساءل: هل التَّصعيد الإسرائيلي المتواصل في قطاع غزَّة وجنوب لبنان، منذ أكتوبر ٢٠٢٣م، يوحي بأنَّ المخطَّط التَّوسُّعي يجري تنفيذه، بافتعال حرب بذريعة حماية أمن دولة الاحتلال؟

٢.يرى بنيامين نتنياهو أنَّ إحلال السَّلام بين دول المنطقة العربيَّة ودولة الاحتلال الإسرائيلي لا بدَّ وأن يسبقه تأسيس أنظمة ديموقراطيَّة تضمن لدولة الاحتلال أمنها واستقرارها، مع تكوين علاقات مع كيانات معادية لها. ونتساءل: هل يخدم مخطَّط نشْر الفوضى في المنطقة العربيَّة، فيما يُعرف بالرَّبيع العربي، كما رأى بعض المفكِّرين المعاصرين[٥٦٤]، مصلحة دولة الاحتلال في التَّمهيد لتأسيس دولة الدَّجَّال، بعد التَّخلُّص من كافَّة حكَّام العالم، كما تضمَّن خطاب أُلقي في مؤتمر لمنظَّمة بناي بريث اليهوديَّة جاء فيه: "ملك اليهود المنتظَر

[٥٦٤] يوسف الطَّويل: الحملة الصَّليبيَّة على العالم الإسلامي والعالم وعلاقتها بمخطَّط إسرائيل الكبرى ونهاية العالم، جز ١، مكتبة حسن العصريَّة، لبنان، ٢٠١٤م، ص١١.

لـن يرضـى بحُكـم هـذا العـالم، قبـل خلْـع البابـا مـن كرسـيِّه فـي رومـا، والإطاحـة بجميـع ملـوك العـالم"[٥٦٥]؟ وهـل فـي لحالـة الفوضـى تلـك علاقـة بمخطَّـط عوديـد ينـون لتمزيـق العـالم الإسـلام، الَّـذي يتضَّـمن زعزعـة الاستقرار في المنطقة العربيَّة باللَّعب على الوترين الطَّائفي والعرقي[٥٦٦]؟

٣.يصرُّ نتنياهو على أن منطقة شرق الأردن تدخل ضمن حدود دولة إسرائيل الانتدابيَّة، الَّتي نصَّت عليها معاهدة فرساي لعام ١٩١٩م، مدعيًا أنَّ اليهود تخلُّوا عن ذلك الجزء من دولتهم التَّاريخيَّة لصالح تأسيس إمارة شرق الأردن عام ١٩٢٢م، ثمَّ المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة عام ١٩٤٦م، وهو ما لاقى حينها معارضة شديدة من تيَّار الصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة[٥٦٧]. ونتساءل: كيف يقترح مخطَّط عوديد ينون الزَّعم بأنَّ الأردن هو دولة الفلسطينيين الحقيقيَّة[٥٦٨]، مطالبًا بتهجير سكَّان الضَّفَّة الغربيَّة، الَّتي يتمسَّك نتنياهو بكامل أحقيَّة اليهود في أراضيها، إلى الأردن؟

٤.يثني العديد من المحلِّلين على نجاح حركات المقاومة الفلسطينيَّة في قطاع غزَّة، بقيادة حركة حماس، في اختراق الكيان الصُّهيوني برًّا وبحرًا وجوًّا، خلال عمليَّة طوفان الأقصى، الَّتي نجحت في رأيهم في تغيير المعادلة السِّياسيَّة وموازين القوَّة في المنطقة العربيَّة، وجدَّدت الأمل لدى

---

[٥٦٥] محمَّد عبد المحسن: ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ -الصُّهيونيَّة المسيحيَّة: محرِّك سياسات ورثة كورش الممهِّدة لمعركة هرمجدون، حدوس وإشراقات للنَّشر، عمَّان، ٢٠٢٤م، ص٣٣٨.

[566] Youvan, D. C. (2024). *Herzl, Fischmann, and Yinon: The Greater Israel*. https://doi.org/10.13140/RG.2.2.21864.89602, p13.

[٥٦٧] أسعد رزُّوق: إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التَّوسُّعي الصُّهيوني، مركز الأبحاث، منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، ١٩٦٨م، ص٥٢٦.

[568] Youvan: Ibid, p14.

العرب في تقويض الكيان ودولته. ونتساءل: إذا كانت حركات المقاومة الفلسطينيَّة نجحت في تكبيد الاحتلال خسائر فادحة في ٧ أكتوبر، فلماذا لم تستمر في ذلك مع استمرار عمليَّة حرب القيامة الانتقاميَّة للاحتلال لأكثر من عام؟ ومن المستفيد فعليًّا من إدخال الصِّراع العربي الإسرائيلي إلى مرحلة جديدة تنذر باندلاع حرب عالميَّة؟

٥.نجح جيش الاحتلال الإسرائيلي، عند اجتياح لبنان عام ١٩٨٢م، في تحقيق أهمِّ أهدافه المُعلنة، بإنهاء تهديد حركات المقاومة الفلسطينيَّة المنتمي أعضاؤها إلى الطَّائفة السُّنِّيَّة، وفي مقدِّمتها منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، للمستوطنات الشَّماليَّة للاحتلال، وبإجبار تلك الحركات على مغادرة لبنان لاحقًا. غير أنَّ الاحتلال عجَز عن تحقيق نفس الهدف عند خوضه حرب تمُّوز ٢٠٠٦م في مواجهة المقاومة الشِّيعيَّة، بقيادة حزب الله اللُّبناني، مُعزيًا ذلك إلى الخطأ التَّكتيكي في تحديد أنسب وسائل الهجوم. واضطرَّ جيش الاحتلال لإنهاء القتال، امتثالًا لقرار مجلس الأمن التَّابع للأمم المتَّحدة رقم ١٧٠١، بعد ٣٤ يومًا من بدء المعركة، برغم عم تحقيق أهدافه. ونتساءل: لماذا رفض الاحتلال الإسرائيلي تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٧٢٨، الَّذي يطالبه وحركة حماس بوقف دائم ومستدام لإطلاق النَّار بعد مرور أشهر على بدء عمليَّته الانتقاميَّة حرب القيامة، ردًّا على عمليَّة طوفان الأقصى، مؤجِّلًا التنفيذ لما بعد تحقيق كامل أهداف عمليَّته العسكريَّة في قطاع غزَّة؟

٦.تعرَّض اللَّاجئون الفلسطينيون، خاصَّة في الأردن ولبنان، إلى أشدِّ ألوان التَّنكيل، في خضم محاربة حركات المقاومة الفلسطينيَّة لمنعها من

التَّدخُّل في الحُكم، أو تكوين دويلات داخل الدُّول الَّتي منحتهم حقَّ اللُّجوء ولم تسمح بتوطينهم. ونتساءل: لماذا يُشاع منذ بدء الاحتلال الإسرائيلي عمليَّة حرب القيامة الانتقاميَّة، في ٨ أكتوبر ٢٠٢٣م، أنَّ من المقرَّر توطين الفلسطينيين في دول الجوار، بعد تهجيرهم قسريًّا من أرضهم، إذا كانوا غير مرحَّب بهم في تلك الدُّول من قبل؟ وبعد فشل العديد من مشروعات إعادة توطينهم، هل مخطَّط توطينهم في العراق، الَّذي طرَحه زئيف فلاديمير جابوتنسكي في كتابه **الحرب واليهودي**[٥٦٩] هو الأقرب إلى التَّنفيذ؟

٧.لم تزل المملكة العربيَّة السَّعوديَّة تتمسَّك بشرط تفعيل حلِّ الدَّولتين، بتأسيس دولة فلسطينيَّة على حدود يونيو ١٩٦٧م، للانضمام إلى اتِّفاقيَّات أبراهام للتَّطبيع مع دولة الاحتلال الإسرائيلي، وهو ذاته الحلُّ الَّذي يدَّعي جو بايدن تأييده لإنهاء الصِّراع الفلسطيني الإسرائيلي، برغم رفضه تأييد قرار الجمعيَّة العامَّة للأمم المتَّحدة في ١٠ مايو ٢٠٢٤م، الخاص بالاعتراف بدولة فلسطينيَّة مستقلَّة كاملة السِّيادة. ونتساءل: كيف من الممكن تفعيل حلِّ الدَّولتين، وتأسيس دولة فلسطينيَّة في الضَّفَّة الغربيَّة، في ظلِّ استمرار النَّشاط الاستيطاني للاحتلال، الَّذي يسيطر على ٦٠ بالمائة من مساحتها، وكذلك في ظلِّ تعارُض الوجود العربي في فلسطين مع الرُّؤية الخلاصيَّة لليهود، والخاصَّة بحتميَّة استئثارهم وحدهم بحيازة أرض فلسطين المقدَّسة؟

[569] Jabotinsky, V. (1941). *The war and the Jew*. Altalena Press.

٨.يفترض أستاذ العلاقات الدُّوليَّة بجامعة هارفارد الأمريكيَّة، جيفري فريدن، أنَّ الحلَّ الأمثل للصِّراع العربي الإسرائيلي هو تأسيس دولة مشتركة تضمُّ الطَّرفين، تستند إلى دستور ديموقراطي يراعي حقوق الأقليَّات ويمنح الجميع حقَّ المشاركة في الحياة السِّياسيَّة[٥٧٠]. ونتساءل: كيف يستقيم ذلك مع مناداة تيَّار الصُّهيونيَّة الدِّينيَّة المسيانيَّة في دولة الاحتلال الإسرائيلي إلى إحياء المَلَكيَّة الدَّاوديَّة المستندة إلى الشَّريعة اليهوديَّة[٥٧١]، الَّتي تعتبر الأمميين، أو الأغيار، حيوانات على صورة البشر أدنى مرتبة من اليهود، ولا تنطبق عليهم الأحكام اليهوديَّة؟

٩.حثَّت بعض دول الخليج الولايات المتَّحدة لمنع الاحتلال الإسرائيلي من ضرب أهداف حيويَّة إيرانيَّة، بزعم الرَّدِّ على الضَّربة الإيرانيَّة الَّتي وُجِّهت للاحتلال مطلع أكتوبر ٢٠٢٤م، انتقامًا لاغتيال الاحتلال لعدد من زعامات المقاومة الموالين لإيران، والَّتي لم تسفر عن أيِّ خسائر تُذكر، خشية التعرُّض لردٍّ انتقامي يصيب المنشآت النَّفطيَّة الخليجيَّة[٥٧٢]. ونتساءل: بما أنَّ النُّبوءات الكتابيَّة لا تشير إلى اندلاع حرب مباشرة بين الاحتلال وإيران، إلَّا عند مشاركة الأخيرة في تحالف دولي، بزعامة روسيا، عند اندلاع معركة هرمجدون المقدَّسة عند

---

[570] Frieden, J. A. (2016). The root causes of enduring conflict: Can Israel and Palestine co-exist? In J. Ehrenberg & Y. Peled (Eds.). *From Israel and Palestine: Alternative Perspectives on Statehood* (PP. 63-75). Rowman & Littlefield Publishers.

[571] Inbari, M. (2012). *Messianic religious Zionism confronts Israeli territorial compromises*. Cambridge University Press.

[٥٧٢] "رويترز": دول الخليج تحث الولايات المتحدة على منع إسرائيل من قصف المواقع النفطية الإيرانية، موقع روسيا اليوم، ١٠ أكتوبر ٢٠٢٤م.

اليهـود[٥٧٣]، هـل السَّـبب فـي شـنِّ ضـربة اسـتفزازيَّة علـى إيـران منحهـا المبـرِّر لنقـل نيـران الحـرب إلـى منطقـة الخلـيج العربـي، تمهيـدًا لإتمـام مخطَّـط إسـرائيل الكبـرى، الَّـذي يصـل إلـى شـمال شـبه الجزيـرة العربيَّـة وغرب العراق؟

[٥٧٣](سفر حزقيال: إصحاح ٣٦-٣٩).

تعريف بالمؤلِّف

تعريفًا بمؤلِّف الكتاب، محمَّد عبد المحسن، فهو باحث مستقلٌ في مجالي التَّاريخ والدِّيانات المقارَنة، له عددٌ من المؤلَّفات والمقالات المنشورة في المجالين، إلى جانب العديد من المقالات المعنيَّة بمتابعة الأحداث السِّياسيَّة والاقتصاديَّة الجارية في المنطقة العربيَّة المنشورة عبر موقع رسالة بوست الإلكتروني.

التعليم:

دكتوراه في التحليل متعدِّد الوسائط للخطاب الإعلامي–قسم اللغة الإنجليزية وآدابها–جامعة حلوان، القاهرة، مصر (٢٠١٧م).

ماجستير في الأسلوبيَّات (البلاغة) المعرفيَّة–قسم اللغة الإنجليزية وآدابها–جامعة عين شمس–القاهرة، مصر (٢٠١٣م).

تمهيدي ماجستير في اللغويَّات التطبيقيَّة–قسم اللغة الإنجليزية وآدابها–جامعة القاهرة، القاهرة، مصر (٢٠٠٩م).

ليسانس آداب–قسم اللغة الإنجليزية وآدابها–جامعة عين شمس، القاهرة، مصر (٢٠٠٧م).

أبحاث منشورة:

١. Cognitive stylistics and characterization: The protagonist in Page's Real Estate (2013) –مركز بحوث الشَّرق الأوسط، جامعة عين شمس

٢. Morsi and Muslim Brotherhood in Western Eyes: A critical discourse analysis of Western media coverage of the 2012 presidential elections campaign (2018) – مركز بحوث الشَّرق الأوسط، جامعة عين شمس

٣. A multimodal discourse analysis of the depiction of Sisi in the 2014 elections campaign in Western online newspapers (2018) – مركز بحوث الشَّرق الأوسط، جامعة عين شمس

٤. بدعة الإبراهيميَّة: لماذا لا يمكن إقران الإسلام بملَّة أهل الكتاب؟ – جمعيَّة بيّنات للتَّأصيل والتَّجديد، مركز مُحكمات للبحوث والدّراسات–إسطنبول (٢٠٢١م).

٥. تاريخ الْمَسْجِد الْأَقْصَى ومستقبله في مواجهة التّحدّيات الإسرائيليَّة– جمعيَّة بيّنات للتَّأصيل والتَّجديد، مركز مُحكمات للبحوث والدّراسات–إسطنبول (٢٠٢١م)

كُتُب منشورة:

١.﴿ليسوؤوا وجوهكم﴾ القبَّالة في ميزان القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، مكتبة نور الإلكترونيَّة، ٢٠١٩م.

٢.﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ المسيانيَّة في صراع المفسدين على ميراث التَّقوى، مكتبة نور الإلكترونيَّة، ٢٠٢٠م.

٣.﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ المؤامرة الصَّفويَّة–الصُّهيونيَّة لإخضاع العالم الإسلامي (أربعة أجزاء)، دار أنهار للنَّشر، بيروت، لبنان، ٢٠٢٢م.

٤. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ النِّظام العالمي الجديد بعد الحرب العالميَّة الثَّالثة: التَّوطئة لدولة الدَّجَّال في مواجهة البعث الإسلامي (جزآن)– دار أنهار للنَّشر، بيروت، لبنان، ٢٠٢٢م.

٥. ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: مشروع الشَّرق الأوسط الكبير: مخطَّط الصُّهيونيَّة المتجدِّد لتمزيق العالم الإسلامي (جزآن)–دار العالم العربي، عمان، ٢٠٢٢م.

٦. ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: بدعة الإبراهيميَّة بين "الدِّينِ الْقَيِّمِ" وملَّة أهل الكتاب. دار العالم العربي، عمان، ٢٠٢٣م.

٧. ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾: انهيار الإمبراطوريَّة الأمريكيَّة...الانحراف البشري يُنجز الوعد الإلهي، ياراتجيليك دنياسي يايانلاري، نيقوسيا، ٢٠٢٣م.

٨. عزَّت السَّيِّد أحمد والتَّحالف الأمريكي الرُّوسي ضدَّ الثَّورة السُّوريَّة. كيملك يااينلاري للطِّباعة، تركيا، ٢٠٢٣ م.

٩. النظام العالمي الجديد وآفاقه عند عزَّت السَّيِّد أحمد. ياراتجيليك دنياسي يايانلاري، نيقوسيا، ٢٠٢٣ م.

١٠. عزَّت السَّيِّد أحمد وحقيقة السياسة الإيرانية. العالم العربي للنشر، عمان، ٢٠٢٣م.
١١. ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: بناء الهيكل الثَّالث برماد البقرة الحمراء على أنقاض الْمَسْجِد الْأَقْصَى: النُّبوءات الكتابيَّة في مواجهة الوعد القرآني، دار حدوس وإشراقات للنشر، عمَّان، ٢٠٢٣م.
١٢. ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾: التَّطبيع العربي الإسرائيلي من معسكر داود إلى الاتِّفاقيَّات الإبراهيميَّة، دار حدوس وإشراقات للنشر، عمَّان، ٢٠٢٣م.
١٣. ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾: بدعة الإبراهيميَّة: الباطنيَّة الجديدة تحت قناع وحدة الدِّيانات الإبراهيميَّة، دار أنهار للنَّشر، بيروت، لبنان، ٢٠٢٤م.
١٤. ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: الصُّهيونيَّة المسيحيَّة: محرِّك سياسات ورثة كورش الممهِّدة لمعركة هرمجدون، حدوس وإشراقات للنَّشر، عمَّان، الأردن، ٢٠٢٤م.

* * *

فهرس محتوى الكتاب

المحتوى	الصَّفحة
شكر وتقدير	٥
تقديم الأستاذ الدُّكتور عزَّت السَّيِّد أحمد	٩
مقدِّمة المؤلِّف	٢٣
الفصل الأوَّل: مخطَّط دولة إسرائيل الكبرى: الأصل والتَّداعيات	٣١
ارتباط مخطَّط إسرائيل الكبرى بالصُّهيونيَّة	٣٣
نشأة الصُّهيونيَّة التَّصحيحيَّة ودورها في الدَّفع لتأسيس إسرائيل الكبرى	٣٨
مخطَّط إسرائيل الكبرى بعد جابوتنسكي	٤٩
بدء تنفيذ مخطَّط إسرائيل الكبرى بدفع من بن غوريون	٥٢
افتعال ذريعة هجرة اليهود لتبرير النَّشاط التَّوسُّعي	٥٧
الأصل الدِّيني للأيديولوجيَّة التَّوسُّعيَّة الإسرائيليَّة	٦٥

تطوُّر رؤى المخطَّطات الصُّهيونيَّة الدَّاعمة لمخطَّط إسرائيل الكبرى	٦٩
آخر تطوُّرات مخطَّط إسرائيل الكبرى في وقتنا الرَّاهن	٧٥
الفصل الثَّاني: رؤية نتنياهو عن مستقبل المنطقة العربية تحت وطأة دولة الاحتلال	٧٩
مفهوم نتنياهو عن السَّلام في ظلِّ شرق أوسط جديد	٨٢
لمحة عن حياة نتنياهو	٨٩
هل حقًّا يمكن إحلال السَّلام بين الاحتلال والعرب، لا سيّما الفلسطينيين؟!	٩٢
عودة اليهود إلى الأرض المقدَّسة وتأسيس دولتهم هناك	٩٧
رأي نتنياهو في القضيَّة الفلسطينيَّة	١٠٤
اتِّهام العرب بقلب الحقائق لصالح الفلسطينيين	١٠٩
سُبُل إحلال السَّلام في المنطقة العربيَّة	١١٣
مبرِّر معارضة نتنياهو فكرة تأسيس دولة فلسطينيَّة كاملة السِّيادة	١١٦
الفصل الثَّالث: طوفان الأقصى ودوره في تأجيج الصِّراع العربي الإسرائيلي	١٢١
هل طوفان الأقصى هو "مبادرة طهران" الَّتي ستشعل حربًا إقليميَّة	١٢٥

في المنطقة العربيَّة؟	
هل يفضي طوفان الأقصى إلى تكرار حرب الأيَّام السِّتَّة؟	١٣١
تاريخ الصِّراع بين الاحتلال الإسرائيلي وحركة حماس	١٣٩
تقييم موضوعي لنتائج عمليَّة طوفان الأقصى	١٤٢
تداعيات سلبيَّة لعمليَّة طوفان الأقصى	١٤٩
الفصل الرَّابع: تداعيات دخول وكلاء إيران الإقليميين على خطِّ المواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي	١٥٧
تبيان لحقيقة حزب الله بعد "سقوط القناع" عنه	١٦١
قراءة موضوعيَّة لـ "التَّاريخ الأسود" لحزب الله اللُّبناني	١٦٧
عدوان الميليشيات الطَّائفيَّة على المخيَّمات الفلسطينيَّة في لبنان	١٧٢
الفصل الخامس: تجدُّد الاجتياح الإسرائيلي للبنان: هل تتكرَّر مأساة عام ١٩٨٢م؟	١٧٧
خلفيَّة تاريخيَّة عن أسباب حرب لبنان عام ١٩٨٢م	١٧٨
أطماع الاحتلال الإسرائيلي في لبنان من دوافع الاجتياح	١٨٢
ملابسات الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م	١٨٤
أهم نتائج الاجتياح الإسرائيلي للبنان	١٨٨

حرب تمُّوز ٢٠٠٦م وحقيقة انتصار حزب الله على الاحتلال الإسرائيلي	١٩٤
رؤية معاصرة لحرب لبنان الأولى	١٩٥
حرب تمُّوز ٢٠٠٦م: نظرة شاملة	١٩٩
انسحاب الاحتلال الإسرائيلي من لبنان عام ٢٠٠٠م بدفع من المقاومة الشِّيعيَّة	٢٠١
استعدادات حزب الله للمواجهة الجديدة مع الاحتلال فور انسحابه	٢٠٤
اندلاع حرب تمُّوز عام ٢٠٠٦م باستفزاز من حزب الله	٢٠٦
نتائج حرب تمُّوز ٢٠٠٦م	٢١٠
تقييم إخفاقات جيش الاحتلال في حرب تمُّوز ٢٠٠٦م	٢١٢
سيناريوهات محتملة لتجدُّد الصِّراع بين الاحتلال الإسرائيلي ولبنان	٢١٤
الفصل السَّادس: الاستيطان الإسرائيلي للضَّفَّة الغربيَّة وتداعياته على مخطَّط إسرائيل الكبرى	٢٢٣
سياسة الاستيطان الإسرائيليَّة في الضَّفَّة الغربيَّة: نظرة شاملة	٢٢٦
مآل مخطَّط استيطان الضَّفَّة الغربيَّة في عهْد الحكومة اليمينيَّة المتطرِّفة	٢٣٢

اكتمال المخطَّط الاستيطاني بوصول اليمين المتطرّف إلى السُلطة	٢٣٧
هل حل الصِّراع العربي الإسرائيلي سلميًّا لم يزل ممكنًا؟	٢٤١
لماذا يصرُّ العرب على خوض معركة المفاوضات الخاسرة؟	٢٤٦
الفصل السَّابع: سُبُل تحقيق التَّعايش بين الفلسطينيين والاحتلال الإسرائيلي	٢٥٧
أسباب استمرار الصِّراعات	٢٥٩
سبيل إنهاء الصِّراع بشكل دائم	٢٦٤
الفصل الثَّامن: النُّبوءات الأخرويَّة تحدِّد بوصلة الصِّراع العربي الإسرائيلي	٢٦٥
ماذا تخبر مخطوطة سفر قانون الحرب عن مستقبل الصِّراع في المنطقة العربيَّة؟	٢٦٦
هل تدين نبوءة إشعياء حركة حماس أم الشَّعب اليهودي؟	٢٦٩
مآل الصِّراع في المنطقة العربيَّة في ضوء النُّبوءات الكتابيَّة	٢٧٢
ماذا تخبر النُّبوءات الأخرويَّة الإسلاميَّة عن زوال الاحتلال الإسرائيلي؟	٢٧٩
تساؤلات ختاميَّة	٢٨٩

تعريف بالمؤلِّف	٢٩٥
فهرس الصُّور	
صورة ٠,١–جنديان في جيش الاحتلال يرفعان راية عليها شعار الهيكل الثَّالث أمام أنقاض مدينة مدمَّرة في غزَّة	٢٦
صورة ٠,٢–خارطة إسرائيل الكبرى على زي أحد جنود الاحتلال الإسرائيلي في غزَّة	٢٧
صورة ١,١–خارطة إسرائيل الكبرى	٣٣
صورة ١,٢–تيودور هرتزل	٣٥
صورة ١,٣–شعار عصابة ايستل الصُّهيونيَّة	٤٠
صورة ١,٤–زئيف جابوتنسكي	٤٨
صورة ١,٥–ديفيد بن غوريون	٥٤
صورة ١,٦–نسب استحواذ العرب واليهود على أراضي فلسطين منذ فترة الانتداب البريطاني حتَّى تأسيس دولة الاحتلال	٥٨
صورة ١,٧–خارطة مملكة إسرائيل الموحَّدة	٦٣
صورة ١,٨–خارطة مملكة إسرائيل بعد تقسيمها	٦٤
صورة ١,٩–خارطة المملكة الحشمونيَّة في أقصى توسُّع لها	٦٤

صورة ١,١٠–الحاخام شلومو غورين ينفخ في البوق أمام حائط البراق بعد احتلال الضَّفَّة الغربيَّة خلال حرب يونيو ١٩٦٧م	٦٧
صورة ١,١١–نتنياهو يحتفي بجابوتنسكي	٧٧
صورة ٢,١–نتنياهو يستعرض خارطة "الشَّرق الأوسط الجديد" أمام الجمعيَّة العامَّة للأمم المتَّحدة، ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٤م	٨٦
صورة ٢,٢–نتنياهو يستعرض خارطتي "النَّعمة" و "اللَّعنة" أمام الجمعيَّة العامَّة للأمم المتَّحدة، ٢٧ سبتمبر ٢٠٢٤م	٨٨
صورة ٢,٣–نتنياهو والحاخام مناحيم مندل شنيئورسون عام ١٩٩٠م	٩١
صورة ٢,٤–ترامب ونتنياهو عند إعلان صفقة القرن في البيت الأبيض في واشنطن، ٢٨ يناير ٢٠٢٠م	٩٥
صورة ٣,١–من اليسار، الرَّئيس الإيراني الأسبق محمَّد خاتمي مع أحد حاخامات اليهود	١٢٢
صورة ٣,٢–من يمين وسط الصُّورة، ياسر عرفات ممسكًا بيد الخميني	١٢٣
صورة ٣,٣–خارطة الوضع الميداني في قطاع غزَّة	١٢٨
صورة ٣,٤–احتفال أهالي غزَّة باصطياد المقاومة دبابة للاحتلال	١٣١

الإسرائيلي	
صورة ٣,٥–الأراضي الَّتي استحوذ عليها الاحتلال الإسرائيلي في حرب الأيَّام السِّتَّة	١٣٧
صورة ٣,٦–جانب من دمار قطاع غزَّة بفعل عمليَّة حرب القيامة للاحتلال الإسرائيلي	١٥٣
صورة ٤,١–تفجيرات البيجر في لبنان	١٦١
صورة ٤,٢–خارطتا الهلال الخصيب وإسرائيل الكبرى: ما الفرق بينهما؟!	١٦٩
صورة ٤,٣–قوَّات فلسطينيَّة على مشارف العاصمة الأردنيَّة، عمَّان، خلال أحداث أيلول الأسود	١٧٢
صورة ٤,٤–دمار مخيَّم تل الزَّعتر للفلسطينيين عام ١٩٧٦م	١٧٤
صورة ٤,٥–لمحة عن مذابح مخيَّمات الفلسطينيين في لبنان– الصَّفحة الأولى لصحيفة السَّفير اللُّبنانية، ١٩سبتمبر ١٩٨٧م	١٧٦
صورة ٥,١–نهر اللِّيطاني في لبنان	١٨٣
صورة ٥,٢–عدد من ضحايا مجزرة صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢م	١٩١
صورة ٥,٣–الخط الأزرق الفاصل بين لبنان والاحتلال الإسرائيلي	١٩٥
صورة ٥,٤–الدَّمار الَّذي خلَّفه القصف الإسرائيلي في لبنان خلال	٢٠٩

حرب تمُّوز ٢٠٠٦م	
صورة ٥,٥–الاحتفال بانتصار حزب الله في حرب تمُّوز ٢٠٠٦م ورفع صور حسن نصر الله	٢١١
صورة ٥,٦–إبراهيم رئيس أمام مروحيَّته قبل الحادث	٢١٥
صورة ٥,٧–المرشد الأعلى للثَّورة الخمينيَّة علي خامنئي يؤدِّي صلاة الجنازة على إسماعيل هنيَّة	٢١٦
صورة ٦,١–خارطة فلسطين منذ تأسيس دولة الاحتلال حتَّى صفقة القرن	٢٢٨
صورة ٦,٢–تحالُف بتسلئيل سموتريتش مع ايتمار بن غفير	٢٣٣
صورة ٦,٣–مستوطنون متطرِّفون يعتدون على الفلسطينيين بمعاونة أفراد جيش الاحتلال	٢٣٧
صورة ٦,٤–وزيرة الاستيطان والمهام الوطنيَّة في الحكومة اليمينيَّة المتطرِّفة، أوريت ستروك	٢٣٨
صورة ٦,٥–خارطة السَّيطرة العسكريَّة في سوريا–موقع الجزيرة نت، ٦ أكتوبر ٢٠٢٣م	٢٥٣
صورة ٦,٦–جانب من حفلات موسم جدَّة	٢٥٤
صورة ٨,١–مناحيم بيغن يلقي كلمته أمام ٢٠٠ من أعضاء منظمة	٢٦٨

النِّداء اليهودي الموحَّد، ٥ أغسطس ١٩٨٢م	
صورة ٨,٢–نتنياهو يعلن عمليَّة الاجتياح البرِّي في غزَّة–٢٥ أكتوبر ٢٠٢٣م	٢٦٩
صورة ٨,٣–شعار حركة حماس	٢٧٠
صورة ٨,٤–موقع مدينة صور قرب مستوطنات الاحتلال الإسرائيلي	٢٧٨
صورة ٨,٥–شجر الغرقد	٢٨٤

دار أنهار للدراسات والترجمة والنشر

كل الحقوق محفوظة

تمنع طباعة هذا الكتاب أو بعضَه بأيّ وسيلةٍ من وسائل الطِّباعةِ والنَّشر والإعلام من دون موافقةٍ خطيَّة من الناشر أو المؤلِّف

الصراع العربي الإسرائيلي ووهم دولة الدجال الكبرى

تأليف: الدكتور محمد عبد المحسن مصطفى

تقديم الأستاذ الدكتور عزت السيد أحمد

٣١٠ صفحة

بيروت

٢٠٢٤م

دار الثمار

١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م